كتاب

حسن التوسل الى صناعة الترسل تأليف الامام الفاضل
جامع اشتات الفضائل شهاب الدين ابى الثناء
محمود بن سليمان الحلبي الحنفي صاحب
ديوان الانشاء بدمشق المتوفي
سنة ٧٢٥ تغمده الله
بغفرانه
آمين



(على نفقة امين افندي هنديه)

(طبع بمطبعة امين افندي هنديه بدرب الجنينة بغيط النوبي بمصر)

سنة ١٣١٥ هجريه

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمدا لله جاعل الانسان مخبوّا تحت اللسان محبوّا من مواهب البلاغة في المنطق بالمراتب الحسان والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص من معجز القرآن باوضح برهان وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان فانه لما جعل الله لي فى كتابة الانشاء رزقا باشرت بسببه من وظائفها ما باشرت وعاشرت من أجله من أكابر أهلها وائمتها من عاشرت ورأيت من مذاهبهم في أساليبها ما رأيت ورويت عنهم من قواعدها بالمجاورة والمحاورة ما رويت واطلعت فيها بكثرة المباشرة على طرائق وألجئت فيها باختلاف الوقائع الى مضائق اي مضائق ونشأ لي من الولد وولد الولد من عاناها وترشح لها من بنيّ من لم أرض له بالتلبس بصورتها دون التحلي بمعناها فاحببت أن أضع لهم ولمن يرغب فى ذلك في هذه الاوراق من فصولها قواعد وأقيم لهم فيها على ما لا يسع الجهل به من اصولها وفروعها شواهد ليأتوا هذه الصناعة من ابوابها ويعلموا من طرقها ما هو الاخص بأوضاعها والاولى بها ﴿ وسميته حسن التوسل الى صناعة الترسل ﴾ وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب فأول ما يبدأ به من ذلك حفظ كتاب الله تعالى ومداومة قراءته وملازمة درسه وتدبر معانيه حتى لايزال مصوّرا في فكره دائرا على لسانه ممثلا فى قلبه ذاكرا له فى كل مايرد عليه من الوقائع التي يحتاج الى الاستشهاد به فيها ويفتقر الى اقامة الادلة القاطعة به عليها وكفى بذلك معينا له في قصده ومغنيا له عن غيره قال الله تعالى مافرّطنا فى الكتاب من شيء وقد اخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس في محاوراتهم ومخاطباتهم مع قصور كل لفظ ومعنى عنه وعجز الانس والجن عن الاتيان بسورة من مثله رمن ذلك ان سائلا قال لبعض العلماء أين تجد في

كتاب الله تعالى قولهم الجار قبل الدار قال في قوله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فطلبت الجار قبل الدار ونظائر ذلك كثيرة وأين قول العرب القتل أنفى للقتل لمن أراد الاستشهاد في هذا المعنى من قوله عز وجل ولكم في القصاص حياة وأكثر الناس على جواز الاستشهاد بذلك ما لم يحل عن لفظه ولم يغير معناه فمن ذلك ما روى في عهد أبي بكر رضى الله عنه هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان برّ وعدل فذلك ظني به وان جار وبدّل فلا علم لي بالغيب والخير أردت بكم ولكل امرئ ما اكتسب من الاثم وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون وروى ان عليا رضي الله عنه قال للمغيرة بن شعبة لما اشار عليه بتولية معاوية وما كنت متخذ المضلين عضدا وكتب في آخر كتاب الى معاوية وقد علمت مواقع سيوفنا في جدك وخالك وأخيك وما هي من الظالمين ببعيد وقول الحسن بن علي عليه السلام لمعاوية وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وروى مثل ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وكتب الحسن الى معاوية أما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ورسولا الى الناس اجمعين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين * وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الى المنصور في صدر كتاب لما حاربه طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون الى قوله تعالى منهم ماكانوا يحذرون ونقض عليه المنصور في جوابه عن قوله انه ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ونقل عن الحسن البصري رحمه الله مايدل على كراهية ذلك فقال حين بلغه أن الحجاج أنكر على رجل استشهد بآية أنسى نفسه حين كتب الى عبد الملك بن مروان بلغني أن أمير المؤمنين عطس فشمته من حضر فرد عليهم ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ولهذا صحت هذه الرواية عن الحسن فيمكن أن يكون انكاره على الحجاج لكونه انكر على غيره مافعله هو

وذهب بعضهم الى أن كل ما أراد الله به نفسه لا يجوز أن يستشهد به الا فيما يضاف الى الله سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقوله تعالى بلى ورسلنا لديهم يكتبون ونحو ذلك مما يقتضيه الادب مع الله سبحانه وتعالى ومن شرف الاستشهاد بالكتاب العزيز اقامة الحجة وقطع النزاع واذعان الخصم كما روى أن الحجاج قال لبعض العلماء أنت تزعم أن الحسين رضى الله عنه من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتني على ذلك بشاهد من كتاب الله عز وجل والا قتلتك فقرأ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الى قوله ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيي وعيسى هو ابن بنته فأسكت الحجاج وقد تقوم الآية الواحدة المستشهد بها في بلوغ الغرض وتوفية المقاصد مالا تقوم به الكتب المطولة والادلة القاطعة وأقرب ما اتفق من ذلك أن صلاح الدين رحمه الله كتب الى بغداد كتابا يعدد فيه مواقفه فى اقامة دعوة بني العباس بمصر فكتب جوابه بهذه الآية يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا علىّ اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين ومن ذلك ما كتبه الادفونش الى يعقوب بن عبد المؤمن بخط وزير له يقال له ابن الفخار باسمك اللهم فاطر السموات والارض والصلاة على السيد المسيح عيسى ابن مريم الفصيح أما بعد فانه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب وعقل لازب انى أمير الملة النصرانية كما انك أمير الملة الحنيفية وقد علمتم ما عليه رؤساء جزيرة الاندلس من التخاذل والتواكل واخلادهم الى الراحة وأنا أسومهم الخسف وأخلي منهم الديار وأجوس البلاد وأسبي الذراري وأقتل الكهول والشبان لا يستطيعون دفاعا ولا يطيقون امتناعا ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم وقد امكنتك يد القدرة وأنتم تعتقدون أن الله عز وجل فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فلتقاتل عشرة منكم الواحد منا ثم بلغني أنك أخذت في الاحتفال وأشرفت على ربوة الاقبال وتماطل نفسك عاما بعد عام وأراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ولست أدري أكان الجبن أخطأ بك

أو التكذيب بما أنزل عليك ربك ثم بلغنى أنك لاتجد الى الجواز سبيلا لعلة لايسوغ لك التقحم معها فأنا أقول مافيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك على أن تفي لي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهن وترسل اليّ بجملة من عبيدك بالمراكب والشوانى والا أجوز بجملتي اليك وأبارزك في أعز الاماكن عليك فان كانت لك فغنيمة وجهت اليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك وان كانت لي كانت يدي العليا عليك واستوجبت سيادة الملتين والحكم على الدينين والله تعالى يسهل مافيه الارادة ويوفق للسعادة لارب غيره ولا خير الا خيره فكتب رحمه الله على أعلا كتابه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون * ومما جوّزوا الاستشهاد به مالا يقصد به الا التلويح الى الآية دون اطراد الكلام كقول القاضي الفاضل رحمه الله مما كتب به الى الخليفة عن صلاح الدين في الاستصراخ وتهويل أمر الفرنج رب اني لا أملك الانفسي وها هي في سبيلك مبذولة وأخى وقد هاجر اليك هجرة يرجوها مقبولة وقد أكثر الناس في الاستشهاد فمفرط في الحسن ومفرّط فأما تغيير شيء من اللفظ بغيره أو احالة معنى عما أريد به فلايجوز وينبغي العدول عنه مهما أمكن والله أعلم * ويتلو ذلك الاستكثار من حفظ الاحاديث النبوية صلوات الله على قائلها وسلامه وخصوصا في السير والمغازي والاحكام والنظر في معانيها وغريبها وفصاحتها وفقه مالا بدّ من معرفته من أحكامها لينفق منها عن سعة ويستشهد بكل شيء في موضعه ويحتج بمكان الحجة ويستدل بموضع الدليل وينصرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه ويبنى كلامه على أصل لايرتفع ويسوق مقاصده الى سبيل لا يصدّ عنه ولا يدفع فان الدليل على المقصد اذا استند الى النص سلم له وسلم والفصاحة اذا طلبت غايتها فهى بعد كتاب الله في كلام من أوتي جوامع الكلم وقد كان على ذلك الصدر الاول من الصحابة وتابعيهم رضى الله عنهم فمن ذلك قول عكرمة بن أبي جهل في منازعة الانصار يوم السقيفة والله لولا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الائمة من قريش لما أبعدنا منها الانصار ولكانوا لها أهلا ولكنه قول لاشك فيه ولا

خيار فأقام الحجة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل لا يرد * ومن ذلك قول علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في حق الانصار والله لو زالوا لزلت معهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أزول معكم حيثما زلتم هذا في الاستشهاد * فأما في الحل فالاولى ان يراعي لفظه ما أمكن والا فمعناه مما لا بدّ منه حدّث الزبير بن بكار قال حدّثني محمد بن سلام قال قال ابن عون أدركت ستة من المحدثين فثلاثة يؤدون الحديث بلفظه وثلاثة اذا أدّوا حدّثوا بالمعنى لم يبالوا كيف قالوا فأما الثلاثة المؤدون باللفظ فابن سيرين والقاسم بن محمد بن أبي بكر ورجاء بن حيوة وأما الثلاثة الذين يجيئون بالمعنى فالحسن وابراهيم والشعبي فأما ما حال به المعنى في الحل مثل قول ضياء الدين بن الاثير في حل الحديث الوارد في النهي عن وطء النساء الحوامل وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره من أنه نقله الى وصف منعم يشارك في الاحسان فقال فاذا سمع بمنعم شركه في نعمائه وخالف نص الخبر في سقي زرع غيره بمائه فالاولى اجتناب مثل ذلك لما فيه من احالة معنى الحديث وخصوصاً وقد فحشه بقوله وخالف نص الخبر واذا كانت القاعدة عند أهل هذه الصناعة ان الامثال لا تغير الفاظها لاشتهارها بذلك اللفظ ودورانها على الالسنة فالحديث احق وأولى ويتبع ذلك قراءة ما يتفق من كتب النحو التي يحصل بها المقصود من معرفة العربية بحيث يجمع بين طرفي الكتاب الذي يقرأه ويستكمل استشراحه ويكب على الاعراب ويلازمه ويجعله دأبه ليرتسم في فكره ويدور على لسانه وينطلق به عقال قلمه وكلمه ويزول به الوهم عن سجيته ويكون على بصيرة من عبارته فانه لو أتى من البلاغة بأتم ما يكون ولحن ذهبت محاسن ما اتى به وانهدمت طبقة كلامه والقى جميع ما يحسنه ووقف به عند ما جهله ويتعلق بذلك قراءة ما يتهيأ من مختصرات كتب اللغة كالفصيح وكفاية المتحفظ وغير ذلك من كتب الالفاظ ليتسع عليه نطاق النطق وينفسح له مجال العبارة وينفتح له باب الاوصاف فيما يحتاج الى وصفه من خيل او سلاح او حرب او سير او قتال او غير ذلك مما يحتاج الى وصفه

ويضطر الى نعته ويتصل بذلك حفظ خطب البلغاء من الصحابة وغيرهم ومخاطباتهم ومحاوراتهم ومراجعاتهم وما ادعاه كل منهم لنفسه أو لقومه وما نقضه عليه خصمه لما في ذلك من معرفة الوقائع بنظائرها وتلقي الحوادث بمشاكلها والاقتداء بطريقة من فلج على خصمه واقتفاء آثار من اضطر الى عذر أو ابطال دعوى أو اثباتها فلحن بحجته وتخلص بلطف مأخذه ودقة مسلكه وحسن عبارته فمن ذلك حديث عبد الرحمن بن عوف قال دخلت على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في علته التي مات فيها فقلت اراك بارئا يا خليفة رسول الله فقال أما اني على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين الاولين اشد علي من وجعي اني وليت أموركم خيركم في نفسي فكلكم ورم انفه يريد ان يكون له الامر والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الآذري كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان والذي نفسي بيده لأن يقدم احدكم فتضرب رقبته في غير حد خير له من ان يخوض غمرات الدنيا يا هادي الطريق حرت انما هو والله العجز أو التحير فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله فان هذا يهيضك الى ما بك فو الله ما زلت صالحا مصلحا لا تأسي على شيء فاتك من أمور الدنيا ولقد قمت بالامر وحدك فما أردت الا خيرا (وكتب) علي رضي الله عنه الى ابن عباس رضى الله عنهما وهو بالبصرة أما بعد فان المرء يسره ادراك ما لم يكن ليحرمه ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما قدمت من أجر أو منطق وليكن اسفك فيما فرطت فيه من ذلك وانظر ما فاتك من الدنيا فلا تكن عليه جزعا وما نلته فلا تنعم به فرحا وليكن همك لما بعد الموت ومن ذلك ما حكى عن الربيع رحمه الله قال كنا وقوفا على رأس المنصور وقد طرحت للمهدي وسادة اذ أقبل صالح ابنه وكان قد رشحه ان يوليه بعض امره فقام بين السماطين والناس على قدر طبقاتهم ومواضعهم فتكلم فأجاد فمد المنصور يده اليه ثم قال الي يا بني فاعتنقه ونظر في وجوه اصحابه هل أحد يذكر مقامه ويصف فضله وكلهم كره ذلك وهاب المهدي فقام شبة بن عقال التميمي ثم قال لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين ما افصح لسانه واحسن

بيانه وامضى جنانه وابل ريقه واسهل طـريقه وكيف لا يكـون كذلك وامير المؤمنين ابوه والمهدي اخوه وكما قال زهير بن ابى سلمى

يطلب شأو امرأين قدّما حسنا * بذا الملوك وبذا هدّة السوقا

هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا

او يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ما قدّما من صالح سبقا

قال الربيع فأقبل على من حضر فقال والله ما رأيت مثل هذا تخلصا أرضى امير المؤمنين ومدح الغـلام وسلم من المهدي فالتفت اليّ المنصور وقال يا ربيع لا ينصرف التيمي الا بثلاثين ألف درهم (وحكى) أن رجلا دخـل على المهدي فقال يا أمير المؤمنين المنصور شتمني وقذف أمي فأما أمرتني أن أحلله وأما عوّضتني فاستغفرت له قال ولم شتمك قال شتمت عدوّه بحضرته فغضب قال من عدوه الذي غضب لشتمه قال ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن قال ان ابراهيم أمس به رحما وأوجب عليه حقا فان كان شتمك كما زعمت فعن رحمه ذب وعن عرضه دفع وما أساء من انتصر لابن عمه قال انه كان عدوا له قال فلم ينتصر للعدو انما انتصر للرحم فاسكت الرجل فلما ذهب ليولى قال لعلك أردت أمرا فلم تجد له عندك ذريعة أبلغ من هذه الدعوى قال نعم فتبسم وأمر له بخمسة آلاف درهم * ومن ذلك ما حكى الزبير بن بكار أن معاوية قال لعمرو بن العاص رضى الله عنه أن رأس الناس مع عليّ عبد الله بن عباس فلو ألقيت اليه كتابا ترققه فانه ان قال قولا لم يخرج منه عليّ عليه السلام وقد اكلتنا هذه الحرب فكـتب الى ابن عباس كتابا منه (أما بعد) فان الذي نحن وأنتم فيه ليس باول أمر قاده البلاء وأنت رأس الناس بعد عليّ فانظر في هذا الامر بعين ما مضى فوالله ما بقت هذه الحرب لنا ولكم حياة واعلم بأن الشام لا يملك الا بهلاك العراق وان العراق لا يملك الا بهلاك الشام فما خيرنا بعد اعـذارنا فيكم وما خيركم بعد اعذاركم فينا ولسنا نقول ليت الحرب عادت علينا ولكننا نقول ليتها لم تكن وان فينا لمن يكره اللقاء كما ان فيكم من يكرهه وانما هو امير مطاع او مأمور مطيع او مشاور مأمون وهو انت ثم بعث به اليه فاقرأ ابن عباس عليا الكتاب فقال

اجبه فكتب اليه ابن عباس جوابا منه (أما بعد) فاني لا اعلم احدا من العرب اقل حياء منك مال بك الى معاوية الهوى وبعته دينك بالخطر اليسير ثم خبطت الناس في طخياء طمعاً في هذا الملك فلما لم ترشيأ اعظمت الدماء اعظام اهل الدين واظهرت فيها نزاهة اهل الورع لا تريد بذلك الا انك تهيبت الحرب فان كنت تريد الله بذلك فدع مصر وارجع الى بيتك فان هذه الحرب ليس علي فيها كمعاوية بدأها علي بالحق وانتهى فيها الى العذر وبدأها معاوية بالظلم وانتهى فيها الى السرف (وحكى) ان عتبة ابن أبي سفيان قال لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما ما منع عليا أن يبعثك مكان ابى موسى يوم الحكمين قال منعه والله من ذلك حاجز القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء اما والله لو بعثني مكانه لاعترضت لعمرو في مدارج نفسه ناقضا ما ابرم ومبرما ما نقض أسف اذا طار وأطير اذا اسف ولكن مضى قدر وبقي أسف ومع اليوم غد والآخرة خير لامير المؤمنين من الاولى (ومن ذلك) ما كتبه معاوية الى علي رضى الله عنه أما بعد فانك لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فاجابه لم تكن الجناية عليك حتى تكون المعذرة اليك ووفد على هشام بن عبد الملك وفود العرب يشكون جدب الحجاز فقال أصغرهم سنا يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون ثلاث احداهن أذابت الشحم والثانية أكلت اللحم والثالثة أنقت العظم وفي أيديكم فضول أموال فان كانت لله فانفقوا من مال الله في عباد الله وان كانت لهم فردوا فيهم من ما لهم وان كانت لكم فتصدقوا عليهم منها فان الله يجزي المتصدقين فقال هشام لله دره لم يترك لنا في واحدة عذرا * فانظر في هذا وأمثاله والحفظ منه والاكثار من مطالعته مما يشحذ القرائح ويفتق الاذهان ويرتسم في الخواطر ويكمن في الافكار حتى يفيض ما غاض منه على لسان القلم ويبدو منه لكل واقعة منوال ينسج عليه * ومثال ينظر في نظائر الامور اليه ثم النظر فى ايام العرب ووقائعهم وحروبهم وتسمية الايام التى كانت بينهم ومعرفة يوم كل قبيلة على الاخرى وما جرى بينهم في ذلك من الاشعار والمناقضات لما فى ذلك من العلم بمايستشهد به من واقعة قديمة او يرد عليه في مكاتبة من

ذكر ايام مشهورة او ذكر فارس معين كما قال ابو نصر الفتح بن خاقان في خطبة كتاب قلائد العقيان لو جاوره كليب ما طرق حماه او استجار به احد من الدهر حماه او كان بجفر الهباءة ما انتضى قيس سيفه ولا قضى وطرا من حمل وحذيفه او كان بوادى الاخرم لطاف به ربيعة واحرم او استنجد به الكندي ما كساه الملاءه او كان حاضر بسطام ما خر على الالاءه وكقول ابى تمام

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها * وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذى قاراً مانت سيوفكم * عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

يشير الى ان حاجب بن زرارة التميمي وفد على كسرى في سنة جدب فقال له الحاجب من انت فقال رجل من العرب فلما دخل على كسرى قال له من انت قال سيد العرب قال ألم تقل بالباب انا رجل من العرب قال كنت بالباب رجلا منهم فلما حضرت بين يدي الملك سدتهم فملأ فمه درا وشكى اليه محل الحجاز وطلب منه الف حمل برا على ان يعيد ثمنها فقال وما ترهنني على ذلك قال قوسي فاستعظم همته وقال قبلت وأعطاه حمل ألف بعير برا ومات حاجب فأحضر بنوه بعد موته المال وطلبوا قوس أبيهم فافتخرت تميم بذلك فأشار أبو تمام الى هذه المنقبة وقال

فأنتم بذى قاراً بادت سيوفكم * جيوش الذين استرهنوا قوس حاجب

وأمثال ذلك في نظائره كثيرة في النظم والنثر فاذا لم يكن صاحب هذه الصناعة عارفا بكل يوم من هذه الايام عالماً بما جرى فيها لم يدر كيف يجيب عما يرد اليه من مثلها ولا ما يقول اذا سئل عنها وحسبه ذلك نقصا في صناعته وقصورا عما يحتم عليه من معرفته وحسن الجواب فيه عند السؤال عنه (ثم النظر في التواريخ) ومعرفة أخبار الدول لما في ذلك من الاطلاع على سير الملوك وسياساتهم وذكر وقائعهم ومكائدهم في حروبهم وما اتفق لهم من التجارب التى بلغوا بها أقصى المآرب وغدت لمن بعدهم كالمرآة التي تصور لهم وجوه التدبير وتريهم ما استتر عنهم من صغير أحوالهم والكبير فانه قد يضطر الى السؤال عن احوال من سلف من اول العصر والى الآن ويستخبر كيف كان الامر بين

زيد وعمرو وكيف انتصر فلان على فلان او يزد عليه في كتاب ذكر واقعة بعينها او يحتج عليه بصورة قديمة فلا يعرف حقيقتها من مجازها ولا صدقها من مينها (ثم حفظ اشعار العرب) ومطالعة شروحها واستكشاف غوامضها والتوفر على ما اختاره العلماء بها منها كالحماسة والمفضليات والاصمعيات وديوان الهذليين وما اشبه ذلك لما فى ذلك من غزارة المواد وصحة الاستشهاد وكثرة النقل وصقل مرآة العقل وانتزاع الامثال والاخذ في اختراع المعاني على اصح مثال والاطلاع على اصول اللغة وشواهدها والاضطلاع من نوادر العربية وشواردها وقد كان الصدر الاول يعتنون بذلك غاية الاعتناء فذكر ان عمر رضي الله عنه كان يقدم زهير بن ابى سلمى فى الشعر فقيل له بم استحق ذلك عندك فقال كان لا يعاظل بين القول ولا يتبع حوشي الكلام ولا يصف الرجل الا بما يكون في الرجال (وذكر) عن بعض الائمة انه كان يحفظ ديوان هذيل وذكر ابو البركات بن الانبارى في كتاب طبقات الادباء فى ترجمة أبى جعفر احمد بن اسحق البهلول بن حيان الانبارى انه كان فقيهاً عالما واسع الادب وتقلد القضاء لعدة من الخلفاء * وحكى عن ولده أبى طالب قال كنت مع ابي في جنازة بعض اهل بغداد من الوجوه والى جانبه ابو جعفر الطبرى فأخذ ابى يعزي صاحب المصيبة ويسليه وينشده أشعارا ويروي له اخبارا فداخله الطبري في ذلك ثم اتسع الامر بينهما فى المذاكرة وخرجا الى فنون كثيرة من الادب والعلم استحسنها الحاضرون واعجبوا بها وتعالى النهار وافترقا فقال لي ابي يا بني من هذا الشيخ الذي داخلنا اليوم في المذاكرة فقلت يا سيدي كأنك لم تعرفه قال لا فقلت هذا ابو جعفر الطبري فقال انا لله ما احسنت عشرتي فقلت كيف يا سيدي فقال الا نبهتني في الحال فكنت اذاكره بغير تلك المذاكرة هذا رجل مشهور بالحفظ والاتساع فى صنوف العلم ما ذاكرته بحسبها ومضت على هذا مدة فحضرنا في حق آخر وجلسنا واذا بالطبري يدخل الى الحق فقلت له قليلا قليلا أيها القاضي هذا ابو جعفر الطبري قد جاء مقبلا فأومأ اليه بالجلوس عنده فعدل اليه وجلس الى جانبه واخذ يجاريه فكلما جاء الى قصيدة ذكر

الطبري منها ابياتا قال ابى هاتها يا ابا جعفر الى آخرها فيتلعثم الطبري فينشدها ابي الى آخرها وكلما ذكر شيأ من السير قال ابي هذا كان فى قصة فلان ويوم بنى فلان مر يا ابا جعفر فيه فربما مرور بما تلعثم فيمر ابى في جميعه ثم قمنا فقال لي الآن شفيت صدري (فاذا أكثر) المترشح للكتابة من حفظ ذلك وتدبر معانيه سهل عليه حله وظهرت له مواضع الاستشهاد به وساقه الكلام الى ابراز ما في دخيرة حفظه ووضعه في مكانه ونقله في الاستشهاد او التضمين الى ما كأنه وضع له كما اتفق للقاضي ابى بكر الارجاني في تضمين انصاف ابيات للعرب في بعض قصائده فقال

واهد الى الوزير المدح يجعل * لك المرباع منها والصفايا
ورافق رفقة رحلوا اليه * فآبوا بالنهاب وبالسبايا
وقل للراحلين الى ذراه * الستم خير من ركب المطايا
ولا تسلك سوى طرقى فاني * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

وكما قال بديع الزمان الهمداني انا لقرب دار مولاي كما طرب النشوان مالت به الخمر ومن الابتهاج لمرآه كما انتفض العصفور بلله القطر ومن الارتياح الى لقائه كما التقت الصهباء والبارد العذب ومن الامتزاج بولائه كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب * وكذلك حفظ جانب جيد من شعر المحدثين كأبي تمام ومسلم بن الوليد والبحتري وابن الرومي والمتنبي للطف مأخذهم ودوران الصناعة في كلامهم ورقة توليد المعاني في اشعارهم وقرب اسلوبهم من اسلوب الخطابة والكتابة وخصوصا المتنبي الذي كأنه ينطق عن السنة الناس في محاوراتهم وكثر الاستشهاد بشعره حتى قل من يجهله وحتى اكتفى بالبيت الواحد في الدلالة على القصد وبلوغ الغرض في الجواب كما كتب بعض ملوك العرب الى من كرر كتبه ورسله اليه بقول المتنبي

ولا كتب الا المشرفية عنده * ولا رسل الا الخميس العرمرم

وكذلك النظر في رسائل المتقدمين دون حفظها لما في النظر فيها من تنقيح القريحة وارشاد الخاطر وتسهيل الطرق والنسج على منوال المجيد والاقتداء

بطريقة المحسن واستحلاء ما انتجته القرائح من ابكار الافكار واستحلاء ما روقته الخواطر من حياض الالفاظ. واستدراك ما فات القاصر والاحتراز مما اظهره النقد ورد ما بهرجه السبك فاما النهي عن حفظ ذلك فلئلا يكل الخاطر عما في حاصله ويستند الفكر الى ما في مودعه ويكتفي بما ليس له ويتلبس بما لم يعط كلابس ثوبي زور (فمن ملح كلامهم) التى يتعين الاحتفاظ بها دون حفظها ويعلم المتعرض لهذه الصناعة انه لا سبيل له الى الجمع بين معناها ولفظها ما كتب به عبد الحميد ابن يحيي عند ظهور الخراسانية بشعار السواد * فاثبتوا ريثما تجلي هذه الغمرة وتصحو هذه السكرة فسينضب السيل وتمحى آية الليل * ومن ذلك قول ابراهيم بن العباس الصولي اذا كان للمحسن من الثواب ما يقنعه وللمسيء من النكال ما يقمعه بذل المحسن ما يجب عليه رغبة وانقاد المسيء الى ما كلفه رهبة (ومن ذلك قول ابي نصر الضبي) لما سمع القوم باقباله دب الفشل في تضاعيف أحسابهم وسرى الوهل في تفاريق أعصابهم وضاقت عليهم الارض بما رحبت فجيوب الاقطار عنهم مزرورة وذيول الخذلان عليهم مجرورة (ومنه قول الصابي) نزغ به شيطانه وامتدت به في الغي أشطانه (ومنه قول بديع الزمان) كتابي الى البحر وان لم اره فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه والملك العادل وان لم أكن لقيته فقد بلغني صيته ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره وهذه الحضرة وان احتاج اليها المأمون ولم يستغن عنها قارون فان الاحب اليّ أن أقصدها قصد موال والرجوع عنها بكمال احب اليّ من الرجوع عنها بمال قدّمت التعريف وانا انتظر الجواب الشريف (ومنه قول القاضى الفاضل) ووافينا قلعة نجم وهى نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وانملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة ونظائر ذلك في رسائلهم ورسائل غيرهم كثيرا جدّا * فاما من قصده المحاضرة بذلك دون الانشاء فالاحسن به حفظ ذلك وأمثاله وكذلك النظر في كتب الامثال الواردة عن العرب نظما ونثرا كأمثال الميداني والفضل بن سلمة الضبي وحمزة الاصبهاني وغيرهم وامثال المحدثين الواردة في اشعارهم

كأبي العتاهية وابي تمام والمتنبي وامثال المولدين والامثال الموضوعة على السن الحيوان للعرب وغيرهم ليستشهد بالمثل في موضعه ويورده في مكانه ويكون من وراء المعرفة باصله واول من ارسله مثلا ومن استشهد به وذكر سببه كمثل قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى واول من قال ذلك خالد بن الوليد رضى الله عنه قاله في صبح ليلة قطع فيها باصحابه مفازة كانت فى طريقه من العراق الى الشام وقولهم ساء سمعا فأساء اجابة اول من قال ذلك سهيل بن عمرو وكان تزوّج صفية بنت أبي جهل فولدت له ابنه انسا فرآه الاخنس إبن شريق الثقفي معه فقال من هذا فقال سهيل ابني فقال الاخنس حياك الله يافتى اين امك فقال لا والله ما امي ثم انطلقت الى ام حنظلة تطحن دقيقا فقال ابوه ساء سمعا فأساء اجابة فلما رجعا قال ابوه لامه فضحني ابنك اليوم قال كذا وكذا فقالت انما ابني صبي فقال اشبه امرؤ بعض بزه فارسلها مثلا وكتب الامثال موضوعة لذلك (وأما التمثل بالشعر) فقد روى ان عمر رضى الله عنه تمثل يوما بقول النابغة

ولست بمستبق إخا لا تلمه * على شعث اي الرجال المهذب

ثم قال لمن هذا فقيل له للنابغة فقال ذاك اشعر شعرائكم وسأل عمر ابن عباس رضى الله عنهم عن شئ فاجابه عنه فأعجبه جوابه فقال شنشنة اعرفها من اخزم وامثال ذلك مما تمثل به الصحابة كثير (واما الموضوع) على السن الحيوانات فقد روى ان عليا رضى الله عنه حين راى خلاف اصحابه وتخاذلهم قال انما اكلت يوما اكل الثور الابيض يعني انما خذلت يوما خذل عثمان وحكاية هذا المثل انهم قالوا اصطحب اسد وثور احمر وثور اسود وثور ابيض في اجمة فقال الاسد للاحمر وللاسود هذا الابيض يفضحنا بلونه ويطمع فينا من يقصدنا فلو تركتماني آكله امنا فضيحة لونه فاذ ناله في ذلك فاكله ثم قال للاحمر هذا الاسود يخالف لوني ولونك ولو بقيت انا وانت ظن من يراك اسدا مثلي فدعني آكله فسكت عنه فأكله ثم قال للثور الاحمر لم يبق الا انا وانت واريد ان آكلك

فقال افعل ما تريد فصعد وصاح ثلاثة اصوات الا انما اكلت يوم اكل الثور الابيض (وحكى) ان عبد الملك بن مروان حج وقدم المدينة فقال يا اهل المدينة قتل عثمان بين اظهركم فنحن لانحبكم وارسلنا لكم مسلم بن عقبة فقتلكم في وقعة الحرة فانتم لاتحبونا فمثلنا ومثلكم كما قال النابغة

كما لقيت ذات الصفا من حليفها * وكانت تريه المال غبا وظاهره
فلما راى ان قد تأثمل ماله * واثل موجودا وسد مفاقره
اكب على فأس يحد غرابها * مذكرة بين العوامل باتره
فلما وقاها الله ضربة فاسه * وللشر عين لا تغمض ناظره
فقال تعالى نجعل الله بيننا * على مالنا او تنجزي لي آخره
فقالت يمين الله افعل انني * رأيتك سحريا يمينك فاجره
ابى لي قبر لايزال مقابلي * وضربة فاس فوق راسي فاقره

وهذه الحكاية مشهورة في الموضوعات على السن الحيوان وهى ان اخوين هبطا بغنمهما واديا يرعيان فيه فخرجت حية من تحت الصفا وفي فمها دينار فألقته اليهما واقامت كذلك اياما فقال احدهما لابد لي من قتل هذه الحية واخذ هذا الكنز فنهاه اخوه فلم يقبل فخرجت فضربها بفاس بيده فشجها وشدت عليه فقتلته فدفنه اخوه مقابلها فلما خرجت قال هل لك ان نتعاهد على المودة وعدم الاذية وتعطيني ذلك الدينار كل يوم فقالت لاقال ولم قالت لانك كلما نظرت الى قبر اخيك لاتصفو لي وكلما ذكرت الشجة التى في راسي لا اصفو لك * واما امثال المحدثين فحكمها حكم امثال العرب الشعرية واما امثال المولدين فلانه يأتى منها مايستظرف كقول الارجاني

تأمل منه تحت الصدغ خالا * لتعلم كم خبايا في الزوايا

وكذلك النظر في الاحكام السلطانية فانه قد يؤمر بامر فيعرف بها كيف يخلص قلمه على حكم الشريعة المطهرة من ولاية القضاء والحسبة وغير ذلك فهذه أمور كلية لا بد للمترشح لهذه الصناعة من التصدي للاطلاع عليها والاكباب على مطالعتها والاستكثار منها لينفق من تلك المواد وليسلك في الوصول الى

تلك الصناعة بذلك الجواد والا فليعلم انه في واد والكتابة في واد واما الامور الخاصة التي تزيد معرفتها قدره ويزين العلم بها نظمه ونثره فانها من المكملات لهذا الفن وان لم يضطر اليها ذو الذهن الثاقب والطبع السليم والقريحة المطاوعة والفكرة المنقحة والبديهة المجيبة والروية المتصرفة لكن العالم بها متمكن من ازمة المعاني يقول عن علم ويتصرف عن معرفة وينتقد بحجة ويتخير بدليل ويستحسن ببرهان ويصوغ الكلام بترتيب (فمن ذلك) علم المعاني والبيان والبديع والكتب المؤلفة فى اعجاز الكتاب العزيز ككتب الرماني والجرجاني والامام فخر الدين والسكاكي والخفاجي وغيرهم وانا اشير الآن الى نكت منها تدل على جلالة قدر هذا العلم وعظم الفائدة به وان الاديب والكاتب العاريين منه قاصران عن ادنى رتب الكمال يجيدان ولا يدريان كيف يجيبان فلو سئل عن علة معنى استحسانه او لفظ استحلاه او تركيب استجاده لم يقدر على الاتيان بدليل على ذلك كما قال بعضهم

يا ابا جعفر أتحكم فى الشعر * وما فيك آلة الحكام
ان نقد الدينار الا على الصر * في صعب فكيف نقد الكلام
قد رأيناك لست تفرق في الاشعار بين الارواح والاجسام

وحكى الامام عبد القاهر الجرجاني قال ركب الكندي المتفلسف الى ابي العباس وقال له اني اجد في كلام العرب حشوا فقال له ابو العباس في اي موضع وجدت ذلك قال وجدت العرب تقول عبدالله قائم ثم يقولون ان عبدالله قائم ثم يقولون ان عبدالله لقائم فالالفاظ متكررة والمعنى واحد فقال ابو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الالفاظ فقولهم عبدالله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبدالله لقائم جواب عن انكار منكر قيامه فما احار المتفلسف جوابا فاذا ذهب مثل هذا على الكندي فما الظن بغيره وان كان من محاسن الكلام ما لا يحكم في امتزاجه بالقلوب غير الذوق السليم كما قال الشاعر

شيء به فتن الورى غير الذي * يدعى الجمال ولست ادري ماهو

لكن الغالب في الكلام يعلم سبب تحسينه وتعلل مواد تمكينه ويجاب عن العلة في انحطاطه وارتفاعه ويذكر المعنى في ارتقائه من حضيض القول الى ايفاعه

(فاقول) ملخصا من ذلك ما يشير الى الغرض ان شاء الله تعالى وهو * البلاغة ان يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة في غير املال والفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ يقال معنى بليغ ولفظ فصيح والفصاحة خاصة تقع في المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة وانت تريد المفرد فانه يقال للقصيدة كلمة كما قالوا كلمة لبيد ففصاحة المفرد خلوصه من تنافر الحروف كقول اعرابي سئل عن ناقته تركتها ترعى الهعخع وكقول امرئ القيس * ذوائبه مستشزرات الى العلى * ومن الغرابة وهي ان تكون الكلمة وحشية كما قال عيسى بن عمرو النحوي وقد سقط عن دابته مالكم تكأكأتم عليّ كتكأكئكم على ذي جنة افرنقعوا عني اي اجتمعتم عليّ تنحوا ومن مخالفة القياس كقول الراجز * الحمد لله العلي الاجلل * فان القياس الادغام واما فصاحة الكلام فهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد فالضعف كما في قول الشاعر

جزى ربه عني عديّ بن حاتم * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فان رجوع الضمير الى المفعول يلزم منه رجوعه الى ماهو متأخر لفظا ورتبة والتنافر كقول القائل * وليس قرب قبر حرب قبر * والتعقيد كقول الفرزدق

وما مثله في الناس الا مملكا * ابو امه حيّ ابوه يقاربه

اراد ان يقول وما مثله في الناس حيّ يقاربه الا مملكا ابو امه ابوه

(فصل) الحقيقة في اللغة فعيلة بمعنى مفعولة من حق الامر يحقه بمعنى أثبته او من حققته اذا كنت منه على يقين والمجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه اذا تعداه فاذا عدل باللفظ عما يوجبه اصل اللغة وصف بأنه مجاز على انهم قد جازوا به موضعه الاصلي او جاز هو مكانه الذي وضع فيه اولا لانه ليس بموضع اصلي لهذا اللفظ ولكنه مجازه ومتعداه يقع فيه كالواقف بمكان غيره ثم يتعداه الى مكانه الاصلي (وحدهما في المفرد) ان كل كلمة اريد بها ما وضعت له فهي حقيقة

كالاسد للحيوان المفترس واليـد للجارحة ونحو ذلك وان اريد بها غيره لمناسبة بينهما فهي مجاز كالاسد للشجاع واليد للنعمة او القوة فان النعمة تعطي باليد والقوة تظهر بكمالها في اليد (وحدها في الجملة) ان كل جملة كان الحكم الذي دلت عليه كما هو في العقل فهي حقيقـة كقولنا خلق الله الخلق وكل جملة اخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في العقـل لضرب من التأويل فهي مجاز كما اذا اضيف الفعل الى شيء يضاهي الفاعل كالمفعول به في قوله تعالى عيشة راضية وماء دافق او المصدر كقولهم شعر شاعر او الزمان كقول النعمان بن بشير لمعاوية وليلك عما ناب قومك نائم * او المكان كقولك طريق سائر او المسبب كقولهم بنى الامير المدينة او السبب كقوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمـانا (فمجاز المفرد لغوي) ويسمى مجازا في المثبت (ومجاز الجملة عقلي) ويسمى مجازا في الاثبات * اذا عرفت هذا فنقول المجاز قد يكون في الاثبات وهو ان يضيف الفعل الى غير الفاعل الحقيقي كما ذكرنا وقد يكون في المثبت وحده كقوله تعالى فاحيينا به الارض بعد موتها جعل خضرة الارض ونضرتها حياة وقـد يكون فيهمـا جميعاً كقولك احيتني رؤيتك تريد سرتني فقـد جعلت المسرة حياة واسندتها الى الرؤية وهو مجاز في الاثبات والمجاز اعم من الاستعارة والتمثيـل والكناية فهو جنس لها (واعلم) انهم تعرضوا في كون اللفظ مجازا الى اعتبار شيئين الاول ان يكون منقولا عن معنى وضع اللفظ بازائه وبهذا يتميز عن اللفظ المشترك الثاني ان يكون ذلك النقل لمناسبة بينهما ولا توصف الاعلام المنقولة بانها مجاز اذ ليس نقلها لتعلق نسبـة بين المنقول وبين من له العلم واذا تحقق الشرطان سمي مجازا وذلك مثل تسمية النعمة والقوة باليد لما بين اليد وبينهما من التعلق وكما قالوا رعينا الغيث يريدون النبت الذي الغيث سببه واصابتنا السمـاء يريدون المطر والمجاز قد يكون بزيادة كقوله تعالى وكفى بالله شهيداً وبنقصان كقوله تعالى واسأل القرية وانما يكون كل منهما مجازا اذا تغير بسببه حكم فاما اذا لم يتغـير كقولك زيد منطلق وعمرو بحذف الخبـر فلا يكون مجازا اذ لم يتغير حكم ما بقي من الكلام * (القول في التشبيه) * وهو الدلالة على اشتراك

شيئين في وصف هو من اوصاف الشيء الواحد في نفسه كالشجاعة في الاسد والنور في الشمس وهو ركن من اركان البلاغة لاخراجه الخفي الى الجلي وادنائه البعيد من القريب وهو حكم اضافي لا يوجد الا بين الشيئين بخلاف الاستعارة وليس الحكم انه اذا صحت الاستعارة حسن التصريح بالتشبيه فان المشابهة اذا قرنت بين الشيئين بالاستعارة قبح التصريح بالتشبيه فلا تقول كأنك اوقعتني في ظلمة اذا اوقعك في شبهة ولا فهمت المسالة فكأنه انشرح صدري او كأن نورا حصل في قلبي لتمكن هذه الاشياء حتى كأنها صارت حقيقة (ثم التشبيه على اربعة اقسام) الاول تشبيه محسوس بمحسوس لاشتراكهما اما في المحسوسات الاولى وهي مدركات السمع والبصر والذوق والشم واللمس كتشبيه الخد بالورد والوجه بالنهار واطيط الرحل باصوات القراريج والفواكه الحلوة بالسكر والعسل ورائحة بعض الرياحين بالكافور والمسك واللين الناعم بالخز والخشن بالمسح او في المحسوسات الثانية وهي الاشكال المستقيمة والمستديرة والمقادير والحركات كتشبيه المستوي المنتصب بالرمح والقد اللطيف بالغصن والشيء المستدير بالكرة والحلقة وعظم الجثة بالجبل والذاهب على الاستقامة بنفوذ السهم او في الكيفيات الجسمانية كالصلابة والرخاوة او في الكيفيات النفسانية كالغرائز والاخلاق او في حالة اضافية كقولك هذه حجة كالشمس والجامع ان كل واحد منهما مزيل للحجاب وكقولك الفاظه كالماء في السلاسة وكالنسيم في الرقة وكالعسل في الحلاوة والجامع سرعة وصوله الى انفس واهتزازها به وربما كان التشبيه بوجه عقلي كقول فاطمة بنت الخرشب الانمارية حين وصفت بنيها هم كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفاها فانه لا يفهم المقصود الا من له ذهن يترفع عن طبقة العامة بخلاف ما سبق ومن الفرق الظاهر بينهما ان جعل الفرع اصلا والاصل فرعا يجيء فيما تقدم مجيئا واسعا كقولهم في النجوم كأنها مصابيح وفي المصابيح كأنها نجوم وان حاولت ذلك في الثاني لم يكد ينقاد انقياد الاول (الثاني) تشبيه المعقول بالمعقول كتشبيه الوجود العاري عن الفوائد بالعدم وتشبيه الفوائد التي تبقى بعد عدم الشيء بالوجود كقول الشاعر

رب حي كميت ليس فيه * امل يرتجي لنفع وضر
وعظام تحت التراب وفوق الارض منها آثار حمد وشكر

(الثالث) تشبيه المعقول بالمحسوس كقوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة وكقوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف (الرابع) تشبيه المحسوس بالمعقول وهو غير جائز لان العلوم مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما فاذا كان المحسوس اصلا للمعقول فتشبيهه به يكون جعلا للفرع اصلا والاصل فرعا ولذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور والمسك بالثناء فقال الشمس كالحجة في الظهور والمسك كالثناء في الطيب كان سخيفا من القول فاما ما جاء في الاشعار من تشبيه المحسوس بالمعقول فوجهه ان يقدر المعقول محسوسا ويجعل كالاصل المحسوس على طريق المبالغة فيصح التشبيه حينئذ وذلك كما قال الشاعر

وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

فانه لما شاع وصف السنة بالبياض والاشراق على ما قال صلى الله عليه وسلم اتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها واشتهرت البدعة وكل ما ليس بحق بالظلمة تخيل الشاعر ان السنن كأنها من الاجناس التى لها اشراق ونور وان البدع نوع من الانواع التى لها اختصاص بالسواد والظلمة فصار ذلك عنده كتشبيه محسوس بمحسوس فجاز له التشبيه وبالجملة فهذا التشبيه لا يتم الا بتخيل ما ليس يمتلون متلونا ثم يتخيل اصلا فيشبه به وهذا هو التأويل فى قول ابى طالب الرقي

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فانه لما كانت الاوقات التى تحدث فيها المكاره توصف بالسواد يقال اسودت الدنيا في عينه جعل يوم النوى كأنه اشهر واعرف بالسواد من الظلام فعرفه به وشبهه ثم عطف عليه فؤاد من لا يعشق تظرفا لان الظريف يدعي القساوة على من لا يعشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد فصار هذا القلب اصلا عنده في السواد فقس عليه وهكذا الكلام في قول الشاعر

كأن انتضاء البدر من تحت غيمه * نجاة من البأساء بعد وقوع

وفي قول القاضي التنوخي

اما ترى البرد قد وافت عساكره * وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا

فانهض بنار الى فحم كأنهما * في العين ظلم وانصاف قد اتفقا

جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا * بردا فصرنا كقلب الصب اذ عشقا

وكذلك قول الصاحب ابن عباد حين اهدى للقاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني عطرا .

يا ايها القاضي الذي نفسي له * في قرب عهد لقائه مشتاقه

أهديت عطرا مثل طيب ثنائه * فكأنما اهدى له اخلاقه

والعادة تشبيه الثناء بالعطر وهو عكس الامر على جهة المبالغة كما بينا وكذلك قول جحظة .

ورق الجو حتى قيل هذا * عتاب بين جحظة والزمان

وقلت في تشبيه حصن

كأنه وكأن الجو يكنفه * وهم تمثله في طيها الفكر

لانه لما ارتفع في الجو حتى صار كالوهم فيكون من تشبيه المحسوس بما تخيل انه محسوس لانظلامه في العين او فرض له الخفاء حتى صار يشبه معقول بمعقول وقال ابو اسحق الصابي في بعض رسائله وهو فى نشوزه عنا وطلبنا اياه كالضالة المنشودة وما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردودة * ويقرب من هذا النوع تشبيه الوجود بالتخيل الذي لا وجود له في الاعيان كتشبيه الجمر بين الرماد بحر من المسك موجه الذهب وذلك انما يتم اذا فرض المتخيل امورا كل واحد منها موجود فى الاعيان فحينئذ يكون التشبيه حسنا لطيفا كقول الشاعر في النرجس

كأن عيون النرجس الغض بيننا * مداهن در حشوهن عقيق

وكقول الآخر في تشبيه الشقائق

وكان محمر الشقيق * اذا تصوب او تصعد * اعلام ياقوت نشر * ن على رماح من زبرجد

ويقرب من هذا الجنس قول امرئ القيس

اتقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب اغوال

فانهم لم يشاهدوا انياب الاغوال بل اعتقدوا انها في غاية الحدة فحسن التشبيه وعليه جاء قوله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين لتناهي رؤس الشياطين في الكراهة ولاعتقادهم الغاية في قبح الشياطين وكراهيته يشبهون به الوجه القبيح ولاعتقادهم الغاية في خير الملك وانه لاشر فيه يشبهون به الصور الحسنة قال الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم واعلم ان ما به المشابهة قد يكون مقيدا بالانتساب الى شيء وذلك اما الى المفعول به وهو الجار والمجرور كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد كالراقم على الماء واما الى الحال كقولهم كالحادي وليس له بغير الواو للحال واما الى المفعول به والجار والمجرور كقولهم هو كمن يجمع السيفين في غمد وكمبتغي الصيد فى عريسة الاسد ومن ذلك قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فان التشبيه لم يحصل من مجرد الحمل بل لامرين آخرين معه تعديته الى الاسفار واقتران الحمل بما فيها لان الغرض توجيه الذم الى من اتعب نفسه في حمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لا ينتفع به لجهله وكقول لبيد

وما الناس الا كالديار واهلها * بها يوم حلوها وعدوا بلاقع

فانه لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم بحلولهم الديار ووشك رحيلهم منها وكلما كانت المقيدات اكثر كان التشبيه اوغل في كونه عقلياً كقوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس فان التشبيه منتزع من مجموع هذه الجمل من غير ان يمكن فصل بعضها من بعض فانك لو حذفت منها جملة واحدة من اي موضع كان اخل ذلك بالمقصود من التشبيه * ثم ما به المشابهة ان كان مركبا فانه على قسمين الاول ما لا يمكن افراد احد اجزائه بالذكر كقول القاضي التنوخي

كأنما المريخ والمشتري * قدامه فى شامخ الرفعه

منصرف بالليل عن دعوة * قد اسرجت قدامه شمعه

فانك لو اقتصرت على قوله كانما المريخ منصرف عن دعوة او كان المشتري شمعة لم يحصل ما قصده الشاعر فانه انما قصد الهيئة التي يكتسبها المريخ من كون المشترى امامه ولى في مثل ذلك

كأن سهيلا والنجوم وراءه * صفوف صلاة قام فيها امامها

فانه لايمكن افراد اجزاء هذا التشبيه اذ لو قلت كأن سهيلا امام وكأن النجوم صفوف صلاة ذهبت فائدة هذا التشبيه الثانى ما يمكن افراده بالذكر ويكون اذا أزيل منه التركيب صحيح التشبيه في طرفيه الا ان المعنى مغير كقول ابي طالب الرقي

وكأن اجرام النجوم لوامعا * درر نثرن على بساط أزرق

فلو قلت كان النجوم درر وكان السماء بساط أزرق وجدت التشبيه مقبولا ولكن المقصود من الهيئة المشبه بها قد زال وربما كان التشبيه في أمور كثيرة لايتقيد بعضها ببعض وانما يكون بعضها مضموما الى بعض وكل واحد منها منفرد بنفسه كقولك زيد كالاسد بأسا والبحر جودا والسيف مضاء والبدر بهاء وكقولك هو يصفو ويكدر ويحلو ويمر وله خاصتان احداهما أنه لايجب فيه الترتيب والثانية اذا أسقط البعض لايتغير حكم الباقى ومنه قول الشاعر

سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا والتفتن جآذرا

ومنه قول امرىء القيس

كان قلوب الطير رطبا و يابسا * لدى وكرها والحشف البالى

وفيه نظر * وقد ذكر بعض المتأخرين في التشبيه سبعة انواع نحن نوردها وان لم تكن كلها منه الاوّل التشبيه المطلق وهو أن يشبه شيأ بشىء من غير عكس ولا تبديل كقوله تعالى والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقوله تعالى وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام وقوله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية وقول النبي صلى الله عليه وسلم الناس كاسنان المشط الثانى التشبيه المشروط وهو ان يشبه شيأ بشيء لو كان بصفة كذا أو لولا أنه بصفة كذا كقوله أشبه وجه مولانا بالعيد المقبل لو كان العيد تبقى ميامنه وتدوم محاسنه وكقوله وجه

هو الشمس لولا كسوفها والقمر لولا خسوفه وكقول البديع الهمداني

قد كان يحكيك صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

وكقول الآخر

عزماته مثل النجوم ثواقبا * لو لم يكن للثاقبات أفول

الثالث تشبيه الكناية وهو ان يشبه شيأ بشيء من غير اداة التشبيه كقول المتنبي

بدت قمرا وماست خوط بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وقول الواوا الدمشقي

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

الرابع تشبيه التسوية وهو أن يأخذ صفة من صفات نفيسة وصفة من الصفات المقصودة ويشبههما بشيء واحد كقوله

صدغ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى * وثغره في صفاء وادمعى كاللآلى

وقلت في هذا التشبيه

أسروا الى ليلى سراهم فما انجلى * وبات كطرفي نجمه وهو حيران

كلانا غريق فى الدموع وفي الدجى * كأن دموع العين والليل طوفان

الخامس التشبيه المعكوس وهو أن يشبه شيئين كل واحد منهما بالآخر كقول بعضهم كم من دم أهرقناه في البر وشخص اغرقناه في البحر فاصبح البر بحرا بدمائهم والبحر برا باشلائهم وكقول الشاعر

الخمر تفاح جرى ذائبا * كذلك التفاح خمر جمد

فاشرب على جامد ذوبه * ولا تبع لذة يوم بغد

وكقول الصاحب بن عباد

رق الزجاج ورقت الخمر * وتشابها وتشاكل الامر

فكأنه خمر ولا قدح * وكأنه قدح ولا خمر

وقول منصور الهروى

الراح مثل الماء في كاساتها * والماء مثل الراح فى الغدران

السادس تشبيه الاضمار وهو أن يكون مقصوده التشبيه بشيء ويدل ظاهر لفظه على أن مقصوده غيره كقول المتنبي

ومن كنت جارا له ياعلي * فلا يقبل الدر الا كبار

فيدل ظاهره على مقصوده الدر وانما غرضه تشبيه الممدوح بالبحر وكقول الشاعر

ان كان وجهك شمسا * فما لجسمي يذوب

السابع تشبيه التفصيل وهو ان يشبه شيأ بشى ثم يرجع فيرجح المشبه على المشبه به كقوله

حسبت جماله بدرا مضيئا * وأين البدر من ذاك الجمال

وكقول ابن هند

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين شيئين
أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وذاك ان جاد دامع العين

وقد تقدم تشبيه شيء بشيء فاما تشبيه شيء بشيئين فكقول امرىء القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع رمل أومساويك أسحل

وأما تشبيه شيء بثلاثة اشياء فكقول البحتري

كأنما يبسم عن لؤلؤ * منضدا وبردأ واقاح

وتشبيه شيء باربعة اشياء كما قلت

لله طرس عن سطور جادها الفكر السليم بصوت مسك اذفر
فكانما هو روضة او جدول * او سمط در أو قلادة عنبر

وأما تشبيه شيء بخمسة فكقول الحريري

يفترّ عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

وأما تشبيه شيئين بشيئين فكما مرّ من قول امريء القيس

كان قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي

واما تشبيه ثلاثة بثلاثة فكقول الآخر

ليل وبدر وغصن * شعر ووجه وقدّ
خمر ودرّ وورد * ريق وثغر وخد

وأما تشبيه اربعة باربعة فكقول امرئ القيس

له ايطلا ظبي وساقا نعامة * وارخاء سرحان وتقريب تتفل

وكقول أبي نواس

يبكي فيذري الدر من نرجس * ويلطم الورد بعناب

وأما تشبيه خمسة أشياء بخمسة أشياء فكقول أبي الفرج الواوا الدمشقي وقد مرّ

قالت متى الظعن ياهذا فقلت لها * اما غداة زعموا أولا فبعد غد

فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وله تشبيه اربعة اشياء باربعة اشياء وهو

كان الدراري والهلال ودارة * حوته وقد زان الثريا التئامها

حباب طفا من حول زورق فضة * بكف فتاة طاف بالراح جامها

قال الشيخ بدر الدين الحموي النحوي أنشدني شيخنا القاضي قاضي القضاة نجم الدين بن البارزى تشبيه سبعة أشياء بسبعة أشياء لنفسه

يقطع بالسكين بطيخة ضحى * على طبق في مجلس لأصحابه

كشمس ببرق قدّ بدرا أهلة * كذي هالة في الافق بين كواكبه

ومن انواع التشبيه التمثيل وهو الذي يكون تشبيها واحدا مقيدا بقيود ويظن انها تشبيهات مجموعة كقوله

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة * فلما رجوها أقشعت وتجلت

فان مجرد قوله أبرقت قوما عطاشا غمامة ليس تشبيها مستقلا بنفسه لان مقصود الشاعر ان يصف ابتدأ مطمع أدى الى انتهاء مويس وذلك لا يتم الا بجملة البيت فان تأدية الشيء الى غيره حكم زائد على ذاته

﴿ فصل ﴾ الغرض من التشبيه قد يكون بيان امكان وجود الشيء عند أدعاء ما لا يكون امكانه بينا كقول ابن الرومي

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

وكقول المتنبي

فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

او بيان مقداره كما اذا حاولت نفي الفائدة عن فعل انسان قلت هو كالقابض على الماء لان للخلو عن الفائدة مراتب مختلفة في الافراط والتفريط فاذا مثل بالمحسوس عرفت مرتبته وذلك لو أردت الاشارة الى تنافي الشيئين فاشرت الى ماء ونار فقنت هذا وذاك هل يجتمعان كان تأثيره زائدا على قولك هل يجتمع الماء والنار وكذلك اذا قلت في وصف يوم كاطول ما يتوهم أو لا آخر له أو أنشدت قوله

في طول ليل تناهى العرض والطول * كأنما ليله بالليل موصول

لم تجد فيه من الانس ما تجده في قوله

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاف المزاهر

وما ذاك الا للتشبيه بالمحسوس والا فالاول أبلغ لان طول الرمح متناه وفي الاول حكمت أن ليله موصول بالليل وكذلك لو قلت في قصر اليوم كانه ساعة وكلمح البصر لوجدته دون قوله

ظللنا عند دار أن أنيس * بيوم مثل سالفة الذباب

وقوله ويوم كابهام القطاة مزين * الي ضياه غالب لى باطله

وقد يكون غرض التشبيه عائدا الى المشبه به وذلك أن يقصد أن يوهم في الشيء القاصر عن نظيره أنه زائد عليه فشبه الزائد به كقوله

وبدا الصباح كأن غرته * وجه الخليفة حين يمتدح

وهذا أبلغ واحسن وأمدح من تشبيه الوجه بالصباح لان تشبيه الوجه بالصباح أصل متفق عليه لا ينكر ولا يستنكر وانما الذي يستنكر تشبيه الصباح بالوجه ثم الغرض بالتشبيه ان كان الحاق الناقص بالزائد امتنع عكسه مع بقاء هذا الغرض وان كان الجمع بين شيئين في مطلق الصورة والشكل او اللون صح العكس كتشبيه الصبح بغرة الفرس الادهم لا للمبالغة في الضياء بل لوقوع منير في مظلم وحصول بياض قليل في سواد كثير والتشبيه قد يجيء غريبا يحتاج في ادراكه الى دقة نظر كقول ابن المعتز * والشمس كالمرآة في كف الاشل * والجامع الاستدارة والاشراق مع تواصل الحركة التي تراها اذا أمعنت النظر في اضطراب نور

الشمس ويقرب منه قول الآخر في طلوع الشمس وظهورها في خلل الاوراق

كان شعاع الشمس في كل غدوة * على ورق الاشجار اول طالع
دنانير فى كف الاشل يضمها * لقبض وتهوى من فروج الاصابع

وكقول الوزير المهلبي

الشمس من مشرقها قد بدت * مشرقة ليس لها حاجب
كأنها بودقة أحميت * يجول فيها ذهب ذاهب

ومن لطيف ما جاء فى هذا النوع من التشبيه قول الاخطل فى صفة المصلوب

كأنه عاشق قد مدّ صفحته * يوم الوداع الى توديع مرتحل
او قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

شبهة بالمتمطى لان المتمطي يمد يديه وظهره ثم يعود الى حالته الاولى فزاد فيه انه مواصل لذلك وعلله بالقيام من النعاس لما فى ذلك من اللوثة والكسل ومن فساد التشبيه ان يجيء منكوسا كقول الفرزدق

والشيب ينهض فى الشباب كانه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فذكر ان الشيب يبدو في الشباب ثم ترك ما ابتدأ به ووصف الشباب بأنه ليل يصيح فيه نهار والذي تقتضيه المقابلة الصحيحة ان يقول كما ينهض نهار في جانبي ليل ﴿ فصل ﴾ التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعانى وله الفاظ تدل عليه وضعا فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه وانما هو توطئة لمن يسلك سبل الاستعارة والتمثيل لانه كالاصل لهما وهما كالفرع له والذي يقع منه في حيز المجاز عند اهل هذا الفن هو الذى يجيء على حدّ الاستعارة كقولك لمن تردد في الامر بين ان يفعله او يتركه اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى والاصل اراك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر اخرى ﴿ القول في الاستعارة ﴾ هو ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظا وتقديرا وان شئت قلت هو جعل الشيء الشيء أو جعل الشيء للشيء لاجل المبالغة في التشبيه فالاول كقولك لقيت اسدا تعني الرجل الشجاع والثانى كقول لبيد * إذ أصبحت بيد الشمال زمامها * أثبت اليد للشمال مبالغة فى تشبيهها بالقادر

في التصرف فيه وسيأتي تحقيق ذلك ان شاء الله تعالى * وحدّ الرماني الاستعارة فقال هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل للابانة وقال ابن المعتز هي استعارة الكلمة من شئ قد عرف بها الى شئ لم يعرف بها وذكر الخفاجي كلام الرماني وقال وتفسير هذه الجملة أن قوله عز وجل واشتعل الرأس شيبا استعارة لان الاشتعال للنار ولم توضع في أصل اللغة للشيب فلما نقل اليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه لان الشيب لما كان نافذا في الرأس شيئا فشيئا حتى يحيله الى غير لونه الاول كان بمنزلة النار التي تسري في الخشب حتى تحيله الى غير حالته المتقدمة فهذا من نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان ولا بد من ان يكون أوضح من الحقيقة لاجل التشبيه العارض فيها لان الحقيقة لو قامت مقامها لكانت اولى بها لانها الاصل وليس يخفى على المتأمل ان قوله عز وجل واشتعل الرأس شيبا أبلغ من كثر شيب الرأس وهو حقيقة هذا المعنى ولا بدّ للاستعارة من حقيقة هي أصلها وهي مستعار منه ومستعار ومستعار له فالنار مستعار منها والاشتعال مستعار والشيب مستعار له واما قولنا مع طرح ذكر المشبه فاعلم انا اذا طرحناه كقولنا رأيت اسدا وأردنا الرجل الشجاع فهو استعارة بالاتفاق وان ذكرنا معه المشبه وقلنا زيد أسد فالمختار انه ليس باستعارة اذ في اللفظ ما يدل على انه ليس بأسد فلم تحصل المبالغة واذا قلت زيد الاسد فهو أبعد عن الاستعارة فان الاول خرج بالتنكير من ان يحسن فيه كاف التشبيه فان قولك زيد كاسد كلام نازل بخلاف الثاني * قال ضياء الدين بن الاثير وهذا التشبيه المضمر الاداة قد خلطوه بالاستعارة ولم يفرقوا بينهما وذلك خطا محض وساوضح وجه الخطا فيه وأحقق القول في الفرق بينهما فاقول اما التشبيه المظهر الاداة فلا حاجة لبيان ذكره لانه لا خلاف فيه ولكن نذكر التشبيه المضمر الاداة فنقول اذا ذكر المنقول والمنقول اليه على انه تشبيه مضمر الاداة قل فيه زيد أسد أي كالاسد فاداة التشبيه فيه مضمرة مقدرة واذا ظهرت حسن ظهورها ولم يقدح في الكلام الذي أظهرت فيه ولم تزل عنه أفصاحته وهذا بخلاف ما اذا ذكر المنقول اليه دون المنقول فانه لا يحسن فيه

ظهور اداة التشبيه واذا ظهرت زال عن ذلك الكلام ما كان متصفا به من الحسن والفصاحة ولنضرب لذلك مثالا نوضحه فنقول قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

وهذا لا يحسن تقدير اداة التشبيه فيه ولا يقال عجل قدّ كالقضيب وأبطأ ردف كالدعص فالفرق إذا بين التشبيه المضمر الاداة وبين الاستعارة ان التشبيه المضمر الاداة يحسن اظهار أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن ذلك فيها والاستعارة اخص من المجاز اذ قصدُ المبالغة شرط في الاستعارة دون المجاز وايضاً فكل استعارة من البديع وليس كل مجاز منه والحق ان المعنى يعار اولا ثم بواسطته يعار اللفظ ولا تحسن الاستعارة الاحيث كان التشبيه مقررا بينهما ظاهرا والافلا بدّ من التصريح بالتشبيه فلو قلت رأيت نخلة او خامة وانت تريد مؤمنا اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل النخلة او مثل الخامة لكنت كالملغز التارك لما يفهم وكلما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسناً بحيث يكون ألطف من التصريح بالتشبيه فانك لو رمت ان تظهر التشبيه في قول ابن المعتز

أثمرت اغصان راحته * لجناة الحسن عنابا

احتجت ان تقول أثمرت أصابع راحته التي هى كالاغصان لطالب الحسن شبه العناب من اطرافها المخضوبة وهذا مما لا خفاء بغثاثته وربما جمع بين عدة استعارات الحاقا للشكل بالشكل لاتمام التشبيه فتزيد الاستعارة به حسناً كقول امريء القيس في صفة الليل

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف اعجازا وناء بكلكل

﴿ فصل فيما تدخله الاستعارة وما لا تدخله ﴾ الاعلام لا يدخلها الاستعارة لما تقدم في المجاز واما الفعل فالاستعارة تقع اولا في المصدر ثم تقع بواسطة ذلك فى الفعل فاذا قلت نطقت الحال بكذا فهذا انما يصح لانك وجدت الحال مشابهة للنطق في الدلالة على الشيء فلا جرم استعرت النطق لتلك الحالة ثم نقلته الى الفعل والاسماء المشتقة فى ذلك كالفعل فظهر ان الاستعارة انما تقع وقوعا أوّليا فى أسماء الاجناس ثم الفعل اذا كان مستعارا فاستعارته اما من جهة

فاعله كقوله نطقت الحال بكذا ولعبت به الهموم وقول جرير

يخشى الرواسس ربعها فتجده * بعد البلى وتميته الامطار

وقول أبى حية

وليلة مرضت من كل ناحية * فما يضيء لها شمس ولا قمر

أو من جهة مفعوله كقول ابن المعتز

جمع الحق لنا في امام * قتل الجور وأحيا السماحا

أو من جهة مفعوليه كقول الحريري

وأقرى المسامع اما نطقت * بيانا يقود الحرون الشموسا

أو من جهة أحد مفعوليه كقول الشاعر

نقريهم لهذميات نقد بها * ماكان خاط عليهم كل زراد

أو من جهة الفاعل والمفعول كقوله تعالى يكاد البرق يخطف أبصارهم ويتصل بهذا ترشيح الاستعارة وتجريدها أما ترشيحها فهو ان تنظر فيها الى المستعار وتراعى جانبه وتوليه ما تستدعيه وتضم اليه ما تقتضيه كقول كثير

رمتني بسهم ريشه الهدب لم يصب * ظواهر جسمي وهو في القلب جارح

وكقول النابغة

وصدر ازاح الليل عازب همه * تضاعف فيه الحزن من كل جانب

المستعار في كل واحد منهما وهو الرمي والازاحة منظور اليهما في لفظي السهم والعازب وكما أنشد صاحب الكشاف

تنازعني ردائي عند عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر

لي الشطر التى ملكت يميني * ودونك فاعتجر منه بشطر

اراد بردائه سيفه ثم نظر الى المستعار فى لفظة الاعتجار واما تجريدها فهو ان يكون المستعار له منظور اليه كقوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف فان الاذاقة لما وقعت عبارة عما يدرك من اثر الضرر والألم تشبيهاً له بما يدرك من طعم المر الشبع واللباس عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قال فاذاقها ما غشيها من الم الجوع والخوف وقول زهير

لدى أسد شاكى السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

فلو نظر الى المستعار لقال لدى أسد دامي المخالب أو دامي البراثن مثلا ونظر زهير فى آخر البيت الى المستعار أيضا ومنه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * علقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء ويقرب من ذلك الاستعارة بالكناية وهو أن لا يصرح بذكر المستعار بل يذكر بعض لوزامه تنبيها به عليه كقولهم شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس وكقول أبى ذؤيب

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

تنبيها على أن الشجاع أسد والعالم بحر والمنية سبع وهذا وان كان يشبه الاستعارة المجردة الا أنه أغرب وأعجب ويقرب منه قول زهير

ومن يعص أطراف الزجاج فانه * يطيع العوالي ركبت كل لهذم

أراد أن يقول من لم يرض باحكام الصلح رضي باحكام الحرب أي اشرعوا الاسنة وأخروا الرماح وقد يسمى هذا النوع المماثلة ايضا وقد ينزلون الاستعارة منزلة الحقيقة وذلك انهم يستعيرون الوصف المحسوس للشيء المعقول ويجعلون كأن تلك الصفة ثابتة لذلك الشيء في الحقيقة وان الاستعارة لم توجد اصلا مثاله استعارتهم العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل والقدر والسلطان ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر علوا مكانيا كقول ابي تمام

ويصعد حتى يظن الحسود * بان له حاجة فى السماء

وكقوله ايضا

مكارم لجت في علو كأنما * تحاول ثارا عند بعض الكواكب

وكذلك يستعيرون اسم شيء لشيء من نحو شمس او بدر او اسد ويبلغون الى حيث يعتقد انه ليس هناك استعارة كقول ابن العميد

قامت تظللني من الشمس * نفس اعز علي من نفسي

قامت تظللني ومن عجب * شمس تظللني من الشمس

وكقول آخر

أيا شمعا يضيء بلا انطفاء * ويا بدرا يلوح بلا محاق
فانت البدر مامعنى انتقاصي * وأنت الشمع مامعنى احتراقي

فلولا انه انسى نفسه ان ههنا استعارة لما كان لهذا التعجب معنى ومدار هذا النوع على التعجب وقد يجيء على عكسه كقول الشاعر

لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زر ازراره على القمر

وهذا أيضاً يتم بالحكم الجزم بكونه قمرا ليكون من شانه أن يبلي الكتان

﴿ فصل في أقسام الاستعارة وهي على نوعين ﴾ الاول أن يعتمد نفس التشبيه وهو أن يشترك شيآن في وصف وأحدهما أنقص من الآخر فيعطي الناقص اسم الزائد مبالغة في تحقيق ذلك الوصف له كقولك رايت اسدا وانت تعني رجلا شجاعا وغنت لنا ظبية وانت تريد امرأة والثاني ان تعتمد لوازمه عند ما يكون جهة الاشتراك وصفا وانما ثبت كماله في المستعار منه بواسطة شيء آخر فتثبت ذلك الشيء للمستعار له مبالغة في اثبات المشترك كقول لبيد

وغداة ريح قد كسفت وقرة * اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

وليس هناك مستعار له يمكن ان تجري اسم اليد عليه كما جرى الاسد على الرجل لكنه خيل الى نفسه ان الشمال في تصريف الغداة على حكم مطية الانسان المتصرف فيها زمامها ومقادها بيده لان تصرف الانسان انما يكون باليد في اكثر الامر فاليد كالآلة التي تكمل بها القوة على التصرف ولما كان الغرض اثبات التصرف وذلك مما لا يكمل الا عند ثبوت اليد أثبت اليد للشمال تحقيقا للغرض وحكم الزمام في استعارته للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال وكذلك قول تابط شرا

اذا هزه في عظم قرن تهللت * نواجذ افواه المنايا الضواحك

لما شبه المنايا عند هزة السيف بالسرور وكمال الفرح والسرور انما يظهر بالضحك الذي يتهلل به النواجذ اثبته تحقيقا للوصف المقصود والا فليس للمنايا ما ينقل اليه اسم النواجذ وهكذا الكلام في قول الحماسي

سقاه الردى سيف اذا سل او مضت * اليه منايا الموت من كل مرقب

ومن هذا الباب قولهم فلان مرخي العنان وملقي الزمام والفرق بين القسمين انك اذا رجعت في الاول الى التشبيه الذي هو المقصد من كل استعارة مقيدة وجدته يأتيك عفوا كقولك رأيت رجلا كالاسد أو مثله او شبهه وان رمته في الثاني لا يؤاتيك تلك المؤاتاة اذ لا وجه ان تقول شيء مثل اليد للشمال وانما تهيأ لك التشبيه بعد ان تخرق اليه سترا او تعمل تاملا وفكرا وفي اغفال هذا الاصل وقوع في التشبيه وذلك ان من وضع في نفسه ان كل اسم يستعار فلا بد ان يكون هناك شي يمكن الاشارة اليه تتناوله في حالة المجاز كما تتناول مسماه في حالة الحقيقة ثم نظر الى قوله تعالى ولتصنع على عيني وقوله تجرى باعيننا ارتبك في الشك وحام حول الظاهر ووقع في التشبيه الذي هو الضلال البعيد ففي معرفة هذا اخلاص من ذلك التشبيه ويسمى هذا النوع استعارة تخييلية وهو كاثبات الجناح للذل في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة اذا عرف هذا فالنوع الاول على اربعة اقسام الاول ان يستعار المحسوس للمحسوس وذلك اما بان يشتركا في الذات ويختلفا في الصفات كاستعارة الطيران لغير ذي جناح في السرعة فان الطيران والعدو يشتركان في الحقيقة وهي الحركة المكانية الا ان الطيران اسرع او بان يختلفا في الذات ويشتركا في صفة اما محسوسة كقولهم رايت شمسا ويريدون انسانا يتهلل وجهه وكقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا فالمستعار منه النار والمستعار له الشيب والجامع الانبساط ولكنه في النار اقوى واما غير محسوسة كقوله تعالى اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم المستعار له الريح والمستعار منه المرء والجامع المنع من ظهور النتيجة الثاني ان يستعار شيء معقول لشيء معقول لاشتراكهما في وصف عدمي او ثبوتي وأحدهما اكمل من ذلك الوصف فينزل الناقص منزلة الكامل كاستعارة اسم العدم للوجود اذا اشتركا في عدم الفائدة او استعارة اسم الوجود للعدم اذا بقيت آثاره المطلوبة منه كتشبيه الجهل بالموت لاشتراك الموصوف بهما في عدم الادراك والعقل وكقولهم فلان لقي الموت اذا لقي الشدائد لاشتراكهما في المكروهية وقوله تعالى ولما سكت عن موسى

الغضب والسكوت والزوال امران معقولان الثالث ان يستعار المحسوس للمعقول كاستعارة النور الذي هو محسوس للحجة واسعارة القسطاس للعدل وكقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فالقذف والدمغ مستعاران وقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم وقوله تعالى فاصدع بما تؤمر استعارة كناية عما اوحي اليه كظهور ما في الزجاجة عند انصداعها وكل خوض في القرآن العزيز فهو مستعار من الخوض فى الماء وكل ما فيه من الظلمات والنور فهو مستعار وقوله تعالى ويبغونها عوجا العوج مستعار وقوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون الوادي والهيمان مستعاران وقوله تعالى قالتا أتينا طائعين جعل لهما قولا وطاعة الرابع ان يستعار اسم المعقول للمحسوس على التأويل المذكور في التشبيه كقوله تعالى اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور تكاد تميز من الغيظ فالشهيق والغيظ مستعاران وقوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها

﴿ فصل في جيد الاستعارة ومتوسطها ورديها من حيث الجملة ﴾ قال أبو محمد عبدالله بن سنان الخفاجي وقد اختار أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي من جملة الاستعارة قول امرئ القيس

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

وقال ان هذه الاستعارة في غاية الحسن لانه انما قصد وصف أحوال الليل فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث وترادف اعجازه واواخره شيئاً فشيئاً وقال الخفاجي وهذا الذي ذكره أبو القاسم لا ارضى به غاية الرضى ولو كنت اسكن الى تقليد احد من علماء هذه الصناعة لقلدته لحسن نظره وصحة فكره وهو عندي من الوسط ليس من جيد الاستعارة ولا من رديها وانما قلت ذلك لان أبا القاسم قد أفصح بان امرء القيس لما جعل لليل وسطا وعجزا استعار له اسم الصلب وجعله متمطيا من اجل امتداده وجعل الكلكل من اجل نهوضه وكل هذا انما يحسن بعضه لاجل بعض فذكر الصلب انما حسن لاجل العجز والتمطي لاجل الصلب والكلكل لمجموع ذلك وهذه الاستعارة المبنية على غيرها فلذلك لم أر ان تجعل من ابلغ الاستعارات وكانت

استعارة طفيل الغنوي في قوله

وجعلت رحلي فوق ناجيه * يقتات شحم سنامها الرحل

أوفق وأوضح لانها غنية بنفسها غير مفتقرة الى مقدمة حليتها وكذلك قول ذي الرمة

أقامت به حتى نما العود في الثرى * وكف الثريا في ثلاثة الفجر

وقال وقد كنت مثلث في بعض مواضع الاستعارة المحمودة والمذمومة ببيتين أحدهما قول ابن نباته

حتى اذا بهر الاباطح والثرى * نظرت اليك بأعين النوار

فنظر أعين النوار من أشبه الاستعارات وأليقها لان النوار يشبه العيون اذا كان مقابلا لمن يمر به كأنه ناظر اليه والبيت الثانى بيت أبي تمام

قرت بقران عين الدين واستترت * بالاشترين عيون الشرك فاصطلما

وقرة عين الدين واستتار عيون الشرك من اقبح الاستعارات لعدم الشبه الذي لاجله جعل للشرك والدين عيونا ومع تأمل هذين البيتين يفهم معنى الاستعارة لان النوار والشرك لاعيون لهما على الحقيقة وقد قبحت استعارة العيون لاحدهما وحسنت للآخر والعلة فيه أن النوار يشبه العيون والدين والشرك ليس فيهما مايشبههما ولا يقاربها ومن أحسن الاستعارة وأليقها قول الشريف الرضي

رسا النسيم بواديكم ولابرحت * حوامل المزن في أجداثكم تضع

ولا يزال جنين النبت يرضعه * على قبوركم العراصة الهمع

لان المزن تحمل الماء واذا هملت تضعه فاستعارة الحمل لها والوضع المعروفين من أقرب شيء وأشبهه وكذلك جنين النبت لان الجنين المستور مأخوذ من الجنة واذا كان النبت مستورا والغيث يسقيه كان ذلك بمنزلة الرضاع ومما استقبحه قدامة من الاستعارة قول أوس ابن حجر

وذات هدم عار نواشرها * تصمت بالماء تولبا جذعا

فسمى الصبي تولبا والتولب ولد الحمار ومثل قول الآخر

وما رقد الولدان حتى رأيته * على البكر يمريه بساق وحافر

فسمي رجل الانسان حافرا وأمثال المحاسن في ذلك والمساوي كثيرة وقد اخذ القول في هذا الباب حقه مع أن أقوال العلماء بهذا الفن فيه أكثر من ذلك

﴿القول في الكناية﴾

اللفظة اذا اطلقت وكان الغرض الاصلي غير معناها فلايخلو اما ان يكون معناها مقصودا ايضا ليكون دالا على ذلك الغرض الاصلي واما ان لا يكون كذلك فالاول هو الكناية ويقال له الارداف أيضا والثاني المجاز فالكناية عند علماء البيان أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومى به اليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم هو طويل النجاد وكثير رماد القدر يعنون به انه طويل القامة كثير القرى فلم يذكروا المراد بلفظه الخاص به ولكن توصلوا اليه بذكر معنى آخر هو رديفه في الوجود ألا ترى ان القامة اذا طالت طال النجاد واذا كثر القرى كثر رماد القدر ومن ذلك قول الله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم كنى بنفي قبول التوبة عن الموت على الكفر لانه يردفه وقول الشاعر

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * ابوها واما عبد شمس وهاشم

اراد ان يذكر طول جيدها فاتى بتابعه وهو بعد مهوى القرط وكقول امرىء القيس

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها * نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

قال فيه دلالة على نعمها وان لها من يخدمها ولا تشد نطاقها للخدمة وكقول ليلى الاخيلية

ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما

كنت عن الجود بخرق القميص بجذب العفاة له عند ازدحامهم لاخذ العطاء وكقول الحضرمي

قد كان يعجب بعضهن براعتي * حتى رأين تنحنحي وسعالي

كنى عن كبر السن بتوابعه وهي التنحنح والسعال والكناية تكون في المثبت

كما ذكرنا وقد تكون في الاثبات وهي ما اذا حاولوا اثبات معنى من المعاني لشيء فيتركون التصريح باثباته له ويثبتونه لما له به تعلق كقولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه وقوله

ان المروءة والسماحة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

ونظيره قول يزيد بن الحكم يمدح يزيد بن المهلب وهو في حبس الحجاج

أصبح في قيدك السماحة والمجد وفضل الصلاح والحسب

وقال الجرجاني مكان القيد ههنا هو مكان القبة في البيت المتقدم ومثاله في النفي قول الشاعر يصف امرأة بالعفة

يبيت بمنجاة من اللوم بيتها * اذا ما بيوت بالملامة حلت

وقد يجتمع في البيت الواحد كنايتان الغرض منهما واحدة وكل واحدة منهما أصل بنفسها كقوله

وما بك فيّ من عيب فاني * جبان الكلب مهزول الفصيل

واعلم أن الكناية ليست من المجاز لانك تعتبر في ألفاظ الكناية ومعانيها الاصلية وتفيد بمعانيها معنى ثانيا هو المقصود فتريد بقولك كثير الرماد حقيقته وتجعل ذلك دليلا على كونه جوادا فالكناية ذكر الرديف وارادة المردوف وأما التعريض فهو تضمين الكلام دلالة ليس لها ذكر كقولك ما أقبح البخل لمن تعرض له بأنه بخيل وكقول الحماسي

أنا ابن زبانة ان تلقني * لاتلقني فى النعم العارب

يعرض بانه راع وكقول محمد بن عبد الله بن الحسن لم نعرف في أمهات الاولاد يعرض بالمنصور وأنه بن أمة وأما التمثيل فانما يكون من باب المجاز اذا جاء على حد الاستعارة مثاله قولك للمتحير فلان يقدم رجلا ويؤخر أخرى فلو قلت انه فى تحير كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى لم يكن من باب المجاز وكذلك قولك لمن اخذ في عمل لا يحصل منه مقصود اراك تنفخ في غير ضرم وتخط على الماء وما زال يفتل في الذروة والغارب لمن بلغ مراده برفق كالرجل يجيء الى البعير الصعب فيحكه ويفتل الشعر في ذروته وغاربه حتى يأنس به والفرق بين الاستعارة

والتمثيل ان الاستعارة تجيء في المفرد والجمل والتمثيل لا يجيء الا في الجمل خاصة

﴿ فصل ﴾ قال الامام عبد القاهر الجرجاني اعلم ان من شان هذه الاجناس ان تتفاوت التفاوت الشديد الا ترى انك تجد في الاستعارة العامي المبتذل كقولك رايت اسدا ووردت بحرا ولقيت بدرا والخاصي النادر الذي لا تجده الا في كلام الفحول ولا يقوى عليه الا افراد الرجال كقوله .

اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطيّ الاباطح

اراد انها سارت سيرا حثيثا في غاية السرعة وكانت سرعة في لين وسلاسة حتى كانها كانت سيولا وقعت في تلك الاباطح فجرت بها ومثل هذه الاستعارة في الحسن واللطف وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول الآخر

سالت عليه شعاب الحيّ حين دعا * انصاره بوجوه كالدنانير

اراد انه مطاع في الحي وانهم يسرعون نصرته وانه لا يدعوهم لحرب ولا نازل خطب الا اتوه فكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من ههنا وههنا وتنصب من هذا المسيل وذاك حتى يفيض بها الوادي ويطفح منها * ومن بديع الاستعارة ونادرها قول يزيد بن مسلمة يصف فرسه وانه مؤدب وانه اذا نزل عنه والقى عنانه على قربوس سرجه وقف مكانه الى ان يعود اليه

عوّدته مما ازور حبائبي * اهماله وكذاك كل مخاطر

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك الشكيم الى انصراف الزائر

فالغرابة ههنا في الشبه نفسه وفي الاستدلال على ان هيئة العنان في موقعة من قربوس السرج كالهيئة في موقع الثوب من ركبة المحتبي قال ومن سرّ هذا الباب انك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في مواضع ثم يرى لها في بعض ذلك ملاحة لا تجدها فى الباقي مثاله انك تنظر الى لفظة الجسر فى قول ابى تمام

لا يطمع المرءان يجتاب لجته * بالقول ما لم يكن جسرا له العمل

وقوله نؤمل الراحة الكبرى فلم نرها * تنال الا على جسر من التعب

فترى لها فى الثانى حسنا لا تراه فى الاول ثم تنظر اليها فى قول ربيعة الرقي

انتهى كلامه وكذلك الحكم في الكناية وغيرها واجمعوا على ان للكناية مزية على التصريح لانك اذا اثبت كثرة القرى باثبات شاهدها ودليلها فهو كالدعوى التي معها شاهد ودليل فذلك ابلغ من اثباتها بنفسها فأما التمثيل الذي يقع من اقسام المجاز فحكمه حكم الاستعارة لانك اذا قلت للمتحير في امرهِ اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فأوجبت الصورة التي يقطع معها بالتحير والتردد كان ابلغ في الظاهر من ان تقول اراك مترددا في امرك فانت كمن يقول اخرج اولا اخرج فيقدم رجلا ويؤخر اخرى ومما يكشف هذا ان العقلاء اتفقوا على ان التشبيه اذا جاء في اعقاب المعاني افادها جمالا وزادها كمالا وان اردت ان ترى له شاهدا فانظر الى قول البحتري

دان على ايدي العفاة وشاسع * عن كل ندّ في الندى وضريب
كالبدر افرط في العلو وضوءه * للعصبة السارين حدّ قريب

والى قول السرى الرفا

اصبحت اظهر شكراً من صنائعه * واضمر الودّ فيه اي اضمار
كشامخ النخل يبدي للعيون ضحي * طلعا نضيدا ويخفي غض جمار

فانك تجد في البيت الآخر منهما ما لم تجده في الاول وتجد الفرق بين ما لو اقتصرت على قولك فلان يكد نفسه في قراءة الكتب ويتحمل في تعلمها التعب ولا يفهم شيا وبين ان يتلو بعده قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية وكذلك يفصل بين ان يقول ارى قوما لهم منظر وليس لهم هناك مخبر وبين ان يتبعه قول ابن لنكك

في شجر السرو منهم مثل * له رواء وما له ثمر

وسببه أن أنس النفوس موقوف على ان تخرجها من خفي الى جلي وأن تأتيها بصريح بعد مكني وان تردها فيما تعلمه الى ما تكون هى بشأنه اعلم ولهذا كان التمثيل بالمشاهد ابلغ على ما تقدّم وهذه امور تقل حاجتها الى التعريف ويستغنى في الوقوف عليها عن التوقيف

﴿ القول في الخبر ونبذ من احكامه ﴾

الخبر هو القول المقتضى تصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفي او الاثبات وتسمية احد جزايه بالخبر مجاز ثم المقصود من الخبر ان كان هو الاثبات المطلق فيكون بالاسم كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وان لم يتم ذلك الا باشعار زمانه فيكون بالفعل كقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض فان المقصود لا يتم بكونه معطيا للرزق بل بكونه معطيا للرزق في كل حين واوانٍ والاخبار بالفعل اخص من الاخبار بالاسم فاذا امعنت النظر وجدت الاسم موضوعا على ان تثبت به المعنى للشيء من غير اشعار بتجدّده شيأً فشيأً بل جعل الانطلاق او الوصيد مثلا صفة له ثابتة ثبوت الطول والقصر في قولك زيد طويل او قصير بخلاف ما اذا اخبرت بالفعل فانه يشعر بالتجدد وانه يقع جزأً فجزا واذا اردت شاهدا على ذلك فتأمل هذا البيت

لا يألف الدرهم المضروب صرّتنا * الا يمرّ عليها وهو منطلق

فجاء بالاسم ولو اتى بالفعل لم يحسُن هذا الحسن والفعل المتعدي الى جميع مفعولاته خبر واحد حتى اذا قلت ضرب زيد عمرا يوم الجمعة خلف المسجد ضربا شديدا تأديبا له كان الخبر شيأً واحدا وهو اسناد الضرب المقيد بهذه القيود الى زيد فظهر من ذلك الى قولك جاءني رجل مغاير لما دل عليه قولك جاءني رجل ظريف وانك لست في ذلك الا كمن يضم معنى الى معني وحكم المبتدا والخبر ايضا كذلك فقول بشار

كان مثار النقع فوق رؤسنا * واسيافنا ليل تهادي كواكبه

خبر واحد واذا قلت الرجل خير من المراة فاللام فيه قد تكون للعموم او الخصوص بان ترجع الى معهود او لتعريف الحقيقة مع قطع النظر عن عمومها وخصوصها فاذا قلت زيد منطلق افاد اثبات الانطلاق له فحسب واذا قلت زيد المنطلق او زيد هو المنطلق افاد انحصار المخبر به في المخبر عنه فان امكن الحصر ترك على حقيقته والا فعلى المبالغة واذا قلت المنطلق زيد فهو اخبار عما عرفت بما لم يعرف فكان المخاطب عرف ان انسانا انطلق ولم يعرف صاحبه فقلت

الذي تعتقد انه منطلق زيد واما الذي فهو للاشارة الى منفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة كقولك ذهب الرجل الذي ابوه منطلق وهو تحقيق قولهم انه يستعمل لوصف المعارف بالجمل والتصديق والتكذيب متوجهان الى خبر المبتدا لا الى صفته فاذا كذبت القائل في قوله زيد بن عمرو كريم فالتكذيب لم يتوجه الى كونه ابن عمرو بل الى كونه كريما

﴿ فصل في التقديم والتاخير ﴾ اذا قدم الشيء على غيره فاما ان يكون في نية التاخير كما اذا قدم الخبر على المبتدا واما ان يكون فى نية التاخير ولكن انتقل الشيء من حكم الى آخر كما اذا جئت الى اسمين جاز ان يكون كل واحد منهما مبتدا فجعلت احدهما مبتدا كقولك زيد المنطلق والمنطلق زيد قال الجرجاني قال صاحب الكتاب كانهم يقدمون الذي بيانه اهم لهم وهم ببيانه اعنى وان كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم مثاله ان الناس اذا تعلق غرضهم بقتل خارجي مفسد ولا يعلمون من صدر القتل منه واراد مريد الاخبار بذلك فانه يقدم ذكر الخارجي فيقول قتل الخارجي زيد ولا يقول قتل زيد الخارجي لانه يعلم ان قتل الخارجي هو الذي يعنيهم وان كان قد وقع قتل من رجل يبعد في اعتقاد الناس وقوع القتل من مثله قدم المخبر ذكر الفاعل فيقول قتل زيد رجلا لاعتقاد الناس فى المذكور خلاف ذلك انتهى كلام الجرجاني ولنذكر منه ثلاثة مواضع يعرف بها مالم يذكر (الاول الاستفهام) فاذا أدخلته على الفعل وقلت أضربت زيدا كان الشك في وجود الفعل محققا والشك في تعيين الفاعل وهكذا حكم النكرة فاذا قلت أجاءك رجل كان المقصود هل وجد المجيء من رجل فاذا قلت أرجل جاءك كان ذلك سؤالا عن جنس من جاء بعد الحكم بوجود المجيء من انسان وقس عليه الخبر في قولك ضربت زيدا وزيدا ضربت وجاءني رجل تميمي ورجل تميمي جاءني ثم الاستفهام قد يجيء للانكار فان كان في الكلام فعل ماض وادخلت الاستفهام عليه كان لانكاره كقوله تعالى أصطفى البنات على البنين وان أدخلته على الاسم فان لم يكن الفعل مرددا بينه وبين غيره كان لانكار انه الفاعل ويلزم منه نفي ذلك الفعل كقوله تعالى آلله أذن لكم أي لو كان اذن

لكان من الله فلما لم يوجد منه دل على أن لااذن كما تقول متى كان هذا في ليل او نهار اي لو وجد كان في ليل او نهار فلما لم يوجد في واحد منهما لم يوجد اصلا وعليه قوله تعالى آلذاكرين حرم ام الانثيين وان كان مردّدا بينه وبين غيره كان امّا للتقرير والتوبيخ وعليه قوله تعالى حكاية عن قوم نمروذ أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم واما لانكار انه الفاعل مع تحقيق الفعل كقولك لمن انتحل شعرا أأنت قلت هذا وان كان الفعل مضارعا فان ادخلت حرف الاستفهام عليه كان اما لإنكار وجوده كقوله تعالى أنلزمكموها وانتم لها كارهون او لانكار انه يقدر على الفعل كقول امرئ القيس

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

او لازالة طمع من طمع في امر لايكون فيجهله في طمعه كقولك أيرضى عنك فلان وانت على مايكره أو لتعنيف من يضيع الحق كما قال الشاعر .

أأترك ان قلت دراهم خالد * زيارته اني اذا للئيم

او لتقديم الفاعل كما تقول لمن يركب الخطر أتركب في هذا الوقت وان ادخلته على الاسم فهو لانكار صدور الفعل من ذلك الفاعل اما للاستحقار كقولك أأنت تمنعني او للتعظيم كقولك اهو يسأل الناس او للمبالغة اما في كرمه كقولك اهو يمنع سائله واما في خساسته كقولك اهو يسمح بمثل هذا وقد يكون لبيان استحالة فعل ظن ممكنا كقوله تعالى أفأنت تسمع الصم او تهدي العمي وكذلك اذا ادخلته على المفعول كقوله تعالى أغير الله اتخذ وليا وأغير الله تدعون وابشرا منا واحدا نتبعه لانهم بنوا كفرهم على ان البشر ليس بمثابة ان يتبع ويطاع (الثاني في التقديم والتأخير في النفي) اذا ادخلت النفي على الفعل فقلت ماضربت زيدا فقد نفيت عن نفسك ضربا واقعاً بزيد وهذا لايقتضي كون زيد مضروبا واذا ادخلته على الاسم فقلت ما انا ضربت زيدا لقتضى من باب دليل الخطاب كون زيد مضروبا وعليه قول المتنبي

وما انا وحدي قلت ذا الشعر كله * ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

ولهذا يصح ان يقول ما ضربت الا زيدا وما ضربت زيدا ولا ضربه أحد من

الناس ولا يصح ان يقول ما انا ضربت الا زيدا وما ضربت زيدا ولا ضربه احد من الناس أما الاول فلأن بعض النفي بالا يقتضى ان يكون ضربته وتقديمك ضميرك وايلاء حرف النفي يقتضى ان يكون ضربته فيتدافعان وفيه نظر وأما الثاني فلان أول الكلام يقتضي أن يكون زيد مضروبا وآخره يقتضي أن لا يكون مضروبا فيتناقضان اذا عرف هذا من جانب الفاعل فانه مثله في جانب المفعول فاذا قلت ما ضربت زيدا لم يقتض أن يكون ضاربا لغيره واذا قلت ما زيدا ضربت اقتضى ذلك ولهذا صح ماضربت زيدا ولا أحدا من الناس ولا يصح ما زيدا ضربت ولا أحدا من الناس وحكم الجار والمجرور حكم المفعول فاذا قلت ما أمرتك بهذا لم يقتض أن يكون قد أمرته بشئ غير هذا واذا قلت ما بهذا أمرتك اقتضاه واذا قدمت صيغة العموم على السلب وقلت كل ذلك لم أفعله برفع كل كان نفيا عاما ويناقضه الاثبات الخاص فلو فعلت بعضه كنت كاذبا وان قدمت السلب وقلت لم أفعل كل ذلك كان نفيا للعموم ولا ينافي الاثبات الخاص فلو فعلت بعضه لم تكن كاذبا ومن هذا ظهر الفرق بين رفع كل ونصبه في قول أبا النجم

قد أصبحت أم الخيار تدّعى * عليّ ذنبا كله لم أفعل

فان رفعته كان النفي عاما واستقام غرض الشاعر في تبرئة نفسه من جملة الذنوب وان نصبته كان النفي نفيا للعموم وهو لا ينافي اتيانه ببعض الذنب ولا يتم غرضه * الثالث في التقديم والتأخير في الخبر المثبت ما تقدم في الاستفهام والنفي قائم ههنا فاذاقدمت الاسم وقلت زيد فعل وانا فعلت فالقصد ان الفاعل اما لتخصيص ذلك الفعل به كقولك انا شفعت في شأنه مدعياً الانفراد بذلك او لتأكيد اثبات الفعل له لا للحصر كقولك هو يعطي الجزيل ليتمكن في نفس السامع ان ذلك دأبه دون نفيه عن غيره ومنه قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئاً وهم يخلقون فانه ليس المراد تخصيص المخلوقية بهم وقوله تعالى واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وكقول درنا بنت عثعثة

هما يلبسان المجد احسن لبسة * شحيحان ما استطاعا عليه كلاهما

وقول الآخر

هم يفرشون اللبد كل طمرة * وأجرد صياح يسد المعاليا

والسبب في هذا التأكيد أنك اذا قلت مثلا زيد فقد أشعرت بأنك تريد الحديث عنه فيحصل للسامع تشوف الى معرفته فاذا ذكرته قبلته النفس قبول العاشق معشوقه فيكون ذلك أبلغ في التحقيق ونفي الشك والشبهة ولهذا تقول لمن تعده أنا اعطيك أنا اكفيك انا اقوم بهذا الامر وذلك اذا كان من شان من سبق له وعد ان يعترضه الشك في وفائه ولذلك يقال في المدح أنت تعطي الجزيل انت تجود حين لا يجود احد ومن ههنا تعرف الفخامة في الجمل التي فيها ضمير الشان والقصة كقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وكقوله تعالى انه لا يفلح الكافرون وان فيها ما ليس في قولك فان الابصار لا تعمى وان الكافرين لا يفلحون وهذا الكلام في الخبر المنفي فاذا قلت انت لا تحسن هذا كان ابلغ من ان تقول لا تحسن هذا فالاول لمن هو اشد اعجابا بنفسه واكثر دعوى بانه يحسن (واعلم) انه قد يكون تقديم الاسم كاللازم وهو كمثل في نحو قوله

يا عاذلي دعني من عذلكا * مثلي لا يقبل من مثلكا

وقول المتنبي

مثلك يثني الحزن عن صوبه * ويسترد الدمع عن غربه

وقول الناس مثلك يرعى الحق والحرمة وكقول الذي قال له الحجاج لأحملنك على الادهم يريد القيد مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب وما اشبه ذلك مما لا يقصد فيه الانسان سوى الذي اضيف اليه وجيء به للمبالغة والمعنى ان من كان مثله في الحال والصفة كان من مقتضى القياس ان يفعل ما ذكر فكيف به وقد عبر المتنبي عن هذا المعنى فقال

ولم اقل مثلك اعني به * سواك يافردا بلا مشبه

وكذلك حكم غير اذا سلك فيه هذا المسلك كقول المتنبي

غيري باكثر هذا الناس ينخدع * ان قاتلوا جبنوا أوحدثوا شجعوا

اي لست ممن يخدع ويغتر ولو لم يقدم مثلا وغيرا في هذه الصور لم يرد هـذا المعنى ويقرب من هـذا تقديم بعض المفعولات على بعض فى نحو قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فان تقديم شركاء على الجن افاد انه ما ينبغي ان يكون لله شركاء لا من الجن ولا من غيره لان شركاء مفعول ثان لجعلوا ولله متعلق به والجن مفعوله الاول فقد جعل الانكار على جعل الشريك لله على الاطلاق من غير اختصاص بشيء دون شيء لان الصفة اذا ذكرت مجردة عن مجراها على شيء كان الذي تعلق بها من النفي عاما في كل ما يجوز ان يكون له تلك الصفة فاذا قلت ما في الدار كريم كنت قد نفيت الكينونة في الدار عن كل شيء يكون الكريم صفة له وحكم الانكار ابدا حكم النفي فاما اذا اخرت شركاء فقلت وجعلوا الجن شركاء لله فيكون جعل الشركاء مخصوصا غير مطلق فيحتمل ان يكون المقصود بالانكار جعل الجن شركاء لا جعل غيرهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقدم شركاء نفيا لهذا الاحتمال

﴿ فصل في مواضع التقديم والتأخير ﴾ اما التقديم فيحسن في مواضع الاول ان تكون الحاجة الى ذكره اشد كقولك قطع اللص الامير الثانى ان يكون ذلك اليق بما قبله من الكلام او بما بعده كقوله تعالى وتغشى وجوههم النار فانه اشكل بمابعده وهو قوله ان الله سريع الحساب وبماقبله وهو مقرنين في الاصفاد الثالث ان يكون اعرف او اشد تعلقا بما بعده كقولك زيد قام وقام زيد وزيد الطويل الرابع ان يكون من الحروف التى لها صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي فان الاستفهام طلب فهم الشيء وهو حالة اضافية فلا تستقل بالمفهومية فيشتد اتصاله بما بعده الخامس تقديم الكلي على جزئياته فان الشيء كلما كان اكثر عموما كان اعرف فان الوجود لما كان اعم الامور كان اعرفها عند العقل السادس تقديم الدليل على المدلول واما التأخير فيحسن في مواضع الاول تمام الاسم كالصلة والمضاف اليه الثاني توابع الاسماء الثالث الفاعل الرابع المضمر وهو ان كان متأخرا لفظا وتقديرا كقولك ضرب زيد غلامه أو مؤخرا في اللفظ مقدما في المعنى كقوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه أو بالعكس كقولك ضرب غلامه

زيد جاز وان تقدم لفظا ومعنى لم يجز كقولك ضرب غلامه زيدا الخامس ما يفضي الى اللبس كقولك ضرب موسى عيسى أو أكرم هذا هذا فيجب فيه تقديم الفاعل السادس العامل الذي يضعف عمله كالصفة المشبهة والتميز وما عمل فيه حروف او معنى كقولك هو حسن وجها وكريم أبا وتصبب عرقا وخمسة وعشرون درهما وان زيدا قائم وفي الدار سعد جالسا ولا يجوز الفصل بين العامل والمعمول بما ليس منه فلا تقول كانت زيدا الحمى تأخذ اذا رفعت الحمى بكانت للفصل بين العامل وما عمل فيه فان أضمرت الحمى فى كانت صحت المسألة

﴿ القول في الفصل والوصل ﴾

وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والهدى الى كيفية ايقاع حروف العطف في مواقعها وهو من اعظم أركان البلاغة حتى ان بعضهم حد البلاغة بأنها معرفة الفصل والوصل وقال عبد القاهر انه لا يكمل لاحراز الفضيلة فيه أحد الا كمل لسائر معاني البلاغة اعلم ان فائدة العطف التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ثم من الحروف العاطفة ما لا يفيد الا هذا القدر وهو الواو ومنها ما يفيد فائدة زائدة كالفاء وثم وأو وغرضنا ههنا متعلق بما لا يفيد الا الاشتراك فنقول العطف اما ان يكون فى المفردات كقولك مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح فقد أشركت بينهما في الاعراب والمعنى لاشتراكهما في كون كل واحد منهما مقيدا للموصوف ولا يتصور ان يكون اشتراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الاشتراك فيه وحتى يكونا كالنظرين والشريكين بحيث اذا عرف السامع حاله الاول عساه يعرف حاله الثانى يدلك على ذلك انك اذا عطفت على الاول شيأ ليس منه سبب ولا هو مما يذكر بذكره لم يستقم فلو قلت خرجت اليوم من داري وأحسن الذي يقول بيت كذا قلت ما يضحك منه ومن ههنا عابوا أبا تمام في قوله

لا والذي هو عالم ان النوى * صبر وان أبا الحسين كريم

وان لم يكن في قوة المفرد فهو على قسمين الاول ان يكون معنى احدى الجملتين

لذاته متعلقا بمعنى الاخرى كما اذا كانت كالتوكيد لها او كالصفة فلا يجوز ادخال العاطف عليه لان التوكيد والصفة متعلقان بالمؤكد والموصوف لذاتيهما والتعلق الذاتي يغني عن لفظ يدل على التعلق فمثال التوكيد قوله تعالى الم ذلك الكتاب لاريب فيه فلا ريب فيه توكيد لقوله ذلك الكتاب كانه قال هو ذلك الكتاب وكذلك قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم تأكيد ثان ابلغ من الاول وكذلك قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله ولم يقل ويخادعون لان المخادعة ليست شيئا غير قولهم آمنا مع انهم غير مؤمنين وكذلك قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن لان معنى قولهم انا معكم انا لم نؤمن وقوله انما نحن مستهزؤن متضمن له وكذلك قوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كان لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا او لم يقل وكأن لان المقصود من التشبيه بمن في أذنيه وقر وهو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع الا ان الثاني ابلغ لان حال من لا يصح السمع منه أبلغ في عدم الانتفاع بالكلام من حال من يصح عليه ذلك واما قوله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فهذا يحتمل ان يكون تاكيدا لقوله ما هذا بشرا من حيث ان المترفع عن البشرية من المخلوقات ليس الا الملك ولان الناس اذا شاهدوا في الانسان من الخلق الحسن والخلق الجميل ما تعجبوا عنده قالوا ما هذا ببشر وكان غرضهم ان يقولوا انه ملك فلما كان ذلك مفهوما قبل التصريح به كان التصريح به تاكيدا ويحتمل ان يكون صفة له فان اخراجه عن جنس البشرية يتضمن لا محالة دخوله تحت جنس آخر لا تحت الملكية على الخصوص فان القسمة غير منحصرة في القسمين وجعله ملكا تعيين لذلك الجنس وتمييز له عن غيره * ومما جاء فيه الاثبات بان والا على هذا الحد قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين وقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فالاثبات في الآيتين جميعا

تاكيد لنفي ما ينفي القسم الثانى ان يكون بين الجملتين تعلق ذاتي فان لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العاطف ايضا لان العطف للتشريك ولا تشريك ومن ههنا عابوا على أبي تمام قوله في البيت المتقدم

لا والذي هو عالم ان النوى * صبر وان أبا الحسين كريم

اذ لا مناسبة بين مرارة الهوى وبين كرم أبي الحسين ولذلك لم يحسن جواز العاطف وان كان بينهما مناسبة فاما ان يكون بالذي اخبر بهما او بالذي اخبر عنهما او بهما كليهما وهذا الاخير هو المعتبر في العطف ومعنى المناسبة ان يكونا متشابهين كقولك زيد كاتب وعمرو أو متضادين تضادا على الخصوص كقولك زيد طويل وعمرو قصير وكقولك العلم حسن والجهل قبيح فلو قلت زيد طويل والخليفة قصير اختل معنى عند ما لا يكون لزيد تعلق بحديث الخليفة ولو قلت زيد طويل وعمرو شاعر اختل لفظا اذ لا مناسبة بين طول القامة والشعر وان كان المحدث عنه في الجملتين شيأ واحدا كقولك فلان يقول ويفعل ويضر وينفع ويأمر وينهى ويسيء ويحسن يجب ادخال العاطف فان الغرض جعله فاعلا للأمرين فلو قلت يقول يفعل بلا عاطف لتوهم ان الثانى رجوع عن الاول واذا افاد العاطف الاجتماع ازداد الاشتراك كقولك العجب من انك أحسنت وأسأت والعجب من انك تنهي عن شيء وتأتي مثله وكقوله

لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم * وان نكف الأذى عنكم وتؤذونا

فان المعنى جعل الفعلين فى حكم واحد اي لا تطمعوا ان ترزوا اكرامنا اياكم يوجد مع اهانتكم ايانا واعلم انه قد يجب اسقاط العاطف فى بعض المواضع لاختلال المعنى عند اثباته كقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون فقوله الا انهم هم المفسدون كلام مستأنف وهو اخبار من الله تعالى فلو أتى بالواو لكان اخبارا عن اليهود بانهم وصفوا انفسهم بانهم مفسدون فيختل المعنى وكذلك قوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء وكذلك قوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤون

الله يستهزئ بهم فهو اخبار عن الله تعالى وهو في الحقيقة جواب لسؤال بتقدر لانه تعالى لما أخبر عنهم بانهم قالوا كيت وكيت شوّق السامعين الى العلم مصير امرهم فكأنه قيل فما ذا يفعل الله بهم فقال الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون قال عبدالقاهر واذا استقريت وجدت هذا الذي ذكرت لك من تنزيلهم للكلام اذاجاء بعقب مايقتضي سؤالا منزلته اذا صرح بذلك السؤال كثيرافمن لطيف ذلك قوله

زعم العواذل أنني في غمرة * صدقوا ولكن غمرتي لاتنجلي

لما حكي عن العواذل قولهم انه فى غمرة وكان ذلك مما يحرك السامع على أن يساله فما جوابك عن ذلك أخرج الكلام مخرجه اذا كان قد قيل فقال أقول صدقوا أنا كما قالوا ولكن لامطمع لهم في فلاحي ولو قال وصدقوا لكان لم يضع نفسه فى انه مسئول وأمثال ذلك كثيرة واذا كان كذلك فلا حاجة الى العاطف بخلاف قوله يخادعون الله وهو خادعهم ومكروا ومكر الله فان كل واحد من الجملتين خبر عن الله تعالى (ومما يجب) ذكره ههنا الجملة اذا وقعت حالا فانها تجيء مع الواو تارة وبدونها أخرى فنقول الجملة اذا وقعت حالا فلا بدّ ان تكون خبرية تحتمل الصدق والكذب وهو على قسمين (الاول) وله احوال الاولى ان يجمع لها بين الواو وضمير صاحب الحال كقولك جاء زيد ومعه غلامه ولقيت زيدا وفرسه سابقه وهذه الواو تسمى واو الحال الثانية أن تجيء بالضمير من غير واو كقولك كلمته فوه الى فيّ وهو في معنى مشافها والرابط الضمير قال الشاعر

فلولا جنان الليل ما آب عامر * الى جعفر سرباله لم يمزق

فلو قلت كلمته الى فيّ فوه ولقيته عليه جبة وشي لم يكن من باب وقوع الجملة حالا لانه يمكننا ان نوقع فوه وجبته بالجار والمجرور فيرجع الكلام الى وقوع المفرد حالا والتقدير كلمته كائنا الى فيّ فوه ولقيته مستقرة عليه جبة وشي وعليه قول بشار

اذا نكرتني بلدة أو نكرتها * غدوت مع البازي عليّ سواد

الثالثة ان تجيء بالواو من غير ضمير وهو كثير كقولك لقيتك والجيش قادم وزرتنا والشتاء خارج قال امرؤ القيس

وقد ماغتدى والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

ويجوز أن يجمع بين حالين مفرد وجملة اذا اجزنا وقوع حالين كقولك لقيتك راكبا والحسن قادم فالجملة حال من التاء او من الكاف والعامل فيها لقيت اومن ضمير راكب وراكب هو العامل فيها (القسم الثاني) الجملة الفعلية ولا بدّ أن تكون ماضيا او مضارعا اما الماضي فلا بد معه من الاتيان بالواو وقد اوبأحدهما كقولك تكلمت وقد عجلت وجاء زيد قد ضرب عمرا وجئت واسرعت في المجيء قال الله تعالى قال انؤمن لك واتبعك الارذلون ولم يجز البصريون خلوه عنهما وقالوا في قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم وفي قول ابي صخر الهذلي

واني لتعروني لذكراك هزة * كما انتفض العصفور بلله القطر

ان قد مقدرة فيهما فان الشيء اذا عرف موضعه جاز حذفه واما المضارع فان كان موجبا فلا يؤتى معه بالواو تقول جاءني زيد يضحك وجاء عمرو يسرع وجلس يحدّثنا بالرفع اى محدثا لنا لانه بتجرده عما يغير معناه اشبه اسم الفاعل اذا وقع حالا وان كان منفيا جاز حذف الواو مراعاة لاصل الفعل الذي هو الايجاب وجاز اثباتها لان الفعل ليس هو الحال فان معنى قولك جلس زيدولم يتكلم جلس زيد غيرمتكلم فجرى مجرى الجملة الاسمية فالحذف كقولك جاء زيد مايفوه ببنت شفة قال الله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب قوله لايمسنا في موضع نصب على الحال من ضمير المرفوع في احلنا والاثبات كقولك جلس زيد ولم يتكلم قال تعالى أفلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولايملك لهم ضراولا نفعا ومن كلام لبيد لابنته فقد رايتني وما اعي بجواب شاعر وشبهوا به الفعل الماضي فقالوا جاء زيد ماضرب عمرا وجاء زيد وما ضرب عمرا

﴿ القول في الحذف والاضمار ﴾

اعلم ان الافعال المتقدّية التي يترك ذكر مفعولاتها على قسمين الاول ان لا يكون له مفعول معين فقد يترك مفعوله لفظا وتقديرا ويجعل حاله كحال غير المتعدي

كقولهم فلان يحل ويعقد ويامر وينهي ويضرّ وينفع والمقصود اثبات المعنى في نفسه للشيء من غير تعرض لحديث المفعول فكانك قلت بحيث يكون منه حل وعقد وأمر ونهي وضرّ ونفع وعليه قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اي هل يستوي من له علم ومن لا علم له من غير ان ينص على معلوم وكذلك قوله تعالى وانه هو أضحك وأبكى الى قوله وانه هو أغنى وأقنى وبالجملة فمتى كان الغرض بيان حال الفاعل فقط فلا تعدّ الفعل فان تعديته تنقص الغرض ألا ترى انك اذا قلت فلان يعطي الدنانير كان المقصود بيان جنس ما تناوله الاعطاء لا بيان حال كونه معطيا الثاني ان يكون له مفعول معلوم الا انه يحذف من اللفظ لاغراض الاول ان يكون المراد بيان حال لفاعل وان ذلك الفعل دأبه لا بيان المفعول كقول طفيل

جزى الله عنا جعفرا حين ازلفت * بنا نعلنا في الواطبين فزلت
أبوا ان يملونا ولو أنا أمنا * تلاقي الذي لاقوه منا لملت
هم خلطونا بالنفوس وألجؤا * الى حجرات أدفأت وأظلت

والاصل ان يقول لملتنا وألجؤنا وآدفأتنا وأظلتنا فحذف المفعول المعين من هذه لمواضع الاربعة وكانه قد أبهم ولم يقصد قصد شيء يقع عليه كما تقول قد ملّ فلان تريد قد دخل عليه الملال من غير ان تخص شيئا بل لا تزيد على ان لا تجعل الملال من صفته فكذلك الشاعر جعل هذه الاوصاف من ذاتهم ولو اضاف الى مفعول معين لبطل هذا الغرض وعليه قوله تعالى ولما ورد ماء مدين الى قوله فسقى لهما فقد حذف المفعول في اربعة مواضع فان ذكره ربما يخل بالمقصود فلو قال مثلا يزودان غنمهما لتوهم ان الانكار انما كان من ذودهما الغنم لا من مطلق الذود كقولك مالك تمنع اخاك فان الانكار من منع الاخ لا من مطلق المنع الثاني ان يكون المقصود ذكره الا انك لا تذكره ايهاما لانك لا تقصد ذكره كقول البحتري

شجو حساده وغيظ عداه * ان يرى مبصر ويسمع واع

المعنى أن يرى مبصر محاسنه وأن يسمع واع اخباره ولكنه تغافل عن ذلك

ايذانا بان فضائله يكفي فيها ان يقع عليها بصر ويعيها سمع حتى يعلم أنه المنفرد بالفضائل فليس لحساده وعداه اشجى من علمهم بأن ههنا مبصرا وسامعا الثالث ان يحذف لكونه بينا كقولهم أصغيت اليك اي اذني واغضيت عليك اي جفني

﴿ فصل في حذف المبتدا والخبر ﴾ قد يحسن حذف المبتدا حيث يكون الغرض انه قد بلغ في استحقاق الوصف بما جعل وصفا له الى حيث يعلم بالضرورة ان ذلك الوصف ليس الا له سواء كان في نفسه كذلك او بحسب دعوى الشاعر على طريق المبالغة فذكره يبطل هذا الغرض ولهذا قال عبد القاهر ما من اسم يحذف في الحالة التي ينبغي ان يحذف فيها الا وحذفه احسن من ذكره فمن حذف المبتدا قوله تعالى سورة أنزلناها وفرضناها أي هذه سورة وقول الشاعر

لايبعد الله التلبب والغارات اذ قال الخميس نعم * أي هذه نعم قال عبد القاهر ومن المواضع التى يطرد فيها حذف المبتدا بالقطع والاستئناف انهم يبدؤن بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ثم يدعون الكلام الاول فيستأنفون كلاما آخر فاذا فعلوا ذلك اتوا في اكثر الامر بخبر من غير مبتدا مثال ذلك

وعلمت اني يوم ذاك منازل كعبا ونهدا * قوم اذا لبسوا الحديد تمروا حلقا وقدا

وقول الحطيئة هم حلوا من الشرف المعلى * ومن حسب العشيرة حيث شاؤا

اساة مكارم واساة كلم * دماهم من الكلب الشفاء

وقول الحماسى

وانى على مابي عميد فأشتكى * الى ماله حالي اسر كما جهر

غلام رماه الله بالخير مقبلا * له سيماء ما تشق على البصر

وامثلته كثيرة ومن حذف الخبر قوله تعالى لولا انتم لكنا مؤمنين أي لولا انتم مضلونا وقول عمر رضى الله عنه لولا على لهلك عمر اي لولا علي حاضر اومفت ومما يحتمل الامرين قوله تعالى طاعة وقول معروف وقوله تعالى فصبر جميل

﴿ فصل ﴾ الاضمار على شريطة التفسير كقولك اكرمني واكرمت عبدالله اي اكرمني عبد الله واكرمت عبد الله ومما يشبه ذلك مفعول المشيئة اذا جاء بعد لو فان كان مفعولها امراً عظيما او غريبا فالاولى ذكره كقوله

ولو شئت ان ابكي دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر اوسع

فان بكاء الانسان دما عجيب وان لم يكن كذلك فالاولى حذفه كقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى والتقدير ولو شاء الله ان يجمعهم على الهدى لجمعهم وكذلك قوله تعالى فلو شاء لهداكم أجمعين وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك ومن يشأ الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم واعلم انه قد تترك الكناية الى التصريح لما فيه من زيادة الفخامة كقول البحتري

قد طلبنا فلم نجد لك في السودد والمجد والمكارم مثلا

المعنى قد طلبنا لك مثلا ثم حذف لان هذا المدح انما يتم بنفي المثل فلو قال قد طلبنا لك مثلا في السودد والمجد فلم نجده لكان قد اوقع نفي الوجود على ضمير المثل فلم يكن فيه من المبالغة ما اذا اوقعه على صريح المثل فان الكناية لا تبلغ مبلغ الصريح ولهذا لو قلت وبالحق انزلناه وبه نزل وقل هو الله احد وهو الصمد لم تجد من الفخامة ما تجده في قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وقل هو الله احد الله الصمد وعلى ذلك قول الشاعر

لا ارى الموت يسبق الموت شيء * نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

﴿ القول في مباحث ان وانما ﴾

اما ان فلها فوائد الاولى انها تربط الجملة الثانية بالاولى وبسببها يحصل التاليف بينهما حتى كان الكلامين افرغا افراغا واحدا ولو اسقطتها كان الثاني نائبا عن الاول كقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله تعالى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله تعالى ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مغرقون وقد يتكرر في كلام واحد كقوله تعالى وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم ثم متى أسقطت ان من ... ة التى ادخلتها عليها فان كانت الجملة الثالثة انما تذكر لاظهار فائدة ما قبلها كما في الآيات المذكورة احتجت الى الفاء والا فلا كما فى قوله تعالى ان هذا

ما كنتم به تمترون ان المتقين فى مقام أمين فلو قلت فالمتقون لم يكن كلاما وكذلك قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة فقوله ان الله يفصل بينهم فى موضع خبران فدخول الفاء يوجب عطف الخبر على المبتدا وهو غير جائز التانية انك ترى لضمير الشان والقصة في الجملة الشرطية مع ان من الحسن واللطف ما لا تراه اذا هي لم تدخل عليها كقوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقوله انه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وقوله انه لا يفلح الظالمون الثالثة انها تهيء النكرة وتصلحها لان يحدث عنها كقوله

ان شبوا ونسوة * وحبب البازل الامون

فلولا هى لم يكن كلاما وان كانت النكرة موصوفة جاز حذفها ولكن دخولها أصلح كقول حسان

ان دهرا يلف شملى بجمل * لزمان يهم بالاحسان

الرابعة انها تغنى عن الخبر كما اذا قيل لك الناس ألب عليكم فهل لكم أحد فقلت ان زيدا وان عمرا أي لنا قال الاعشي

ان محلا وان مرتحلا * وان في السفر اذ مضوا مهلا

الخامسة قال المبرد اذا قلت عبد الله قائم فهو اخبار عن قيامه فاذا قلت ان عبد الله قائم فهو جواب عن سؤال سائل فاذا قلت ان عبد الله لقائم فهو جواب عن انكار منكر لقيامه سواء كان المنكر هو السائل أو الحاضرين والدليل على أن ان انما تذكر لجواب السائل أنهم ألزموها الجملة من المبتدا والخبر نحو والله ان زيد المنطلق فالحاجة انما تدعو الى ان اذا كان للسامع ظن يخالف ذلك وكذلك تراها تزداد حسنا اذا كان الخبر بأمر متعد كقول أبى نواس

عليك باليأس من الناس * ان غنى نفسك في الياس

ومن لطيف مواقعها أن يدعي على المخاطب ظن لم يظنه ولكن صدر منه فعل يقتضي ذلك الظن فيقال له حالك يقتضي ان تكون قد ظننت ذلك كقول الشاعر

جاء شقيق عارضا رمحه * ان بني عمك فيهم رماح

أي مجيئك هكذا مدلا بنفسك مجيء من يعتقد أنه ليس مع احد رمح غيره وقد يجيء اذا وجد أمر كان المتكلم يظن أنه لا يوجد كقولك للشيء الذي يراه المخاطب ويسمعه انه كان من الامر ماترى انه كان مني اليه احسان فقابلني بالسوء كانك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وعليه قوله تعالى حكاية عن أم مريم قالت رب اني وضعتها أنثى وحكاية عن نوح قال رب ان قومي كذبون (وأما انما) فتارة تجيء للحصر بمعنى ان هذا الحكم لايوجد في غير المذكور وهو بمنزلة ليس الا كقوله تعالى انما يستجيب الذين يسمعون وقوله انما تنذر من اتبع الذكر وقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها وتارة تجيء لبيان أن هذا الامر ظاهر عند كل أحد سواء كان كذلك او في زعم المتكلم ومنه قول الشاعر

انما مصعب شهاب من الله تجلت من وجهه الظلماء

مدعيا ان ذلك مما لا ينكره أحد من الناس واعلم أنه يستعمل للتخصيص ثلاث عبارات الاولى انما جاءنى زيد الثانية جاءنى زيد لا عمرو والفرق ان من الاولى يفهم ايجاب الفعل من زيد ونفيه عن غيره دفعة واحدة ومن الثانية دفعتين ثم انهما كليهما قد يستعملان لاثبات التخصيص لا لنفي التشريك كما اذا عرف أنه جاء انسان فظن انه عمرو فقلت جاءنى زيد لاعمرو واذا قلت انما جاءنى زيد فغرضك تخصيص المجيء بزيد لانفي التشريك وفيه نظر الثالثة ما جاءنى الا زيد وهى باصل الوضع تفيد نفي التشريك ولهذا لايصح مازيد الا قائم لا قاعد لانك بقولك الا قائم نفيت عنه كل صفة تنافي القيام فيندرج فيه نفي القعود فاذا قلت بعده لا قاعد كان تكرارا لان لفظة لا موضوعة لان ينفى بها ما اوجب الاول لا لان يفاد بها نفي ما نفى اولا ويصح انما زيد قاعد لا قائم لان صيغة انما بأصل وضعها تدل على تخصيص الحكم بالمذكور لا نفي الشركة فهو لازم من لوازمها فليس له من القوة مايدل عليه بوضعه ولهذا يصح زيد هو الجائي لاعمرو فبينت ان دلالة الاولين على التخصيص أقوى ودلالة الثالثة على نفي التشريك اقوى لان الثالثة قد تقام مقام الاولين في افادة التخصيص كما اذا ادعى واحد أنك قلت

قولا ثم قلت بخلافه فقلت له ماقلت الآن الا ما قلته قبل وعليه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ما قلت لهم الا ما أمرتني به ليس المعنى اني لم ازد على ماامرتني به شيأ ولكن المعنى اني لم ادع مماامرتني به شيأ وحكم غيرحكم الا فاذا قلت ما جاءني غير زيد احتمل ان يكون المراد نفي أن يكون جاء معه انسان آخر وأن يكون المراد تخصيص الحكم بالمذكور لانفيه عما عداه .

﴿ فصل ﴾ اذا دخل ما والا على الجملة المشتملة على المنصوب كان المقصود بالذكر ما اتصل بالا متأخرا عنه فاذا قلت ما ضرب عمرا الا زيد فالمقصود المرفوع واذا قلت ماضرب زيد الا عمرا فالمقصود المنصوب واذا قلت ماضرب الا زيد عمرا فالاختصاص بالضارب واذا قلت ماضرب الا زيدا عمرو فالاختصاص بالمضروب واذا قلت لم أكس الا زيدا جبة فالمعنى تخصيص كسوة الجبة بين الناس بزيد وكذلك الحكم حيث يكون بدل احد المفعولين جارا ومجرورا كقول السيد الحميري لو خير المنبر فرسانه * مااختار الا منكم فارسا

وكذلك حكم المبتدا والخبر والفعل والفاعل كقولك مازيد الا قائم وما قام الا زيد واما انما فالاختصاص فيها يقع مع المتاخر فاذا قلت انما ضرب زيدا عمرو فالاختصاص في الضارب وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فالغرض بيان المرفوع وهو ان الخاشين هم العلماء ولو قدم المرفوع لصار المقصود بيان المخشي منه فالاول اتم ومنه قول الفرزدق

انا الرائد الحامي الذمار وانما * يدافع عن احسابكم انا او مثلي

فان غرضه ان يحصر المدافع بانه هو لا المدافع عنه ولو قال انما انا ادافع عن احسابكم توجه التخصيص الى المدافع عنه اذا ادخلت عليهما انما فان قدمت الخبر فالاختصاص للمبتدا وان لم تقدمه فللخبر فاذا قلت انما هذا لك فالاختصاص في لك بدليل انك تقول بعده لا لغيرك وان قلت انما لك هذا فالاختصاص في هذا بدليل انك تقول بعده لاذاك وعليه قوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله تعالى انما السبيل على الذين يستاذنونك فالاختصاص في الآية الاولى للبلاغ والحساب وفي الثانية في الخبر الذي هو على الذين دون المبتدا

الذي هو السبيل واذا وقع الفعل فالمعنى ان ذلك الفعل لايصح الا من المذكور لقوله تعالى انما يتذكر اولو الالباب ثم قد يجتمع معه النفي اما متأخرا كقولك انما يجيء زيد لاعمرو قال الله تعالى انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر وقال لبيد

واذا جوزيت قرضا فاجزه * انما يجزي الفتى ليس الجمل

واما مقدما عليه كقولك ما جاءني زيد وانما جاءني عمرو فههنا لو لم نقل انما وقلت ما جاءني زيد وجاءني عمرو لكان الكلام مع من ظن أنهما جاآ جميعا واذا ادخلتها كان الكلام مع من غلط في الجائي أنه زيد لا عمرو واعلم ان اقوى ما يكون انما اذا كان لا يراد بالكلام الذي بعدها نفس معناه ولكن التعريض بامر هو مقتضاه فانا نعلم أنه ليس الغرض من قوله تعالى انما يتذكر ألو الالباب ان يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن المراد ذم الكفار ويقال لهم انهم من فرط العناد في حكم من ليس بذي عقل وقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها وقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب والتقدير ان من لم تكن له هذه الخشية فهو كمن لم يكن له اذن يسمع وقلب يعقل فالانذار معه كلا انذار وهذا الغرض لا يحصل بدون انما لان من إثباتها تضمين الكلام معنى النفي بعد الاثبات فاذا اسقطت لم يبق الا اثبات الحكم المذكورين فلا يدل على نفي غيرهم الا ان يذكر في معرض مدح الانسان بالتيقظ والكرم وامثالهما كما يقال كذلك يفعل العاقل وهكذا يفعل الكريم (تنبيه) كاد تقرب الفعل من الوقوع فنفيها ينفي القرب فان لم يكن في الكلام دليل على الوقوع فتفيد نفي الوقوع ونفي القرب منه كقوله تعالى لم يكد يراها اي لم يرها ولم يقارب رؤيتها وكقول ذي الرمة

اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب بثنة يبرح

المعنى ان مفارقة حبها لم يقارب الكون فضلا عن ان يكون

﴿ القول في النظم ﴾

وهو عبارة عن تواخي معاني النحو فيما بين الكلم وذلك ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو بان تنظر في كل باب الى قوانينه والفروق التى بين معاني اختلاف صيغه وتضع الحروف مواضعها وتراعي شرائط التقديم والتأخير

ومواضع الفصل والوصل ومواضع حروف العطف على اختلاف معانيها وتعتبر الاصابة في طريق التشبيه والتمثيل وقد اطبق العلماء على تعظيم شأن النظم وان لا فضل مع عدمه ولو بلغ الكلام في غرابة معناه الى ما بلغ وان سبب فساده ترك العمل بقرائن النحو واستعمال شيء في غير موضعه ثم الجمل الكبيرة اذا نظمت نظما واحدا فهي على قسمين الاول ان لا يتعلق البعض بالبعض فلا يحتاج واضعه الى فكر وروية في استخراجه بل هو كمن عمد الى اللآلئ ينظمها في سلك ومثاله قول الجاحظ جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعروف نسبا وبينك وبين الصدق سببا وكقول النابغة للنعمان يفاخرك ابن ابي جفنة والله لقفاك خير من وجهه ولشمالك خير من يمينه ولاخمصك خير من رأسه ولخطؤك خير من صوابه ولخدمك خير من قومه * وقال بعض البلغاء في وصف اللسان أداة تظهر حسن البيان وظاهر يخبر عن الضمير وشاهد ينبئك عن غائب وحاكم يفصل به الخطاب وواعظ ينهي عن القبيح ومزين يدعو الى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يحصد الضغينة وهذا النظم لا يستحق الفضل الا بسلامة معناه وسلاسة الفاظه اذ ليس فيه معنى دقيق لا يدرك الا بثاقب الفكر وربما ظن بالكلام انه من هذا الجنس ولا يكون منه كقول الشاعر

سالت عليه شعاب الحي حين دعا * أنصاره بوجوه كالدنانير

فان الحسن فيه ليس لمجرد الاستعارة بل لما في الكلام من التقديم والتأخير ولهذا لو ازلت ذلك وقلت سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا انصاره فانه يذهب الحسن والحلاوة الثاني ان تكون الجمل المذكورة يتعلق بعضها ببعض وهناك تظهر قوة الطبع وجودة القريحة واستقامة الذهن ثم ليس لهذا الباب قانون يحفظ فانما يجيء على وجوه شتى (منها) الإيجاز وهو التعبير عن الغرض باقل ما يمكن من الحروف وهو على ضربين أحدهما ايجاز قصر وهو تقليل اللفظ وتكثير المعنى كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر وكقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وكقوله واخرى لم تقدروا

عليها قد احاط الله بها فان الغرض فيها المبالغة في وصف الله تعالى نفسه بالقدرة عليهم مع حسن وضعه وقلة الفاظه وقوله تعالى ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقوله عز من قائل ولكم في القصاص حياة ونكر الحياة في الآية ايذانا بان شرعية القصاص رادعة عن الاقدام على القتل غالبا لا دائما كما قال فيه شفاء للناس حيث لم يكن يعم الجميع ولانه لو عرف لاقتضى ان تكون الحياة من اصلها بالقصاص وليس كذلك الثاني ايجاز حذف وهو الاستغناء بالمذكور عما لم يذكر كقوله تعالى ولكن البر من اتقى تقديره ولكن البر بر من اتقى وقوله تعالى فانها من تقوى القلوب التقدير فانها من افعال ذوي تقوى القلوب وقوله واسئل القرية وقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض اوكلم به الموتى المعنى لكان هذا القرآن وهو جواب لو فحذف وهذا الباب كثير في كتاب الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وانما يحسن اذا دل عليه الدليل كما قررناه (ومنها) التأكيد وهو تقوية المعنى وتقريره اما باظهار البرهان

كقول قابوس

يا ذا الذي بصروف الدهر عيرنا * هل عاند الدهر الا من له خطر

أماترى البحر يعلو فوقه جيف * وتستقر باقصى قعره الدرر

وفي السماء نجوم غير ذي عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر

أو بالعزيمة كقوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق وقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم وكقول الاشتر النخعي

وسلبت وفري وانحرفت عن العلى * ولقيت اضيافي بوجه عبوس

ان لم اشن على ابن حرب غارة * لم تخل بؤسا من نهاب نفوس

وقول ابي نواس .

أما والذي جعل المستهام * صديق السهاد عدوّ الكرى

لقد ذهبت مهجتي باطلا * لئن دمت منك على ما ارى

وقوله . لا فرج الله عني انْ مددت يدي * اليه اساله من حبك الفرجا

وقول ابي تمام أتظنني اجد السبيل الى العزا * وجد الحمام اذن الي سبيلا
وقوله حرمت مناي منك ان كان ذا الذي * تقوّله الواشون حقا كما قالوا
او بالتكرار كقولهم الله الله والاسد الاسد وكقول الخادرية

أظاعنة وما تودعنا هند * وهند اتى من دونها النأي والبعد

وهذا فى التنزيل كثير والعلم فيه سورة الرحمن

(القول في التجنيس)

التجنيس يتشعب شعبا كثيرة فمنه المستوفى التام وهو انْ يجيء المتكلم بكلمتين متفقتين لفظا مختلفتين معنى لا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما كقول المعري

لم يبق غيرك انسانا يلاذ به * فلا برحت لعين الدهر انسانا

وقول عبد الله بن طاهر

واني للثغر المخوف لكالئ * وللثغر يجري ظله لرشوف

قال الجامي وهو افضل تجنيس وقع لمحدث وقول ابي نواس

عباس عباس اذا احتدم الوغا * والفضل فضل والربيع ربيع

ومنه قول الجاحظ يعاتب صديقا له يعاتب في حرف ويعيد المودة على حرف وكقولهم زائر السلطان الجائر كزائر الليث الزائر وكقول البستي

سما وحمى بني سام وحام * فليس كمثله سام وحام

وقول النامي لشؤون عيني في البكاء شؤون * وجفون عينك للبلاء جفون
وقلت في مثل ذلك والمراد البيت الثاني

يا نسمة اذكرتي طيب عهدهم * ما كان ضرك لو اذكرت انسانا
أيقظت جفني وما همّ الرقاد به * فأيقظي في الدجى اجفان أجفانا

وذكر التبريزي التجنيس المستوفى كقول أبي تمام

ما مات من كرم الزمان فانه * يحيى لدى يحيى بن عبدالله

وقال وانما عد من هذا الباب لاختلاف المعنيين لان احدهما فعل والاخر اسم ومثله قول المعري

لو زارنا طيف ذات الخال احيانا * ونحن في حفر الاجداث احيانا

(ومنه المختلف) ويسمى التجنيس الناقص وهو مثل الاول في اتفاق حروف الكلمتين الا انه يخالفه اما في هيئة الحركة كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وقول معاذ رضي الله عنه الدين يهدم الدين وكقولهم جبة البرد جنة البرد والمقصود البرد والبرد كقولهم الصديق والصدوق أول العقد وواسط العقد وكقول المعري

لغيري زكاة من جمال فان يكن * زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

ومنه قول أبي تمام

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

أو بالحركة والسكون كقولهم البدعة شرك الشرك أو بالتخفيف والتشديد كقولهم الجاهل اما مفرط أو مفرط (ومنه المذيل) ويقال له التجنيس الزائد والناقص ايضا وهو ان يجيء بكلمتين متجانستي اللفظ متفقتي الحركات غير انهما مختلفتان بحرف اما من آخرهما كقولك فلان حام حامل لاعباء الامور كاف كافل بمصالح الجمهور وقولهم أنا من زماني في زمانه ومن اخواني في خيانه وقولهم فلان سال من أحزانه سالم من زمانه ومن النظم قول أبي تمام

يمدون من ايد عواص عواصم * تصول بأسياف قواض قواضب

وقول البحتري

لئن صدفت عنا فربت أنفس * صواد الى تلك النفوس الصوادف

واما من اولهما كقوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق ومن النظم ما أنشد عبد القاهر

وكم سبقت منه الي عوارف * ثنائي على تلك العوارف وارف

وكم غرر من بره ولطائف * لشكري على تلك اللطائف طائف

(ومنه المركب) وهو على ضربين الاول ما هو متشابه لفظاً وخطا كقولهم همتك الهمة الفاترة وفي صميم قلبك الفاترة ومن النظم قول البستي

اذا ملك لم يكن ذاهبه * فدعه فدولته ذاهبه

وقول آخر عضنا الدهر بنابه * ليت ما حل بنا به

وقول طاهر البصري

ناظراه فيما جنى ناظراه * أودعانى رهنا بما اودعاني

وأنشدني الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الوهاب لنفسه

طار قلبي يوم ساروا فرقا * وسواء فاض دمعي أورقا

حار في سقمي من بعدهم * كل من في الحي داوى أورقا

بعدهم لا طل وادي المنحني * وكذا بان الحمى لا أورقا

والثاني ما هو متشابه لفظا لا خطا ويسمى التجنيس المفروق كقولك كنت أطمع في تجريبك ومطايا الجهل تجري بك ومن النظم قوله

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت في تهذيبها

فاذا عرضت القول غير مهذب * عدوه منك وساوسا تهذي بها

وقول المطوعي

أخو كرم يفضي الورى من بساطه * الى روض مجد بالسماح مجود

وكم لجباه الراغبين اليه من * مجال سجود في مجالس جود

لكن ههنا اختلاف بحركة وقلت في هذا النوع

ولم أر مثل بشر الروض لما * تلاقينا وبنت العامري

جرى دمعي وأومض برق فيها * فقال الروض في هذا العام ربي

(ومن انواع المركب المرفو) وهو ان يجمع بين كلمتين احداهما اقصر من الاخرى فتضم الى القصيرة حرفا من حروف المعاني او من حروف الكلمة المجاورة لها حتى يعتدل ركنا التجنيس كقولهم يا مغرور أمسك وقس يومك بأمسك ويقرب منه قول البديع الهمداني ان لم يكن لنا حظ في درك درك فخلصنا من شرك شرك وقول الحريري ان أخليت منا مبارك مباركك فخلصنا من معارك معاركك ومن النظم قول البستي

فهمت كتابك يا سيدي * فهمت ولا عجب ان اهيما

وكقول الآخر

تفرق قلبي في هواه فعنده * فريق وعندي شعبة وفريق
اذا ظمئت نفسي أقول له اسقني * وان لم يكن ماء لديك فريق

وقول آخر بنيسابور سادات كرام * ترى احلامهم احلام عاد
اذا بدأوا بعرف تمموه * وعادوا بعده أحلى معاد

وقريب منه قول الآخر

صفت لك فينا نعمتان وخصتا * حديثهما حتى القيامة ينشر
وجودك والدنيا اليك فقيرة * وجودك والمعروف في الناس ينكر

ومنه قول الشاعر

ذو راحة وكفت ندى وكفت ردى * وقضت بهلك عداته وعداته
كالغيث في اروائه ورواثه * والليث في وثباته وثباته

(ومنه المزدوج) ويقال له التجنيس المردد والمكرر ايضا وهو ان يأتي في اواخر الاسجاع وقوافي الابيات بلفظتين متجانستين احداهما ضميمة الاخرى وبعضها كقولهم الشراب بغير النغم غم وبغير الدسم سم وقول البستي

ابا العباس لا تحسب لشيبي * باني من حلى الاشعار عار
فلي طبع كسلسال معين * زلال من ذرى الاحجار جار
اذا ما كبت الادوار زندا * فلي زند على الادوار وار

ومن اجناس التجنيس المصحف ويقال له تجنيس الخط ايضا وهو ان يأتي بكلمتين متشابهتين خطا لا لفظا كقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون وقوله تعالى والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن اشد حبا واقل خبا وقول علي بن ابى طالب كرم الله وجهه قصر من ثيابك فانه اتقى وابقى وانقى وقول البحتري

ولم يكن المغتر بالله اذ سرى * ليعجز والمعتز بالله طالبه

وقول ابي فراس

من بحر شعرك اغترف * وبفضل علمك اعترف

(ومنه المضارع) ويسمى المطمع وهو ان يجاء بالكلمة ويبدأ باختها على مثل

اكثر حروفها فيطمع في أنها مثلها فيخالفها بحرف ويسمى المطرف وهو ان يجمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما الا بحرف واحد من الحروف المتقاربة سواء وقع آخرا أو حشوا كقوله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير ومنه قول الحطيئة

مطاعين في الهيجا مطاعيم في الدجى * بنى لهم آباؤهم وبنى الجد

وقول البحتري

ظللت أرجم فيك الظنون * أخا جمة أنت أم حاجبه

وان كان التفاوت بغير المتقاربة سمي التجنيس اللاحق كقوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف وقوله تعالى وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد وقول البحتري

هل لما فات من تلاقي تلاف * ام لشاك من الصبابة شاف

(ومنه المشوش) وهو كل تجنيس يتجاذبه طرفان من الصيغة فلا يمكن اطلاق اسم احدهما عليه كقولهم فلان مليح البلاغة صحيح البراعة (ومنه تجنيس الاشتقاق) ويسمى الاقتضاب ايضا ومنهم من عده اصلا برأسه ومنهم من عده اصلا في التجنيس وهو ان يجيء بالفاظ يجمعها اصل واحد في اللغة كقوله تعالى فأقم وجهك للدين القيم وقوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات وقوله تعالى فروح وريحان وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقول علي رضى الله عنه ياصفراء اصفري ويابيضاء ابيضي وغرا غيري ومن النظم قول ابى تمام

عممت الخلق بالنعماء حتى * غدا الثقلان منها مثقلين

وقول المطرزي

واني لاستحي من المجد ان أرى * حليف غوان أو أليف أغاني

وقول الصاحب

وقائلة لم عرتك الهموم * وامرك ممتثل في الامم

فقلت ذريني على غصتي * فان الهموم بقدر الهمم

وقول آخر ان ترى الدنيا أغارت * ونجوم السعد غارت
فصروف الدهر شتى * كلما حارت أحارت

ومما يشبه المشتق ويسميه بعضهم المشابه وبعضهم يسميه المغاير قوله تعالى وجنى الجنتين دان وقوله تعالى قال انى لعملكم من القالين وقوله تعالى ليريه كيف يواري سوأة اخية وقوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله وقوله واسلمت مع سليمان وقول خالد بن صفوان وامك امية ومن النظم قول البحتري

واذا ما رياح جودك هبت * صار قول العذال فيها هباء

قلت وانما يحسن التجنيس اذا قل واتى في الكلام عفوا من غير كد ولا استكراه ولا بعد ولا ميل الى جانب الركة ولا يكون كقول الاعشي

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني * شاو مثل شاول سلسل سول

ولا كقول مسلم بن الوليد

سلت وسلت ثم سل سليلها * فأتى سليل سليلها مسلولا

ولا كقول ابى تمام * حسنت عليه اخت بني حسين *

ولا كقول المتنبي فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى * قلاقل عيش كلهن قلاقل

(ومن اجناس التجنيس تجنيس التصريف) وهو ما كان كالمصحف الا في ايجاز الكتابة ثم لا يخلو من ان يتقارب فيه الحروف باعتبار المخارج او لا يتقارب فان تقارب سمي مضارعا وان لم يتقارب سمي لاحقاً مثال الاول قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله تعالى بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وقول قيس الايادي في خطبته من مات فات وقول الشاعر فيالك من حزم وعزم طواهما * جديد البلى تحت الصفا والصفايح

اوقد اشتمل هذا البيت علي المضارع والمتمم ومثال الثانى قول علي رضي الله عنه الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر وقول عبدالله بن صالح وقد وصف اليمن ليس فيه الا ناسج برد او سائس قرد

(ومنها التجنيس المخالف) وهو ان يشتمل كل واحدة من الكلمتين على حروف الاخرى دون ترتيبها كقول ابي تمام

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

وقول البحتري شواجر ارماح يقطع بينهم * شواجن ارحام ملوم قطوعها

وقول المتنبي ممتعة منعمة رداح * يكلف لفظها الطير الوقوعا

فان اشتملت كل كلمة على حروف الاخرى وكان بعض هذه قلب حروف هذه خص باسم جناس العكس كقوله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرا وارقا وقول عبد الله بن رواحة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

تحمله الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

(ومنها تجنيس المعنى) وهو ان تكون احدى الكلمتين دالة على الجناس بمعناها دون لفظها وسبب استعمال هذا النوع ان يقصد الشاعر المجانسة لفظا ولا يوافقه الوزن على الاتيان باللفظ المجانس فيعدل الى مرادفه كقول الشاعر يمدح المهلب ويذكر فعله بقطري بن الفجاءة وكان قطري يكنى ابا نعامة .

خذا بأبي أم الرئال فأجفلت * نعامته من عارض متلهب

اراد ان يقول خذا بأبي نعامة فأجفلت نعامته أي روحه فلم يستقم له فقال بأبي أم الرئال وأم الرئال هي النعامة وكقول الشماخ .

وما أروى وان كرمت علينا * بأدنى من موقفة حرون

أروى اسم امرأة والموقفة الحرون أروى من الوحش وبها سميت المرأة فلم يمكنه ان يأتي بأسمها وأتى بصفتها وقد صرح بذلك المعري فى قوله .

أروى النياق كأروى النيق يعصمها * ضرب يظل له السرحان مبهوتا

وبعضهم لا يدخل هذا فى باب التجنيس وان كان في غاية الحسن والصعوبة والتسمية هنا تفيد ذلك

﴿ القول فى الطباق ﴾

المطابقة ان يجمع بين ضدين مختلفين كالايراد والاصدار والليل والنهار والسواد والبياض قال الاخفش وقد سئل عنه اجد قوما يختلفون فيه فطائفة وهم الاكثر تزعم انه الشيء وضده وطائفة تزعم انه اشتراك المعنيين فى لفظ واحد كقول زياد الاعجم

ونبهم يستنصرون بكاهل * واللؤم فيهم كاهل وسنام

ثم قال وهذا هو التجنيس بعينه ومن ادّعى انه طباق فقد خالف الاصمعي والخليل فقيل له أو كانا يعرفان ذلك فقال سبحان الله وهل أعلم منهما بالشعر وتمييز خبيثه من طيبه ويسمونه المطابقة والطباق والتضاد والتكافؤ وهو ان يجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل فلا يجيء باسم مع فعل ولا بفعل مع اسم مثاله قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقوله تعالى وتحسبهم أيقاظا وهم رقود وقوله تعالى سواء منكم من اسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وقوله تعالى قل اللهم مالك الملك الى قوله تعالى بغير حساب وقوله صلى الله عليه وسلم للانصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع ومن النظم قول جرير

وباسط خير فيكم بيمينه * وقابض شر عنكم بشماليا

وقول البحتري

وأمه كان قبح الجور يسخطها * حينا فاصبح حسن العدل يرضيها

وقوله ايضا

تبسم وقطوب في ندى ووغى * كالبرق والرعد وسط العارض البرد

وقول دعبل لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

وقول ابن المعتز يا رب مبكية في طي مضحكة * ورب مؤلمة في ثنى لذات

ومن ذلك قول أبي تمام

مها الوحش الا ان هاتا اوانس * قنا الخط الا ان تلك ذوابل

فان هاتا للحاضر وتلك للغائب فكانتا متقابلتين وقد تجيء المطابقة بالنفي كقول البحتري

يقيض لي من حيث لا اعلم النوى * ويسري الي الشوق من حيث أعلم

وقال الزكي بن أبي الاصبع البصري في الطباق وهو على ضربين ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة وضرب يأتي بألفاظ المجاز فما كان بلفظ الحقيقة سمي طباقا وما كان منه بلفظ المجاز سمي تكافؤا فمثال التكافؤ قول أبي الشعث العبسي من انشادات قدامة

حلو الشمائل وهو مرّ باسل * يحمي الذمار صبيحة الارهاق

لان قوله حلو ومرّ خارج مخرج الاستعارة اذ ليس الانسان ولا شمائله مما يذاق بحاسة الذوق ومن امثلة التكافؤ قول ابن رشيق

وقد اطفؤا شمس النهار واوقدوا * نجوم العوالي في سماء عجاج

وقد جمع بيت دعبل بين الطباق والتكافؤ وهو

لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

لان ضحك المشيب مجاز وبكاء الشاعر حقيقة هكذا قال ابن أبي الاصبع وفيه نظر لانه اذا كان الطباق عنده التضاد بين حقيقتين والتكافؤ التضاد بين مجازين فليس في البيت ما شرطه وقال ومما جمع بين طباقي السلب والايجاب قول الفرزدق من انشادات ابن المعتز

لعن الاله بني كليب انهم * لا يغدرون ولا يفون لجار

يستيقظون الى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

وذكر في آخر الباب طباق الترديد وهو ان يردّ آخر الكلام المطابق على اوله فان لم يكن الكلام متطابقا فهو رد الاعجاز على الصدور ومثاله قول الاعشى

لا يرفع الناس ما اوهوا وان جهدوا * طول الحياة ولا يوهون ما رفعوا

﴿ القول في المقابلة ﴾

وهي أعمّ من الطباق وذكر بعضهم انها أخص وذلك ان تضع معاني تريد الموافقة بينها وبين غيرها او المخالفة فتأتي في الموافق بما وافق وفي المخالف بما خالف أو تشترط شروطا وتعدّ احوالا في احد المعنيين فيجب ان تأتي في الثاني بمثل ما شرطت وعددت في الاول كقوله تعالى فاما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ومثاله من النظم قول الشاعر

فيا عجبا كيف اتفقنا فناصح * وفيّ ومطويّ على الغل غادر

وقول تأبط شرا

أهز به في غدوة الحي عطفه * كما هز عطفي بالهجان الاوارك

وقول آخر تقاصرن واحلولين لى ثم انه * اتت بعد ايام طوال بيثرب

وقول آخر واذا حديث ساءني لم اكتئب * واذا حديث سرني لم أستسر

وقول آخر وكيف يسامي خالدا ويناله * خميص من التقوى بطين من الخمر

وقول زهير حلماء في النادي اذا ما جئتهم * جهلاء يوم عجاجة ولقاء

وقول الفرزدق

لعمري لئن قل الحياء في رجالكم * بني نهشل مالؤمكم بقليل

وفي هذا البيت ضرب من المقابلة من جهة السلب ومن فساد ذلك ان تقابل الشيء بما لا يوافقه ولا يخالفه كقول أبي عدي القرشي

يا ابن خير الاخيار من عبد شمس * أنت زين الدنيا وغيث الجود

فليس قوله غيث الجود موافقا لقوله زين الدنيا ولا مخالفا له وكقول الكميت

وقد رأين بها حوراء منعمة * بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فالشنب لا يقابل الدل وقول آخر

وحماة بذي الصلاح وضرا * بون قدما لهامة الصنديد

وقد ذكر بعض أئمة هذا الفن تفصيلا في المقابلة فقال فمن مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقول النابغة

فتى تم فيه ما يسرّ صديقه * على ان فيه ما يسوء الاعاديا

ومن مقابلة ثلاثة بثلاثة قول الشاعر

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

وقول أبي نواس

أنا استدعيت عفوك عن قريب * كما استعفيت سخطك من بعيد

وقول الآخر

فلا الجود يفني المال والجد مقبل * ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

ومن مقابلة اربعة باربعة قول الله تعالى فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى

المقابل بقوله استغنى قوله تعالى من اتقى لان معناه زهد فيما عند الله واستغنى بشهوات الدنيا عن الآخرة وذلك يتضمن عدم التقوى ومنه قول النابغة

اذا هبطا سهلا أثار إعجاجة * وان وطئا حزنا تقضت جنادل

ومن مقابلة خمسة بخمسة قول أبي الطيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وانثني وبياض الصبح يغري بي

قابل ازور بأنثني وسواد ببياض والليل بالصبح ويشفع بيغري ولى بقوله بى

﴿ القول في الاسجاع ﴾

كلمات الأسجاع موضوعة على ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض ان يجانس بين القرائن ويزاوج بينها ولا يتم ذلك الا بالوقف ألا ترى ان قولهم ما ابعد ما فات وما اقرب ما هو آت فلو ذهبت تصل ما لم يكن بدّ من اعطاء أواخر القرائن ما يقتضيه حكم الاعراب لاختلف أواخر القرائن وفات الساجع غرضه واذا رأيناهم يخرجون الكلمة عن اوضاعها للازدواج فيقولون آتيك بالغدواء او بالعشاء وهنأني الطعام ومرأني وانصرفن مأزورات غير مأجورات يريدون الغدوات وأمرأني وموزورات مع ان فيه ارتكابا لمخالفة اللغة وكذلك أعط القوس باريها وفيه ترك الاعراب من أثناء الكلام فما الظن بأواخر الكلم المشبهة بالقوافي والأولى ان يقال في أواخر الابيات الفواصل اذا عرف هذا فالاسجاع اربعة أنواع الترصيع والمتوازي والمطرف والمتوازن (اما الترصيع) فهو ان تكون الالفاظ مستوية الاوزان متفقة الاعجاز كقوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اقبل توبتي واغسل حوبتي وقولهم فلان يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية وقولهم حتى عاد تعريضك تصريحا وتمريضك تصحيحا ومن النظم قول الخنساء

حامي الحقيقة محمودُ الخليقة * مهدي الطريقة نفّاع وضرار

جوّاب قاصية حزاز ناصية * عقاد ألوية للخيل جرار

وكقول أبي فراس

وأفعالنا للراغبين كريمة * وأموالنا للطالبين نهاب

وقول الابيوردي

يروح اليهم عازب الحمد وافيا * ويغدو عليهم طالب الرفد عافيا

وقد يجيء مع التجنيس كقولهم اذا قلت الانصار كلت الابصار وما وراء الخلق الدميم الا الخلق الذميم ومن النظم قول المطرزي

وزند ندى فواضله وريّ * ورند ربى فضائله نضير

ودرّ جلاله أبدا ثمين * ودر نواله أبدا غزير

وقول الآخر فللخطة النكراء سيبك رافع * وللخطة العذراء سيفك خاطب

(والمتوازي) وهو ان يراعى في الكلمتين الاخيرتين من القرينتين الوزن مع اتفاق الحرف الآخر منهما كقوله تعالى فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وقول الحريري ألجأني حكم دهر قاسط الى ان انتجع أرض واسط وقوله واودي الناطق والصامت ورثى لنا الحاسد والشامت (والمطرف) وهو ان يراعى الحرف الاخير في كلتا قرينتيه من غير مراعاة الوزن كقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا وقولهم خيامه محط الرحال ومخيم الآمال (والمتوازن) وهو ان يراعى في الكلمتين الاخيرتين من القرينتين الوزن مع اختلاف الحرف الآخر منهما كقوله تعالى ونمارق مصفوفة وزرابيّ مبثوثة وقولهم اصبر على حرّ القتال ومضض النزال وشدة المصاع ومداومة المراس فان راعى الوزن في جميع كلمات القرائن أو اكثرها وقابل الكلمة منها بما تعادلها وزنا كان احسن كقوله تعالى وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وقول الحريري اسودّ يومي الابيض وابيض يومي الاسود ويسمى هذا في الشعر الموازنة كقول البحتري .

فقف مسعدا فيهن ان كنت عاذرا * وسر مبعدا عنهن ان كنت عاذلا

ومما هو شرط الحسن في هذه المحافظة على تناسبه وهو اسم جامع للملاءمة والتناسب فالملاءمة تأليف الالفاظ الموافية بعضها لبعض على ضرب من الاعتدال

كقول لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يعود رمادا بعد اذ هو ساطع
وما المال والاهلون الا وديعة * ولا بدّ يوما أن تردّ الودائع

وبعضهم يعدّ التلفيق من باب الملاءمة وهو أن يضم الى ذكر الشيء ما يليق به ويجري مجراه وأن يجمع الامور المتناسبة ويقال له مراعاة النظير أيضا كقول ابن سمعون المهلبي أنت أيها الوزير ابراهيمي الجود اسمعيلي الوعد شعيبي التوفيق يوسفي العفو محمدي الخلق وكقول أبي الشعائر الحمداني

أأخا الفوارس لو رأيت مواقفي * والخيل من تحت الفوارس تنحط
لقرأت فيها ما تخط يد الوغى * والبيض تشكل والاسنة تنقط

وكقول الفزاري

كأن الثريا علقت في جبينه * وفي أنفه الشعرى وفي خدّه القمر

وكقول الآخر

فنحن الثريا وعيوقها * ونحن السماكان والمرزم
وأنتم كواكب مجهولة * ترى في السماء ولا تعلم

وقول المتنبي

أحبك ياشمس الزمان وبدره * وان لامني فيك السها والفراقد

وقول آخر

ياجوهر الحسن حسن الناس من عرض * والحسن لفظا ومعنى اللفظ معناكا

وقول آخر

وكم سائل بالغيب عنه أجبته * هناك الايادي الشفع والسودد الوتر
عطاء ولا منّ وحكم ولاهوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

وقول ابن حيوس

يقينك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

والتناسب هو ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر كقول النابغة

والرفق يمن والاناة سعادة * فتأن في رفق تنال نجاحا

واليأس مما فات يعقب راحة * ولرب مطمعة تعود ذباحا

ويسمى التشابه أيضا وقبل التشابه أن تكون الالفاظ غير متباينة بل متقاربة في الجزالة والرقة والمتانة والسلاسة وتكون المعاني مناسبة لالفاظها من غير أن يكسي اللفظ الشريف المعني السخيف أو على الضد بل يصاغان مما صياغة تناسب وتلاؤم حتى لايكون الكلام كما قيل

وبعض قريض المرء أولادعلة * يكدّ لسان الناطق المتحفظ

﴿ فصل في الفقر المسجوعة ومقاديرها ﴾ قصر الفقرات يدل على قوة التمكن واحكام الصناعة واقل مايكون من كلمتين كقوله تعالى ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر وامثال ذلك في الكتاب العزيز كثيرة لكن الزائد على ذلك هو الاكثر وكان بديع الزمان يكثر من ذلك في رسائله كقوله كميت نهد كأن راكبه في مهد يلطم الارض بزبر وينزل من السماء بخبر قالوا لكن التذاذ السامع بما زاد على ذلك اكثر لتشوفه الى ما يرد على سمعه فأما الفقر المختلفة فالاحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى ولكن لابقدر كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فيقل الالتذاذ بسماعها فان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوي القرينتين الاوليين وزيادة الثالثة عليهما وان زادت الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على الثانية فلا بأس لكن لاتكون اكثر من المثل ولا بد من الزيادة في آخر القرائن مثاله في القرينتين وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ اداّ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخرّ الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا ومثاله في الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا واقصر الطوال ماكان من احدى عشرة لفظة واكثرها غير مضبوط مثاله من احدى عشرة لفظة قوله تعالى واذا أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعنها منه انه ليؤس كفور والتي بعدها من ثلاث عشرة كلمة ومثاله من عشرين لفظة قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور

﴿ ردّ العجز على الصدر ﴾

وهو كل كلام منثور او منظوم يلاقي آخره أوّله بوجه من الوجوه كقوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقوله تعالى لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى وقولهم القتل أنفى للقتل والحيلة ترك الحيلة وقولهم طلب ملكهم فسلب ماطلب ونهب مالهم فوهب مانهب وهو فى النظم على أربعة انواع الاول أن يقعا طرفين متفقين صورة ومعنى كقوله

سريع الى ابن العم يشتم عرضه * وليس الى داعي الندى بسريع

وقوله سكران سكر هوى وسكر مدامة * أنى يفيق فتى به سكران

وقوله تمنت سليمى أن اموت صبابة * واهون شيء عندنا ماتمنت

او متفقتين صورة لامعنى وهو احسن من الاول كقول السري

يسار من سجيتها المنايا * ويمنى من عطيتها اليسار

وقول الآخر

ذوائب سود كالعنا قد ارسلت * فمن اجلها منا النفوس ذوائب

او معنى لاصورة كقول عمر بن ربيعة

واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لايستبد

وقول مضرس بن ربعي

تمنيت ان القى سليما او عامرا * على ساعة ينسى الحليم الامانيا

وقول السري

ضرائب ابدعتها في السماح * ولسنا نرى لك فيها ضريبا

وقول آخر

ثلبك اهل الفضل قد دلني * انك منقوص ومثلوب

اولا صورة ولا معنى ولكن بينهما مشابهة اشتقاق كقول الجريري

ولاح يلحني على جرى العنان الى * ملهى فسحقا له من لائم لاحا

الثاني ان يقع في حشو المصراع الاول وعجز الثاني اما متفقين صورة ومعنى كقول أبي تمام

ولم يحفظ مضاع المجد شيء * من الاشياء كالمال المضاع

وقول آخر أما القبور فانهن اوانس * بجوار قبرك والديار قبور

وقول آخر سقى الرمل جون مستهل ربابه * وما ذاك الا حب من حل بالرمل

وقول آخر وكنت سناما في فزارة تامكا * وفي كل حيّ ذروة وسنام

أو صورة لا معنى كقول الثعالبي

واذا البلابل أفصحت بلغاتها * فانف البلابل باحتساء بلابل

فالاول جمع بلبل والثاني جمع بلبلة وهى الهم والثالث جمع بلبلة الابريق

وقول آخر

لا كانسان تيم قاصدا * صيد المها فاصطاده انسانها

وقال الزمخشري

وأخرني دهري وقدّم معشرا * على انهم لا يعلمون وأعلم

فمذ افلح الجهال أيقنت انني * انا الميم والايام افلح أعلم

او معنى لا صورة كقول امريء القيس

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شيء سواه بخزان

وقول أبي تمام دمن ألم بها فقال سلام * كم حل عقدة صبره الالمام

وقول ابي فراس

وما ان شبت من كبر ولكن * لقيت من الاحبة ما اشابا

او في الاشتقاق فقط كقول ابى فراس

منحناها الحرائب غير انا * اذا جزنا منحناها الحرابا

الثالث ان يقعا في آخر المصراع الاول وعجز الثانى اما متفقين صورة ومعنى كقول ابي تمام

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما * فما زلت بالبيض القواضب مغرما

او صورة لا معنى كقول الحريري

فمشغوف بايات المثاني * ومفتون بربات المثاني

او معنى لا صورة كقول البحتري

ففعلك ان سئلت لنا مطيع * وقولك ان سئلت لنا مطاع

ومما يشبه المتفق وليس به قول الحريري

ومضطلع بتلخيص المعنى * ومطلع الى تخليص عان

فالاول من تركيب ع ن ى والثانى من تركيب ع ن و الرابع ان يقعا في اول المصراع الثانى والعجز اما متفقين صورة ومعنى كقول الحماسى.

فالا يكن الا معلل ساعة * قليلا فانى نافع لي قليلها

او صورة لا معنى كقول ابى دؤاد

عهدت لها منزلا دائرا * وآلا على الماء يحملن آلا

فالاول الاتباع والثاني أعمدة الخيام وكقول آخر

رماك زمان السوء من حيث لا ترى * فوافى ولم يظفر بما هو راما

أو معنى لا صورة كقول أبي تمام

ثوى في الثرى من كان يحيي به الورى * ويأمن صرف الدهر جاهله الغمر

وقد كانت البيض البواتر في الوغى * بواتر فهي الآن من بعده بتر

فهذه هى الاقسام التي وجدت امثلتها وقد ذكر ابن أبى الإصبع أنها ثلاثة وان ابن المعتز قسمها كذلك وهذه اوبعة كما ترى ومن نوادر هذا الباب بيتا الحريري اللذان سماهما المطرفين وهما

سم سمة يحسن آثارها * واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكر مهما اسطعت لا تأته * لتقتنى السودد والمكرمه

فان لم يقع في العجز فليس من هذا الباب كقوله

وتبهم يستنصرون بكاهل * وللؤم فيهم كاهل وسنام

وكقول الافوه الاودي

وأقطع الهوجل مستأنسا * بهوجل غيرأنة عنتريس

فالهوجل الاول الفلاة والثاني الناقة السريعة

﴿ الاعنات ﴾

ويقال له التضييق والتشديد ولزوم مالا يلزم وهو أن يعنت نفسه في التزام ودف

او دخيل او حرف مخصوص قبل حرف الروى او حركة مخصوصة كقوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بك اجاول وبك اصاول وقوله شرّ ما في المرء شح هالع او جبن ظالع وقوله الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقوله زر غبا تزدد حبا وقول عمر رضى الله عنه لا يكن حبك لها كلفا ولا بغضك لها تلفا وقول المعرى

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
يحطمنا صرف الزمان كأننا * زجاج ولكن لا يعاد له السبك

وهو كثير في شعره وقال آخر

يقولون في البستان للعين لذة * وفي الخمر والماء الذي غير آسن
اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها * ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

وقد التزم ابن الرومي الفتح قبل حرف الروى وكان اولع الناس بذلك فقال

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه فيها وانها * لأوسع مما كان فيه وارغد
اذا ابصر الدنيا استهل كانه * بما سيلاقى من اذاها يهدد

وهى طويلة وكلها على هذا اللزوم

﴿ المذهب الكلامي ﴾

وهو ايراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومنه قول النابغة يعتذر الى النعمان

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة * لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولكنني كنت امرأ لي جانب * من الارض فيه مستراد ومذهب
ملوك واخوان اذا ما مدحتهم * أحكم فى أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم * فلم ترهم في مدحهم لك أذنبوا

يقول لهذا الملك أنت أحسنت الى قوم فمدحوك وأنا أحسن الىّ قوم فمدحتهم

فكما ان مدح من أحسنت اليه لك لايعد ذنبا فكذا مدحي لمن أحسن الىّ لايعد ذنبا قال ابن أبي الاصبع ومن شواهد هذا الباب قول الفرزدق

لكل امرئ نفسان نفس كريمة * ونفس يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسيك تشفع للندى * اذا قل من احرارهن شفيعها

يقول لكل انسان نفس مطمئنة تأمر بالخير ونفس أمارة تأمر بالسوء والانسان يعاصي الامارة مرة ويطيعها أخرى وأنت اذا أمرتك الامارة بترك الندى شفعت المطمئنة اليها في الندى في الحالة التي يقل فيها الشفع في الندى من النفوس فانت أكرم الناس

﴿ حسن التعليل ﴾

وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف وهو على ضربين الاول ان الصفة اما ثابتة قصد بيانها او غير ثابتة أريد اثباتها فالاولى أن لايظهر لها في العادة علة كقوله

لم تحك نائلك السحاب وانما * حمت به فصبيبها الرحضاء

والثانية تظهر لها علة كقوله

ما به قتل أعاديه ولكن * يتقي اخلاف ما ترجو الذئاب

فان قتل الاعداء في العادة لدفع مضرتهم لا لما ذكره والضرب الثاني اما ممكنة كقوله

ياواشيا حسنت فينا اساءته * نجى حذارك انساني من الغرق

فان استحسان اساءة الواشي ممكن لكن لما خالف الناس فيه عقبه بما ذكر أو غير ممكنة كقوله

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته * لما أتت وعليها عقد منتطق

وألحق به مابنى على الشك كقول أبي تمام

ربى شفعت ريح الصبا لرياضها * الى المزن حتى جادها وهو هامع
كأن السحاب الغر غيبن تحتها * حبيبا فما ترقى لهن مدامع

وقد أحسن ابن رشيق في قوله

سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا .

فقالت غير ناطقة لأنى * حويت لكل انسان حبيبا

﴿ الالتفات ﴾

فسر قدامة الالتفات بأن قال هو ان يكون المتكلم آخذا في معنى فيعترضه اما شك فيه او ظن او ردّا يرده عليه او سائل يسأله عن سببه فيلتفت اليه بعد فراغه منه فاما أن يجلي الشك او يؤكده او يذكر سببه كقول الرماح بن سادة

فلا صرمة تبدو ففي اليأس راحة * ولا صلة تصفو لنا فنكارمه

فكان هذا الشاعر توهم ان قائلا يقول ما تصنع بصرمة فقال لان في اليأس راحة وأما ابن المعتز فقال الالتفات انصراف المتكلم عن الاخبار الى المخاطبة ومثاله من القرآن العزيز الاخبار بان الحمد لله رب العالمين ثم قال اياك نعبد واياك نستعين ومثاله من الشعر قول جرير

متى كان الخيام بذي طلوح * تبعت الغيث اثناء الخيام

او انصراف المتكلم عن المخاطبة الى الاخبار كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ومثال ذلك من الشعر قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظنى غيره * مني بمنزلة المحب المكرم

ثم قال مخبرا عنها

كيف المزار وقد تربع اهلها * بقنسرين واهلنا بالمعلم

او انصراف المتكلم من الاخبار الى التكلم كقوله تعالى وهو الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه او انصراف المتكلم من التكلم الى الاخبار كقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وقد جمع امرؤ القيس الالتفاتات الثلاثة في ثلاثة ابيات متواليات وهى قوله

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلىّ ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد

وذلك من نبأ جاءنى * وبلغته عن أبي الاسود

فخاطب في البيت الاول وانصرف الى الاخبار في البيت الثانى وانصرف عن الاخبار الى التكلم في البيت الثالث على الترتيب

﴿ التمام ﴾ وهو الذي سماه الحاتمي التتميم وسماه ابن المعتز اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود المتكلم فيتمه وشرح حده انه الكلمة التي اذا طرحت من الكلام نقص معناه ومبالغته مع ان لفظه يوهم بأنه تام وهو على ضربين ضرب في المعاني وضرب في الالفاظ فالذي في المعاني هو تتميم المعنى والذي في الالفاظ هو تتميم الوزن والاول هو الذي قدم حده ومثاله قوله سبحانه وتعالى من عمل صالحا من ذكر او أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة وقوله تعالى من ذكر أو أنثى تتميم وقوله وهو مؤمن تتميم ثاني في غاية البلاغة التى بذكرها يتم معنى الكلام ومن هذا القسم قول الرسول صلى الله عليه وسلم ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتى عشرة ركعة من غير الفريضة الا ابتنى الله له بيتا في الجنة فوقع التتميم في هذا الحديث في ثلاثة مواضع منها قوله مسلم وقوله لله وقوله من غير الفريضة ومن اناشيد قدامة على هذا القسم قول الشاعر

أناس اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عادوا بالسيوف القواضب

واما الذي في الالفاظ فهو الذي يؤتى به لاقامة الوزن بحيث لو طرحت الكلمة استقل معنى البيت بدونها وهو على ضربين احدهما مجيء الكلمة لا تفيد غير اقامة الوزن فقط والثاني مجيئها تفيد مع اقامة الوزن نوعا من الحسن فالاول من العيوب والثاني من المحاسن والكلام هنا في الثاني ومثاله قول المتنبي

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * يا جنتي لظننت فيه جهنما

فانه جاء بقوله يا جنتي لاقامة الوزن وقصد بها دون غيرها مما يسد مسدها ان يكون بينها وبين قافية البيت مطابقة لا تحصل بغيرها .

﴿ الاستطراد ﴾

ذكر الحاتمي في حلية المحاضرة انه نقل هذه التسمية عن البحتري وذكر غيره ان البحترى نقلها عن أبي تمام وسماه ابن المعتز الخروج من معنى الى معنى وفسره بأن قال هو ان يكون المتكلم في معنى فيخرج به بطريق التشبيه او الشرط او الاخبار او غير ذلك الى معنى آخر يتضمن مدحا او قدحا او وصفا ما وغالب وقوعه في الهجاء وان وقع في غيره ولا بد من ذكر المستطرد باسمه بشرط ان

لا يكون له تقدم ذكر فمن اول ما ورد فيه من النظم قول السموأل بن عاديا

وانا لقوم ما نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

ومنه قول حسان

ان كنت كاذبة الذي حدثتني * فنجوت منجى الحارث بن هشام

ترك الاحبة ان يقاتل دونهم * ولجا برأس طمرّة ولجام

وقول أبي تمام في وصف حافر الفرس بالصلابة

أيقنت اذ لم يمزق ان حافره * من صخر تدمر او من وجه عثمان

وقول البحتري في الفرس ايضا

ما ان يعافي قذى ولو اوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

ومما جمع المدح والهجاء قول بكر بن النطاح

عرضت عليها ما تريد من المنى * لترضى فقالت قم فجئني بكوكب

فقلت لها هذا التعنت كله * كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب

سلي كل شيء يستقيم طلابه * ولا تذهبي يابدرتي كل مذهب

فاقسم لو اصبحت في عز مالك * وقدرته اعيا بما رمت مطلبي

فتى شقيت امواله بنواله * كما شقيت بكر بارماح تغلب

ومما جاء على وجه المجون قول بعضهم

اكشفي وجهك الذي اوحلتني * فيه من قبل كشفه عيناك

غلطي في هواك يشبه عندي * غلطي في أبي علي ابن زاكى

ومما جاء في النسب على وجه التشبيه قول امرئ القيس

عوجا على الطلل المحلل علنا * نبكي الديار كما بكى ابن جذام

وهو ضربان احدهما انه يستثنى في صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيه نحو قوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما فالتاكيد فيه من جهة انه كدعوى الشيء ببينة وان الاصل في الاستثناء الاتصال فذكر اداته قبل ذكر ما بعدها يوهم اخراج شيء مما قبلها فاذا وليها صفة مدح جاء التاكيد والثاني ان تثبت لشيء صفة مدح وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح

اخرى له كقوله صلى الله عليه وسلم انا أفصح العرب بيد اني من قريش واصل الاستثناء في هذا الضرب ايضا ان يكون منقطعا لكنه باق على حاله لم يقدر متصلا فلا يفيد التاكيد الا من الوجه الثانى من الوجهين المذكورين ولهذا كان الاول افضل ومن أمثلة الاول قول النابغة الذبيانى

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ومن الثانى قول النابغة الجعدي

فتى كملت اخلاقه غير انه * جواد فما يبقى على المال باقيا

ومن احسن ما ورد في هذا الباب قول بعضهم

ولا عيب فينا غير ان سماحنا * اضر بنا والناس من كل جانب

فافنى الردى اعمارنا غير ظالم * وافنى الندى اموالنا غير غائب

(تاكيد الذم بما يشبه المدح) وهو ضربان احدهما ان يستثنى من صفة مدح منفية عن الشئ صفة ذم بتقدير دخولها فيه كقولك فلان لا خير فيه الا انه يسئ الى من احسن اليه وثانيهما ان تثبت للشئ صفة ذم وتعقب باداة استثناء تليه صفة ذم له اخرى كقولك فلان فاسق الا انه جاهل وتحقيق القول فيهما علي قياس ما تقدم

(تجاهل العارف) وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه ليخرج كلامه مخرج المدح او الذم أو ليدل على شدة التدله في الحب أو لقصد التعجب او التوبيخ او التقرير وقال السكاكي هو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة كالتوبيخ كما في قول الخارجية وهى ليلى بنت طريف

ايا شجر الخابور مالك مورقا * كانك لم تجزع على ابن طريف

أو المبالغة في المدح كما في قول البحتري

ألمع برق سري اوضوء مصباح * أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى

او الذم كما في قول زهير

وما ادرى ولست اخال ادرى * أقوم آل حصن أم نساء

أو التدله في الحب كقول العرجى

بالله ياظبيات القاع قلن لنا * ليلاي منكن أو ليلي من البشر

ومنه قول بعض المحدثين

بدا افراع فؤادي حسن صورته * فقلت هل تلك ذاك الشخص أم ملك

(الهزل الذي يراد به الجد) وهو ان يقصد المتكلم ذم انسان او مدحه فيخرج ذلك مخرج المجون

ومنه قول الشاعر

اذا ما تميمي أتاك مفخرا * فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب

ومن ابلغ ما في هذا الباب قول امريء القيس

وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بأن الفتى يهذي وليس بفعال

وانشد ابن المعتز في هذا الباب قول أبي العتاهية

يا سلم أرقيك باسم الله أرقيكا * من بخل نفسك علّ الله يشفيكا

ما سلم كفك الا من يتاركها * ولا عدوك الا من يرجيك

(الكنايات) وهي ان يعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن الفاحش بالطاهر كقوله سبحانه وتعالى كانا يأكلان الطعام كناية عن الحدث وكقوله تعالى او جاء احد منكم من الغائط كناية عن قضاء الحاجة وقوله عز وجل ولكن لا تواعدوهن سرا كناية عن الجماع قال امريء القيس

ألا زعمت شبابة الحي انني * كبرت وان لا يحسن السر امثالي

ذهب كل من فسر شعره من العلماء الى انه اراد بالسر الجماع وفي السنة النبوية من الكناية مالا يكاد يحصى كقوله صلى الله عليه وسلم لا يضع العصا عن كتفه كناية عن كثرة الضرب او كثرة السفر ومن نخوة العرب وغيرتهم كنايتهم عن حرائر النساء بالبيض كما قال امرؤ القيس

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم لأنجشة رويدا سوقك بالقوارير يعني النساء ومن مليح الكناية قول بعض العرب

الا يانخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

سألت الناس عنك فخبروني * هنا من ذاك يكرهه الكرام
وليس بما أحل الله بأس * اذا هو لم يخالطه الحرام

فكني بالنخلة عن المرأة يشير الى انه سأل عنها فأخبر أنها زوجت والعرب تكنى بالهناة عما يستقبح ذكره ومن احسن الكنايات في الهجاء قول بعض الشعراء يهجو انسانا ويرمى أمه بالفجور ويرميه بداء الأسد

اراد ابوك أمك حين زفت * فلم توجد لأمك بنت سعد

يريد عذرة ثم قال أخو لخم أعارك منه ثوبا * هنيئاً بالقميص المستجد

يريد جزاما فانه أخو لخم

(المبالغة) وتسمى التبليغ والافراط في الصفة وحدّ قدامة المبالغة فقال هي أن يذكر المتكلم حالا من الاحوال لو وقف عندها لاجزأت فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره ما يكون ابلغ في معنى قصده كقول عمير بن كريم التغلبي

ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا

ومما ورد في المبالغة من السنة النبوية قول النبي صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه عز وجل انه قال كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزي به وقوله في بقية هذا الحديث والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ففي هذا الحديث مبالغتان احداهما كون الله سبحانه وتعالى اضاف الصيام الى نفسه دون سائر الاعمال لقصد المبالغة في تعظيمه وشرفه وأخبر أنه سبحانه وتعالى يتولى مجازاة الصائم مبالغة في تعظيم الجزاء وشرفه ونحن نعلم أن الاعمال كلها لله سبحانه وتعالى ولعبده باعتبارين اما كونها لله تعالى فلانها عملت لوجهه الكريم واما كونها للعبد فلأنه يثاب عليها فتخصيص الصيام من بينها بالاضافة الى الرب سبحانه وتعالى وتخصيص ثوابه بأنه هو يجزي به انما كان للمبالغة في تعظيمه والحث عليه والمبالغة الثانية اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تقديم القسم بأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ففضل تغير فم الصائم بالامساك عن الطعام والشراب على أعظم الطيب وأتى بصيغة أفعل للمبالغة ومن امثلة المبالغة المنقولة قول امرئ القيس

فعادى عداء بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

فانه أخبر عن هذا الفرس انه ادرك ثور او بقرة وحشية في مضمار واحد ولم يعرق ومثله قول ابي الطيب

وأصرع أيّ الوحش قفيته به * وانزل عنه مثله حين أركبُ

وما يعاب من المبالغة الا ما خرج عن حد الامكان الى الاستحالة كقوله

وأخفت أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التي لم تخلق

وأما اذا كان كقول قيس ابن الحطيم

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر * لها نفذ لولا الشعاع أضاءها

ملأت بها كفي فانهرت فتقها * يرى قائم من دونها ما وراءها

فان ذلك من جيد المبالغة اذ لم يكن قد خرج مخرج الاستحالة مع كونه قد بلغ النهاية في وصف الطعنة ومن احسن ذلك وابلغه قول احد شعراء الحماسة

رهنت يدي بالعجز عن شكر بره * وما بعد شكري للشكور مزيد

ولو كان مما يستطاع استطعته * ولكن مالا يستطاع شديد

(عتاب المرء نفسه) وهو من افراد ابن المعتز ولم ينشد فيه سوى بيتين ذكر ان الآمدى أنشدهما عن الجاحظ

عصاني قومي والرشاد الذي به * أمرت ومن يعص المجرّب يندم

فصبرا بني بكر على الموت انني * أرى عارضا ينهل بالموت والدم

ومثله قول دريد بن الصمة

نصحت لعارض وأصحاب عارض * ورهط بني السوداء والقوم شهد

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج * سراتهم في الفارسي المسرد

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى * غوايتهم وأنني غير مهتد

وما انا الامن غزية انْ غوت * غوت وان ترشد غزية أرشد

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد

ولا يصلح ان يكون شاهدا لهذا الباب الا قول شاعر الحماسة

أقول لنفسي في الخلاء ألومها * لك الويل ما هذا التجلد والصبر

وقول الآخر

فقدتك من نفس شعاعا فانني * نهيتك عن هذا وانت جميع

(حسن التضمين) هو ان يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية او حديث او مثل سائر او بيت شعر ومن انشادات ابن المعتز في هذا الباب

عوّذ لما بت ضيفا له * أقراصه مني بياسين

فبت والارض فراشي وقد * غنت قفا نبك مصاريني

فضمن بيته الاول كلمة من السورة بتوطئة حسنة وبيته الثاني مطلع قصيدة امرئ القيس ومما ضمن فيه معنى الحديث النبوي صلوات الله على قائله قول الآخر

وأخ مسه نزولي بقرح * مثل ما مسني من الجوع قرح

بت ضيفا له كما حكم الدهر وفي حكمه على الحرّ قبح

قال لي مذ نزلت وهو من السكر وبالهم طافح ليس يصحو

لم تغربت قلت قال رسول الله والقول منه نصح ونجح

سافروا تغنموا فقال وقد قال تمام الحديث صوموا تصحوا

ومن تضمين الشعر قول بعضهم

وقفنا بانضاء حنينا كواعب * على مثلها من اربع وملاعب

وهو مطلع قصيدة لأبي تمام وكمل حسنه حسن التوطئة في عود الضمير الى الانضاء ومنه قول المعري

طول حياة ما لها طائل * نغص عندي كل ما يشتهى

أصبحت مثل الطفل في ضعفه * تشابه المبدأ والمنتهى

فلا تلم سمعي اذا خانني * ان الثمانين وبلغتها

المراد من التضمين هنا تمام البيت وهو قوله قد احوجت سمعي الى ترجمان وانما تركه لان اول البيت يدل عليه لشهرته وانشدني الشهاب بن الانباري يحماه لنفسه في تضمين النصف الثاني

وقل لمن لامك في وصلها * قد احوجت سمعي الى ترجمان

وقلت في تضمين مثل مشهور

بانوا وخلفني الاسى في ربعهم * أبكى الطلول مصرحا ومعرّضا
ولو استطعت فراقهـا لتبعتهم * فزمامها بيدي وما ضاق الفضا

وللنور الاسعردي في مثل ذلك

سباني معسول المباني عاسل المعاطف مصقول السوالف مائد
يروم على اردافه الخصر مسعدا * اذا عظم المطلوب قلّ المساعد

وأنشدني عفيف الدين التلمساني لنفسه في مثل ذلك

يشكو الى أردافه خصره * لو تسمع الامواج شكوى الغريق

وقد اكثر المتأخرون في ذلك وفي تضمين البيت الكامل ومن الحسن في ذلك ما حكي ان شرف الدين الحلاوي أنشد لغزا في الشبابة وهو

وناطقة خرساء باد شحوبها * تكنفها بخش وعنهن تخبر
يلذ الى الاسماع رجع حديثها * اذا سدّ منها منخر جاش منخر
نهاني النهى والشيب عن وصل مثلها * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

وفي اللغز والجواب تضمين نصفي بيتين لتأبط شرا وقد ضمنت بيتين بتوطئة واحدة وهما

وبتنا على حكم الصبابة مطعمي * زفيري واشجاني وشربي المدامع
وخلي يعاطيني كؤس ملامة * وينشدني والهم للقلب صادع
أتطمع من ليلى بوصل وانما * يقطع اعناق الرجال المطامع
فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقش في انيابها السم ناقع

﴿ التلميح ﴾

وهو من التضمين وانما بعضهم أفرده وهو ان يشير في فحوى الكلام الى مثل سائر أو بيت مشهور او قضية معروفة من غير ان يذكره كقوله

المستغيث بعمرو عند كربته * كالمستغيث من الرمضاء بالنار

أشار الى قصة كليب واستغاثته بعمرو بن الحرث ومنهم من يسمى ذلك اقتباسا وايراد المثل كما هو تضمينا ارسال المثل كقول أبي فراس

تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن يخطب العلياء لم يغلها مهر

وكقول المتنبي

تبكي عليهن البطاريق في الدجى * وهن لدينا ملقيات كواسد
بذا قضت الايام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

(ارسال مثلين) هو الجمع بين مثلين كقول لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وقول النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

وقول زهير

ومن يغترب يحسب عدوّا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدّم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

وقول عبيد بن الابرص

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

وقول الحطيئة

من يفعل الخير لا يعدم جوازه * لا يذهب العرف بين الله والناس

وقول المتنبي

أعز مكان في الدنيا سرج سابح * وخير جليس في الانام كتاب

وقوله ايضا

وكل امرئ يولي الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

وقول ابي فراس

ومن لم يوق الله فهو مضيع * ومن لم يعز الله فهو ذليل

﴿ الكلام الجامع ﴾

هو أن يكون البيت جاريا مجرى مثل واحد كقول زهير

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وكقول أبي فراس

اذا كان غير الله في عدة الفتى * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

وللمتنبي في ذلك اليد البيضاء كقوله

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وقوله ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وقوله انا لفي زمن ترك القبيح به * من اكثر الناس احسان واجمال

وقوله ومن البلية عذل من لا يرعوى * عن جهله وخطاب من لا يفهم

وقوله والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

﴿ اللف والنشر ﴾

هو أن يذكر شيئين فصاعدا ثم يأتي بتفسير ذلك جملة مع رعاية الترتيب ثقة بان السامع يرد الى كل واحد منهما ماله كقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ومن النظم قول الشاعر

ألست أنت الذي من ورد نعمته * وورد راحته أجنى واغترف

وقد لا يراعى فيه الترتيب ثقة بان السامع يرد كل شيء الى موضعه سواء تقدم أو تأخر كقول الشاعر

كيف أشكو وأنت خيف وغصن * وغزال لحظا وقدا وردفا

(التفسير وهو قريب منه) وهو أن يذكر لفظا ويتوهم انه يحتاج الى بيانه فيعيده مع التفسير كقول ابى مسهر

غيث وليث فغيث حين تسأله * عرفا وليث لدى الهيجاء ضرغام

ومنه قول الشاعر

يحيي ويردي بجدواه وصارمه * يحيي العفاة ويردي كل من حسدا

ومن ذلك أن يذكر معاني ويأتي باحوالها من غير أن يزيد أو ينقص كقول الفرزدق

لقد جئت قوما لو لجأت اليهم * طريد دم او حاملا ثقل مغرم

لاُلقيت فيهم معطيا ومطاعنا * وملاك شر بالوشيج المقوّم

لكنه لم يراع شرط اللف والنشر وكقول آخر

فوا حسرتا حتى متى القوم موجع * بفقد حبيب او تعذر افضال

فراق حبيب مثله يورث الاسى * وخلة حر لايقوم بها مالي

ومنه قول ابن شرف

سل عنه وانطلق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

وقلت في هذا المعنى

شكرت مساعيك المعاقل والورى * والترب والآساد والاطيار

هذي منعت وهؤلاء حميتهم * وسقيت تلك وعم ذي الآيثار

ومن احسن مافي هذا الباب قول ابن الرومي

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات اذا دجون نجوم

منها معالم للهدى ومصالح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

وفساد ذلك أن يأتي ازاء الشيء مالا يكون مقابلا له كقول الشاعر

فيا أيها الحيران في ظلم الدجى * ومن خاف ان يلقاه بغي من العدا

تعال اليه تلق من نور وجهه * ضياء ومن كفيه بحرا من الندى

فأتى بالندى بازاء بغي العدا وكان يجب أن يأتي بازائه بالنصر أو العصمة أو الوزر وما جانسه أو يذكر في موضع البغي الفقر والعدم وما جانس ذلك

(التعديد ويسمى سياقة الاعداد) وهو ايقاع اسماء مفردة على سياق واحد فان روعي في ذلك ازدواج أو جناس أو تطبيق أو نحو ذلك كان غاية في الحسن كقولهم وضع في يده زمام الحل والعقد والقبول والرد والامر والنهي والبسط والقبض والابرام والنقض والاعطاء والمنع ومن النظم قول المتنبي

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والضرب والطعن والقرطاس والقلم

﴿ تنسيق الصفات ﴾

وهو ان يذكر الشيء بصفات متوالية كقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الآية وقوله تعالى انا

أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين وقوله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأحبكم الىّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون ومن النظم قول أبي طالب في النبي صلى الله عليه وسلم

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وقول حسان

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

وقول المتنبي

دان بعيد محب مبغض بهج * أغر حلو ممرّ لين شرس

﴿ الايهام ﴾

ويقال له التورية والتخييل وهو ان يذكر الفاظا لها معان قريبة وبعيدة فاذا سمعها الانسان سبق الى فهمه القريب ومراد المتكلم البعيد مثاله قول عمر بن أبي ربيعة

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمان

فذكر الثريا وسهيلا ليوهم السامع انه يريد النجمين ويقول كيف يجتمعان والثريا من منازل القمر الشامية وسهيل من النجوم اليمانية ومراده بالثريا المرأة التي كان يتغزل بها لما تزوجت بسهيل وببعد ما بين المنازل الشامية والنجوم اليمانية تأتي له الانكار على من فعل ذلك ومن ذلك قول المعرّي

اذا صدّق الجد افترى العم للفتى * مكارم لا تخفى وان كذب الخال

فان وهم السامع يذهب الى الاقارب ومراده بالجد الحظ وبالعم الجماعة من الناس وبالخال المخيلة ومن ذلك قول الحريري في وصف الابرة والميل في المقامة الثامنة ومعظم ما ذكر في أوصافهما من باب التورية وقوله أيضا

يا قوم كم من عاتق عانس * ممدوحة الاوصاف في الانديه

قتلتها لا أتقي وارثا * يطلب مني قودا اوديه

يريد بالعانس العاتق الخمر وبقتلها مزجها كما قال حسان

ان الذي عاطيتنى فرددتها * قتلت فقلت فهاتها لم تقتل

ومن ذلك قول الشاعر

كأن كانون أهدى من خمائله * لشهر آذار انواعا من الحلل

أو الغزالة من طول المدى خرفت * فليس تفرق بين الجدى والحمل

وأمثال ذلك كثيرة وخصوصا في اشعار المتأخرين وعند علماء البيان التخييل تصوير حقيقة الشئ للتعظيم كقوله تعالى والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه والغرض منه تصور عظمته والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو مجاز وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم انما نحن حفنة من حفنات ربنا قال الزمخشري ولا نرى باباً في علم البيان ادق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى وكلام الانبياء عليهم السلام

(حسن الابتدا آت)

هذه تسمية ابن المعتز وأراد بها ابتدا آت القصائد وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال وهو أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببيت او قرينة تدل على مراده في القصيدة او الرسالة أو معظم مراده والكاتب أشد ضرورة الى ذلك من غيره فيبني كلامه على نسق يستدل منه على مقصده من أول وهلة اما في خطبة تقليد أو دعاء كتاب كما قيل لكاتب اكتب الى الامير بأن بقرة ولدت حيوانا على شكل الانسان فكتب أما بعد حمدا لله خالق الأنام في بطون الانعام وكقول أبى تمام في فتح عمورية وكان المنجمون ذكروا أنها لا تفتح الا في أيام التين والعنب

السيف أصدق أنباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب

وكقول ابى الطيب في الصلح الذي وقع بين كافور وبين ابن مولاه بعد وحشة شديدة

حسم الصلح ما اشتهته الاعادي * وأذاعته ألسن الحساد

وقوله وقد استظهر الروم على سيف الدولة وفرّ عنه اكثر من كان معه

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع * ان قاتلوا جبنوا اوحدثوا شجعوا

وقوله فى عتاب سيف الدولة

وا حر قلباه ممن قلبه شبم * ومن بجسمي وحالي عنده سقم

وقوله في تهنئته بعافيته

المجد عوفي اذا عوفيت والكرم * وزال عنك الى أعدائك الالم

ونحو ذلك وأمثلة هذا النوع كثيرة نظما ونثرا وينبغي ان لا يبتدأ بشيء يتطير منه كقول ذي الرمة * ما بال عينيك منها الماء ينسكب * وقول البحتري * لك الويل من ليل تقاصر آخره * وكقول المتنبي

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا * وحسب المنايا ان يكنّ امانيا

وكقوله ملث القطر اعطشها ربوعا * والا فاسقها السم النقيعا

وينبغي ان يراعى في الابتداآت ما يقرب من المعنى اذا لم تتأت له براعة الاستهلال وتسهيل اللفظ وعذوبته وسلاسة ألفاظه وقد حكى ان احسن ابتداء ابتدأت به العرب قول النابغة

كليني لهم يا اميمة ناصب * وليل اقاسيه بطيء الكواكب

ومن أحسن ما ابتدأ به مولد قول اسحق بن ابراهيم الموصلي حيث قال

هل الى ان تنام عيني سبيل * ان عهدي بالنوم عهد طويل

ويحسن ان يبتدأ فى المديح بمثل قول ايزون العمارى

على منبر العلياء مجدك يخطب * وللبلدة العذراء سيفك يخطب

وقول المتنبي

عدوّك مذموم بكل لسان * وان كان من اعدائك القمران

وقول السفاسى

ما هز عطفيه بين البيض والاسل * مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

وفي التشبيب كقول أبي تمام

على مثلها من اربع وملاعب * أذيلت مصونات الدموع السواكب

وقول الابيوردي

تحية مزن بات يقرأها الرعد * على منزل جرت به ذيلها دعد

وقوله ترنح من برح الغرام مهوّق * عشيـة زمت للتفرق نوق

وفي النسيب كقول المتنبي

أتراهـا لكثرة العشـاق * تحسب الدمع خلقة في المآقي

وفي المراثي كقول ابي تمام

لذي فليجل الخطب وليفدح الامر * وليس لعين لم يفض ماؤها عـذر

وقول المتنبي تعد المشرفية والعوالي * ويقتلنـا المنون بلا قتـال

﴿ براعة التخلص ﴾ هو ان يكون التشبيب او النسيب ممتزجا بمـا بعـده من مدح وغيره غير منفصل كقول مسلم بن الوليد

اجدك هل تدرين ان رب ليلة * كأن دجاها من قرونك ينشر

نصبت لهـا حتى تجلت بغرة * كغرة يحيي حين يذكر جعفر

وكقول البحتري

وباع تردت بالرياض مجودة * بكل جديد الماء عذب الموارد

اذا راوحتهـا مزنة بكرت لها * شآبيب مجتاز عليهـا وقاصد

كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * عليها بتلك البارقات الرواعد

وقول المتنبي

نودعهم والبين فينـا كأنه * قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق

﴿ براعة المطلب ﴾ هو ان تكون الالفاظ مقترنة بتعظيم الممدوح كقول أمية ابن أبى الصلت

أأذكر حاجتي أم قد كفاني * حباؤك ان شيمتـك الحبـاء

اذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثنـاء

وقول المتنبي

وفي النفس حاجات وفيك فطانة * سكوتي بيان عندها وخطاب

﴿ براعة المقطع ﴾ هو ان يكون آخر الكلام الذي يقف عليـه المترسل او

الخطيب او الشاعر مستعذبا حسنا لتبقى لذته في الاسماع كقول أبي تمام

أبقت بني الاصفر المصفر كاسهم * صفر الوجوه وجلت اوجه العرب

وكقول المتنبي

وأعطيت الذي لم يعط خلق * عليك صلاة ربك والسلام

وكقول المعري

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله * وهذا دعاء للبرية شامل

﴿ السؤال والجواب ﴾ كقول ابي فراس

لك جسمي تعله * فدمي لم تحله * قال ان كنت مالكا * فلي الأمر كله

وكقول الباخرزي

قلت لها هجرتني ما العلة * فتمايلت دلا وقالت قبلة

ومن المستظرف في هذا الباب قول وضاح اليمن

قالت ألا لا تلجن دارنا * ان ابانا رجل غائر

قلت فاني طالب غرة * منه وسيفي صارم باتر

قالت فان البحر ما بيننا * قلت فاني سابح ماهر

قالت اليس الله من فوقنا * قلت بلى وهو لنا غافر

قالت لقد اعييتنا حيلة * فأت اذا ما هجع السامر

واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لا ناه ولا آمر

وهو كثير في شعر عمر بن ابي ربيعة وعلي بن الجهم

﴿ صحة الاقسام ﴾ وهو اول ابواب قدامة صحة الاقسام عبارة عن استيفاء المتكلم اقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيأ ومثال ذلك قوله تعالى وهو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وليس في رؤية البرق الا الخوف من الصواعق والطمع في المطر قالوا ومن لطيف ما وقع في هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع اذ كانت الصواعق تقع مع اول برقة ولا يحصل المطر الا بعد توالى البرقات ولهذا كانت العرب تعد سبعين برقة وتنتجع فلا تخطئ الغيث والكلا والى هذا اشار المتنبي بقوله

وقد أرد المياه بغير هاد * سوى عدّى لها برق الغمام

ومنه قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فلم يبق قسم من اقسام الهيئات حتى اتى به وبقوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما الآية لانه سبحانه وتعالى اما ان يفرد العبد بهبة الاناث او بهبة الذكور او يجمعهما له او لا يهبه شيأ وفي السنة من صحة الاقسام قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما اكلت فأفنيت او لبست فأبليت او تصدقت فأمضيت ولا رابع لهذه الاقسام ووقف اعرابي على حلقت الحسن البصرى فقال رحم الله من تصدّق من فضل او واسى من كفاف او آثر من قوت فقال الحسن ما ترك الاعرابي منكم احدا الا عمه بالمسألة ومن امثلة هذا الباب فى الشعر قول نصيب

فقال فريق القوم لا وفريقهم * نعم وفريق ليمن الله ما ندري

وقول بشار

فراح فريق فى الاسار ومثله * قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

وأصله قول عمرو بن الاهتم

أشربا ما شربتما فهذيل * من قتيل وهارب واسير

قال المؤلف ولى في هذا المعنى لكن اخرجت القسم الثالث بالاستثناء فادعيت قسمين ومرادى ثلاثة وهو

قسمتهم شطرين غير غريقهم * فالسيف شطر والقيود لها شطر

ومن جيد صحة الاقسام قول الحماسى

وهبها كشيء لم يكن او كنازح * به الدار او من غيبته المقابر

فاستوفى أقسام المعدوم جميعها وكقول ابي تمام في الافشين وقد أحرق بالنار

صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار

ومن قديم مافي ذلك من الشعر قول زهير

واعلم ما في اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم مافي غد عم

ونقل ابو نواس هذا المعنى من الجد الى الهزل فقال

أمر غد انت منه في لبس * وامس قدفات فاله عن امس
وانما الشأن شأن يومك ذا * فباكر الشمس بابنة الشمس

ومن النادر في صحة الاقسام قول عمر بن ابي رُبيعة

يهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا أنت مقصر
ولا قرب نعم ان دنت لك نافع * ولا بعدها يسلى ولا أنت تصبر

قال المؤلف وقلت في هذا المعنى وزدت بالتشبيه

واني لفي نظري نحوها * وقد ودّعتني قبيل الفراق
ولا صبر لي فأطيق النوى * ولا طمع ان نأت في اللحاق
ولاأمل يرتجى في الرجوع * ولا حكم في ردتلك النياق
كمضنى يودّع روحا غدت * يراها على رغمه في السياق

* (التوشيح) * هو أن يكون معنى اول الكلام يدل على لفظ آخره فيتنزل المعنى منزلة الوشاح ويتنزل اول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح وقال قدامة هو ان يكون في اول البيت معنى اذا علم علمت منه القافية بلفظه كقول الراعي النميرى

فان وزن الحصى فوزنت قومي * وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فان السامع اذا فهم ان الشاعر اراد المفاخرة برزانة الحصى وعرف القافية والروى علم آخر البيت ومن امثلة هذا ماحكى عن عمر ابن ابى ربيعة انه انشد عبد الله بن العباس رضى الله عنهما * تشط غدا دار جيراننا * فقال عبد الله * وللدار بعد غد أبعد * فقال عمر هكذا والله قلت فقال عبدالله وهكذا يكون * ويقرب من هذه القصة قصة عدى بن الرقاع العاملى حين انشد الوليد بن عبد الملك بحضرة جرير والفرزدق كلمته التي اولها * عرف الديار توهما فاعتادها * حتى انتهى الى قوله * ظبى اغن كان ابرة روقه * شغل الوليد عن الاستماع فقطع عدى الانشاد فقال الفرزدق لجرير ماتراه يقول فقال * قلم اصاب من الدواة مدادها * فلما عاد الوليد الى الاستماع وعاد عدى الى الانشاد قال * قلم اصاب من الدواة مدادها * فقال الفرزدق والله لما سمعت صدر بيته رحمته فلما انشد عجزه انقلبت الرحمة حسدا

﴿ الايغال ﴾ معنى الايغال ان المتكلم او الشاعر اذا انتهى الى آخر القرينة او البيت استخرج سجعة اوقافية تفيد معنى زائدا على معنى الكلام واصله من اوغل في السير اذا بلغ غاية قصده بسرعة وفسره قدامة بان قال هو ان يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل ان ياتى بقافية فاذا اراد الاتيان بها ليكون الكلام شعرا افاد بها معنى زائدا على معنى البيت كقول ذي الرمة

قف العيس في آثار مية واسال * رسوما كاخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه قبل القافية فلما احتاج اليها أفاد بها معنى زائدا وكذلك صنع في البيت الثاني فقال

أظن الذي يجدي عليك سؤالها * دموعا كتبذير الجمان المفصل

فانه تم كلامه بقوله كتبذير الجمان المفصل واحتاج الى القافية فاتى بها ليفيد معنى زائدا لو لم ياتي بها لم يحصل وقد حكى عن الاصمعي أنه سئل عن اشعر الناس فقال الذي ياتى الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا او ينقضي كلامه قبل القافية فان احتاج اليها أفاد بها معنى فقيل له نحو من فقال نحو الفاتح لابواب المعاني امرىء القيس حيث قال

كان عيون الوحش حول خبائنا * وارحلنا الجزع الذي لم يثقب

ونحو زهير حيث يقول

كأن فتات العهن في كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

ومن أبلغ ماوقع في هذا الباب قول الخنساء

وان صخر لتأتم الهداة به * كانه علم في رأسه نار

ولقد احسن ابن المعتز في قوله لابن طباطبا العلوى

فأنتم بنو بنته دوننا * ونحن بنو عمه المسلم

ومن الايغال قول امرىء القيس

اذا ما جرى شاوين وابتل عطفه * تقول هزيز الريح مرت بأثأب

ومن امثلة ذلك في شعر المتاخرين قول الباخرزي

تعجبت من ضنا جسمي فقلت لها * على هواك فقالت عندي الخبر

﴿ الاشارة ﴾ وهي ان يشتمل اللفظ القليل على معان كثيرة بايماء اليها وذكر لمحة تدل عليها كقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وغشيهم من اليم ما غشيهم وقول امرئ القيس

فان تهلك شنواة او تبدل * فسيرى ان في غسان خالا
بعزهم عززت وان يذلوا * فذلهم انالك ما انالا

وكقوله على هيكل يعطيك قبل سؤاله * افانين جرى غير كز ولا وان

وكقوله ايضاً فظل لنا يوم لذيذ بنعمة * فقل في نعيم نحسه متغيب

وكقول امرأة من عكل

يا ابن الدعيّ انها عكل فقف * لتعلمن اليوم ان لم تنصرف
ان الكريم واللئيم مختلف

(التذييل وهو ضد الاشارة) وهو اعادة الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتاكد عند من فهمه كقوله

اذا ما عقدنا له ذمة * شددنا العناج وعقد الكرب

وكقول الآخر ودعوا نزال فكنت اول نازل * وعلام اركبه اذا لم انزل

ويقرب منه التكرار كقول عبيد

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا اين اينا

وكقول الآخر وكانت فزارة تصلى بنا * فاولى فزارة اولى فزارا

(الترديد) هو ان يعلق لفظة في البيت بمعنى ثم يردها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كما قال زهير

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلفا

وكقول آخر واحفظ مالي في الحقوق وانه * لجم وان الدهر جم عجائبه

وكقول ابي نواس

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لومسها حجر مسته سراء

(التفويف) اشتق التفويف من الثوب المفوّف وهو الذي فيه خطوط بيض وهو في الصناعة عبارة عن اتيان المتكلم بمعان شتى من المدح او الغزل او غير

ذلك من الاغراض كل فن في سجعة منفصلة عن أختها مع تساوي الجمل في الوزنية ويكون بالجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة فمثال ما جاء منه بالجمل الطويلة قول النابغة الذبياني

فلله عينا من راى أهل قبة * اضر لمن عادى واكثر نافعا
واعظم احلاما واكبر سيدا * وافضل مشفوعا اليه وشافعاً

ومثال ما جاء منه بالجمل المتوسطة قول ابى الوليد بن زيدون

ته احتمل واستطل اصبر وعز اهن * وول اقبل وقل اسمع ومر اطع

ومثال ما جاء منه بالجمل القصيرة قول المتنبي

أقل أنل أقطع احمل عل سل أعد * زد هش بش تفضل أدن سر صل

(التسهيم) ومنهم من يجعل التسهيم والتوشيح شيأ واحدا ويشرك بينهما بالتسوية والفرق بينهما ان التوشيح لا يدلك أوله الا على القافية فحسب والتسهيم تارة يدل على عجز البيت وتارة على ما دون العجز وتعريفه ان يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ كابيات جنوب اخت عمرو ذي الكلب فان الحذاق بمعاني الشعر وتأليفه يعلمون معنى قولها

* فاقسم يا عمر ولو ان نبهناك * يقتضي ان يكون تمامه * اذا نبهنا كان داء عضالا * دون غيره من القوافي كما لو قالت مكان داء عضالا ليثا غضوبا أو افعى قتولا أو سما وحيا أو ما ناسب ذلك لان الداء العضال أبلغ من هذه الاشياء جميعها وأشد اذ كل منها يمكن مغالبته او التوقي منه والداء العضال لا دواء له فهذا مما يعرف بالمعنى وأما ما يدل فيه الاول على الثاني دلالة لفظية فهو قولها بعده

اذا نبهنا ليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا

فان الحاذق بصناعة الكلام اذا سمع قولها مفيتا مفيدا تحقق ان هذا اللفظ يقتضي ان يكون تمامه نفوسا ومالا وكذلك قولها .

وحزق تجاوزت مجهوله * بوجناء حرف يشكي الكلالا
فكنت النهارا به شمسه * وكنت دجى الليل فيه الهلالا

والمراد البيت الثاني لان قولها فكنت النهار به شمسة يقتضي ان يتلوه وكنت

دجى الليل فيه الهلالا ومن ذلك قول البحتري * واذا حاربوا أذلوا عزيزا * يحكم السامع بان تمامه * واذا سالموا اعزوا ذليلا * وكذلك قوله

أحلت دمي من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامي

فليس الذي حللته بمحلل * يعرف السامع ان تمامه * وليس الذي حرمته بحرام * وهو مأخوذ من البرد المسهم وهو المخطط الذي لا يتفاوت ولا يختلف

﴿ الاستخدام ﴾ وهو ان يأتي المتكلم بلفظة لها معنيان ثم يأتي بلفظتين يستخدم كل لفظة منهما في معنى من معاني تلك اللفظة المتقدمة وربما التبس الاستخدام بالتورية ايضا وكل واحد من البابين مفتقر الى لفظة لها معنيان والفرق بينهما ان التورية استعمال احد المعنين من اللفظة واهمال الآخر والاستخدام استعمالهما معا ومن امثلته قول البحتري

فسقى الغضا والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحي وضلوعي

فان لفظه الغضا محتملة للموضوع والشجر والسقيا صالحة لهما فلما قال والساكنيه استعمل معنا اللفظ وهو دلالته بالقرينة على الموضع ولما قال شبوه استعمل المعنى الآخر وهو دلالته بالقرينة على الشجر ومن ذلك ايضا قول الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

أراد بالسماء الغيث وبضميره النبت ومن ذلك قول ابي العلاء المعري

وفقيها افكاره شدن * للنعمان ما لم يشده شعر زياد

أراد بلفظة النعمان الامام أبا حنيفه والنعمان بن المنذر فقال شادت افكاره لهذا ما لم يشده شعر النابغة لذالك والمسمى واحد

﴿ العكس والتبديل ﴾ وهو ان يقدم في الكلام احد جزأيه ثم يؤخر ويقع على وجوه منها ان يقع من طرفي الجملة كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات ومنها لن يقع بين متعلق فعلين في جملتين كقوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومنه بيت الحماسة

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

ومنها ان يقع بين كلمتين في طرفي جملتين كقوله تعالى هن لباس لكم وانتم

لباس لهن وقوله تعالى لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن وقول أبي الطيب

ولا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

﴿ الرجوع ﴾ وهو ان يعود المتكلم على كلامه السابق بالنقض لنكتة كقول زهير

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

كأنه لما وقف على الديار عرته روعة ذهل بها عن رؤية ما حصل لها من التغير فقال لم يعفها القدم ثم ثاب اليه عقله وتحقق ما هي عليه من الدروس فقال بلى عفت وغيرها الارواح والديم

ومنه بيت الحماسة

أليس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكلا ليس منك قليل

﴿ التغاير ﴾ هو ان يغاير المتكلم الناس فيما عادتهم ان يمدحوه فيذمه او يذموه فيمدحه فمن ذلك قول أبي تمام يغاير جميع الناس في تفضيل التكرم على الكرم

قد بلونا أبا سعيد حديثاً * وبلونا أبا سعيد قديما

فوردناه سائحا وقليبا * ورعيناه بارضا وهشيما

فعلمنا ان ليس الا بشق النفس * صار الكريم يدعى كريما

وهو مغاير لقوله على العادة المألوفة

لا يتعب النائل المبذول همته * وكيف يتعب عين الناظر النظر

ومن هذا اخذ الحسيني قوله

لو كفر العالمون نعمته * لما عدت نفسه سجاياها

كالشمس لاتبتغي بما صنعت * منزلة عندهم ولا جاها

﴿ والاصل قول بشار ﴾

ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلذ طعم الرجاء

قال ابن أبي الاصبع اخذ أبو تمام معناه الذي غاير فيه الناس من قول ابراهيم بن بشار النظام لانه غاير جميع العلماء في استدلاله على ان شكر النعم لا يجب شرعا ولا عقلا وقال يعني النظام في نظم الدليل كلاما نقحته وحررته فقلت المعطى لا يعد وبعطائه أحد أربعة أقسام حاضرة اما للخوف واما للرجاء واما لطلب

الثناء واما للعشق في العطاء فاما المعطى للخوف فحمله على ذلك اتقاؤه ما خافه بعطائه فلا يجب شكره والمعطى للرجاء اما ان يرجو المكافاة عن عطائه ممن اعطاه او يرجو بذلك ثواب الله وهو في كلتا حالتيه لا يجب شكره والمعطى لطلب الثناء حق عطائه ان يثنى عليه فاذا اثنى عليه سقط حقه فلا يجب شكره والمعطى للعشق في العطاء مسكن بعطائه غليل قلبه ومنفس به من كربه فلا يجب شكره ومن التغاير ما قاله ابن الرومي في تفضيل القلم على السيف وهو خلاف المعتاد

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم

فالموت والموت لا شيء يعادله * ما زال يتبع ما يجرى به القلم

بذا قضى الله للاقلام مذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

غايره المتنبي على طريق المألوف فقال

حتى رجعت واقلامى قوائل لي * المجد للسيف ليس المجد للقلم

أكتب بها ابدا قبل الكتاب بنا * فانما نحن للاسياف كالخدم

* (الطاعة والعصيان) *

هذا النوع استنبطه ابو العلاء المعرى عند نظره في شعر ابي الطيب وسماه هذه التسمية وقال هو ان يريد المتكلم معنى من المعاني التى للبديع فيستعصى عليه لتعذر دخوله في الوزن الذي هو آخذ فيه فيأتي موضعه بكلام غيره يتضمن معنى كلامه ويقوم به وزنه ويحصل به معنى في البديع غير الذي قصده كقول المتنبي

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى في طيفها وهو راقد

فانه اراد ان يقول يرد يدا عن ثوبها وهو مستيقظ حتى اذا قال ويعصى الهوى في طيفها وهو راقد يكون في البيت مطابقة فلم يطعه الوزن فاتى بقادر موضع مستيقظ لتضمنه معناه فان القادر لا يكون الا مستيقظا وزيادة فقد عصاه في البيت الطباق واطاعه الجناس بين قادر وراقد وهو تجنيس عكس وانكر ابن ابى الاصبع ان يكون هذا الشاهد من باب الطاعة والعصيان لانه كان يمكنه ان يقول عوض قادر ساهر وانما قصد المتنبي ان شاهد الطاعة والعصيان عنده ان يعصيه اقامة

لوزن مع اظهار مراده فتطيعه لفظة من البديع يتم بها المعنى ويزيده حسنا كقول عوف بن محلم

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعي الى ترجمان

فانه اراد ان يقول ان الثمانين قد احوجت سمعي الى ترجمان فعصاه الوزن وأطاعته لفظة من البديع وهي التتميم فزادته حسنا وكملت مراده وكل التتميم من هذا النوع

﴿ التسميط ﴾

هو ان يجعل المتكلم مقاطيع اجزاء البيت والقرينة على سجع يخالف قافية البيت او آخر القرينة كقول مروان بن ابي حفصة

هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا * اجابوا وان اعطوا اطابوا واجزلوا

فان اجزاء البيت مسجعة على خلاف قافيته فتكون القافية بمنزلة السمط والاجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد

﴿ التشطير ﴾ هوان يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يصرع كل شطر من الشطرين ولكنه يأتي بكل شطر من بيته مخالفا لقافية الآخر كقول مسلم بن الوليد

موف على مهج في يوم ذي رهج * كأنه اجل يسعى الى امل

﴿ وكقول ابي تمام ﴾

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب في الله مرتغب

﴿ التطريز ﴾ وهو ان يبتدئ الشاعر بذكر جمل من الذوات غير مفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب تعداد جمل تلك الذوات تعداد تكرر واتحاد لا تعداد تغاير وذلك كقول ابن الرومي

اموركم بني خاقان عندي * عجاب في عجاب في عجاب

قرون في رؤس في وجوه * صلاب في صلاب في صلاب

وكقوله ويسقيني ويشرب من رحيق * خليق ان يشبه بالخلوق

كان الكاس في يدها وفيها * عقيق في عقيق في عقيق

﴿ وكقول الشاعر ﴾

فثوبى والمدام ولون جسمي * شقيق في شقيق في شقيق

﴿ التوشيع ﴾ هو من الوشيعة وهى الطريقة في البرد فكان الشاعر اهمل البيت كله الا آخره فأتى فيه بطريقة تعد من المحاسن وهو عند اهل هذه الصناعة ان يأتي المتكلم او الشاعر باسم مثنى في حشو العجز ثم يأتي بعده باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى يكون الآخر منهما قافية بيته او سجعة كلامه كانه تفسير لما ثناه وقد جاء من ذلك في السنة ما لا تلحق بلاغته وهو قوله صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم ويشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ومن امثلة ذلك في الشعر قول الشاعر

امسي واصبح من تذكاركم وصبا * يرثى لي المشفقان الاهل والولد
قد خدّد الدمع خدى من تذكركم * واعتادنى المضنيان الوجد والكمد
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم * وخانني المسعدان الصبر والجلد

قال ابن ابى الاصبع ومن احسن ما نقلته في هذا الباب قول الشاعر

لم يبق غير خفي الروح في جسدي * فدى لك الباقيان الروح والجسد
بي محنتان ملام في هوى بهما * رثى لى القاسيان الحب والحجر
لولا الشفيقان من أمنية واسى * اودى بى المرديان الشوق والفكر

قال ويحسن ان يسمى ما في بيته مطرف التوشيع اذ وقع المثنى في اول كل بيت وآخره

﴿ الاغراق ﴾ وهو فوق المبالغة ودون الغلو ومن امثلته قول ابن المعتز

صببنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها ايد سراع وارجل

فموضع الاغراق من البيت قوله ظالمين يعني انها استفرغت جهدها في العدو فما ضربناها الا ظلما فمن أجل ذلك خرجت من الوحشية الى الطيرية ولو لم يقل ظالمين لما حسن قوله فطارت ولكنه بذكر الظلم صارت الاستعارة كانها حقيقة وعدّ من الاغراق لا المبالغة قول امرئ القيس

تنورها من اذرعات واهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عال

﴿ الغلو ﴾ ومنهم من يجعله هو والاغراق شيئا واحدا ومن شواهده المستحسنة قول مهلهل

فلولا الريح اسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

وقالوا انما كان هذا من باب الغلو وبيت امرئ القيس المتقدم في صفة النار من باب الاغراق لان حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وبينهما في الادراك بون بعيد ويشبه هذا في الافراط والغلو قول المتنبي في صفة الاسد

ورد اذا ورد البحيرة شاربا * بلغ الفرات زئيره والنيلا

قالوا ومن أمثلة الغلو قول النمر بن تولب

أبقى الحوادث والايام من نمر * آساد سيف صقيل اثره باد

يظل يحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والساقين والهادي

﴿ القسم ﴾ وهو أن يريد الشاعر الحلف على شيء فيأتي في الحلف بما يكون مدحا له او مايكسبه فخرا ويكون هجاء لغيره او وعيدا أو جاريا مجرى التغزل والترقق فمثال الاول قول مالك بن الاشتر النخعي

نفيت وفري وانحرفت عن العلى * ولقيت أضيافي بوجه عبوس

ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم يخل يوما من ذهاب نفوس

وهذه الابيات تضمنت فخرا له ووعيدا لغيره

﴿ وكقول أبي علي البصير يعرض بعلي بن الجهم ﴾

أكذبت أحسن مايظن مؤملي * وهدمت ما شادته اسلافي

وعدمت عاداتي التي عودتها * قدما من الاخلاف والاتلاف

وغضضت من ناري ليخفى ضوؤها * وقريت عذرا كاذبا أضيافي

ان لم اشن على علي خلة * تضحى قذى في أعين الاشراف

وقد يقسم الشاعر بما يزيد الممدوح مدحا كقول القائل

ان كان لي أمل سواك أعده * فكفرت نعمتك التي لاتكفر

ومما جاء من القسم في النسيب قول الشاعر

جنى وتجنى والفؤاد يطيعه * فلا ذاق من يجني علي كما يجني

فان لم يكن عندي كعيني ومسمعي * فلا نظرت عيني ولاسمعت أذني

ومما جاء منه في الغزل قول الآخر

لاوالذي سل من جفنيه سيف ردى * قدّت له من عذاريه حمائله
ما صارمت مقلتي دمعا ولا وصلت * غمضا ولا سالمت قلبي بلابله

﴿الاستدراك﴾ وهو على قسمين قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد وقسم لايتقدمه ذلك فمن أمثلة الاول قول القائل

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادي

ولابن الدويدة فيمن أودعت عنده وديعة فادعى ضياعها

ان قال قد ضاعت فصدق انها * ضاعت ولكن منك يعني لو تعي
أو قال قد وقعت فصدّق انها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

ومن هذا الباب قول الارجاني وهو لطيف جدا

غالطتني اذ كست جسمي ضنى * كسوة أعرت من الجلد العظاما
ثم قالت انت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

واما القسم الثاني الذي لايتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد
فمثل قول زهير

اخو ثقة لايهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

﴿المؤتلفة والمختلفة﴾ هي ان يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح احدهما على الآخر بزيادة لاينقص بها مدح الآخر فيأتي لاجل الترجيح بمعان تخالف التسوية كقول الخنساء في أخيها وقد أرادت مساواته بابيه مع مراعاة حق الوالد بزياة فضل لاينقص بها قدر الولد

جارى أباه فاقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر
وهما وقد برزا كانهما * صقران قد حطا الى وكر
حتى اذا نزت القلوب وقد * لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما * قال المجيب هناك لاأدري

برقت صحيفة وجه والده * ومضى على غلوائه يجرى
أولى فاولى ان يساويه * لولا جلال السن والكبر
وأوّل من سبق الى هذا المعنى زهير بقوله
هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل مقدّما من صالح سبقا
وتداول الناس هذا المعنى فقال أبو نواس
ثم جرى الفضل فانثنى قدما * دون مداه بغير ترهيق
فقيل راشا سهما تراد به الغاية والنصل سابق الفوق
﴿ التفريق المفرد ﴾ هو كقول الشاعر
مانوال الغمام يوم ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة عين * ونوال الغمام قطرة ماء
﴿ الجمع مع التفريق ﴾ هو ان يشبه شيئين بشيء ثم يفرق بين وجهي الاشتباه كقول الشاعر
فوجهك كالنار فى ضوئها * وقلبي كالنار في حرها
﴿ التقسيم المفرد ﴾ هو ان يذكر قسمة ذات جزأين او أكثر ثم يضم الى كل واحد من الاقسام ما يليق به كقول ربيعة الرقي
لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر ابن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى * فتى الازد من امواله غير سالم
فهم الفتى الازدي اتلاف ماله * وهم الفتى العبسيّ جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام اني هجوته * ولكنني فضلت اهل المكارم
﴿ ومنه قول ابن حيوس ﴾
ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر
يقينك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر
﴿ وقول آخر ﴾
لملتمسي الحاجات جمع ثنائه * فهذا له فن وهذا له فن

فللخامل العليا وللمعدم الغنى * وللمذنب الرحمى وللخائف الامن

ويجوز أن يعد هذا من الجمع مع التقسيم وكقول بعض العجم

أديبان فى بلخ لا ياكلان * اذا صحبا المرء غير الكبد

فهذا طويل كظل القنا * وهذا قصير كظل الوتد

﴿ الجمع مع التقسيم ﴾ وهو اما ان يجمع أمورا كثيرة تحت حكم ثم يقسم بعد ذلك أو يقسم ثم يجمع مثال الاول قول المتنبي

حتى أقام على ارباض خرشنة * يشقى به الروم والصلبان والبيع

للسبي ما نكحوا والقتل ماولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما يدعوا

فجمع في البيت الاول أرض العدو وما فيها من معنى الشقاوة ثم في البيت الثاني ذكر التقسيم

﴿ ومثال الثاني قول حسان ﴾

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة * أن الحوادث فاعلم شرها البدع

﴿ التزاوج ﴾ هو أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء كقول البحتري

اذا ما نهى الناهي ولج بي الهوى * أصاخت الى الواشي فلج بها الهجر

﴿ السلب والايجاب ﴾ هو أن يوقع الكلام على نفي شيء واثباته في بيت واحد كقوله

وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول

﴿ وكقول الشماخ ﴾

هضيم الحشا لا يملأ الكف خصرها * ويملأ منها كل حجل ودملج

﴿ الاطراد ﴾ وهو أن يطرد الشاعر اسماء متتالية يزيد الممدوح بها تعريفا لا تكون الا اسماء آبائه تأتى منسوقة غير منقطعة من غير ظهور كلفة على النظم كاطراد الماء لسهولته وانسجامه كقول الاعشي

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد * وأنت الذي ترجو حباءك وائل

وأحسن منه قول دريد لكون الاسماء المطردة جاءت في عجز البيت

قتلنا بعبد الله خير لداته * ذؤاب ابن أسما بن زيد بن قارب

ويقال أن عبد الملك بن مروان قال لما سمع هذا البيت لولا القافية بلغ به آدم

وقال ابن أبي بالاصبع وقد أربى على هؤلاء بعض القائلين

من يكن رام حاجة بعدت عنه وأعيت عليه كل العياء

فلها أحمد المرجى بن يحي بن معاذ بن مسلم بن مرجاء

لو لم يقع فيهما التضمين والفصل بين الاسماء بلفظة المرجي وكتب شيخنا مجد الدين ابن الظهير الحنفي على اجازة

أجاز ما قد سألوا * بشرط أهل السند

محمد بن احمد بن عمر بن احمد

فلم يدخل بين الاسماء في البيت بلفظة أجنبية

﴿ التجريد ﴾ وهو ان ينتزع من أمر ذي صفة امرا آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه وهو أقسام منها نحو قولهم لي من فلان صديق حميم أي بلغ من الصداقة حدا صح معه أن يستخلص منه صديق آخر ومنها نحو قولهم لئن سألت لتسألن به البحر ومنه قول الشاعر

وشوهاء تعدو بي الى صارخ الوغا * بمستلئم مثل العتيق المرجل

أي تعدو بي ومعي من استعدادي للحرب لابس لامة ومنها قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لان جهنم اعاذنا الله منها هى دار الخلد لكن انتزع منها مثلها وجعل فيها معدا للكفار تهويلا لامرها ومنها نحو قول الحماسى

فاذا بقيت لارحلن بغزوة * تحوي الغنائم أو يموت كريم

وعليه قراءة من قرأ فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وقيل تقدير الاول أو يموت مني كريم والثاني فكانت منها وردة كالدهان وفيه نظر ومنها نحو قوله

يا خير من يركب المطي ولا * يشرب كأسا بكف من بخلا

ونحوه قول الآخر

أن تلقني لاترى غيرى تناظره * تنس السلاح وتعرف جبهة الاسد

ومنها مخاطبة الانسان غيره وهو يريد نفسه كقول الاعشى

ودّع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

ومنه قول أبي الطيب

لا خيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

ومنه قول الصمة العنبري

حننت الى دنا ونفسك باعدت * مزارك من دنا وشعبا كما معا
فما حسن ان يأتي الامر طائعا * ويجزع ان داعي الصبابة أسمعا

ومنه قول الحيص بيص

الام يراك المجد في زيّ شاعر * وقد نحلت شوقاً فروع المنابر
كتمت بصيت الشعر علما وحكمة * ببعضهما ينقاد صعب المفاخر
أماوأبيك الخيرانك فارس الكلام * ومحيي الدارسات الغوابر

﴿ التكميل ﴾ وهو أن يأتي المتكلم أوالشاعر بمعنىً من مدح أوغيره من فنون الكلم واغراضه ثم يرى مدحه بالاقتصار على ذلك المعنى فقط غير كامل كمن أرادمدح انسان بالشجاعة ثم رأى الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم مثلا غير كامل أو بالتأنى دون الحلم ومثال ذلك في الشعر قول كعب بن سعد الغنوي

حليم اذا ما الحلم زين أهله * مع الحلم في عين العدو مهيب

قوله اذاما الحلم زين اهله احتراس لولاه لكان المدح مدخولا اذ بعض التغاضي قد يكونُ عن عجز وانما يزين الحلم أهله اذا كان عن قدرة ثم رأى أن مدحه بالحلم وحده غير كامل لانه اذا لم يعرف منه الا الحلم طمع فيه عدوه فقال مع الحلم في عين العدو مهيب ومن مليح التكميل قول السموأل

وما مات منا سيد في فراشه * ولا طل منا حيث كان قتيل

لان صدر البيت وان تضمن وصفهم بالاقدام والصبر أوهم العجز لان قتل الجميع يدل على الوهن والغلبة فكمله باخذهم الثار وكمل حسنه بقوله حيث كان فانه أبلغ فى الشجاعة ومن ذلك فى النسيب قول كثير

لوأن عزة حاكمتْ شمس الضحى * في الحسْن عند موفق لقضى لها

لان في قوله عند موفق تكميلا للمعنى اذ ليس كل من يحاكم اليه موفق ومن التكميل الحسن قول المتنبي

اشد من الرماح الهوج بطشا * واسرع في الندى منها صبوبا

(المناسبة) وهي على ضربين مناسبة في المعاني ومناسبة في الالفاظ فالمعنوية أن يبتدى المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ وهو كثير في الكتاب العزيز ومنه قوله تعالى أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم أفلا يبصرون فانظر الى قوله سبحانه وتعالى فى صدر الآية التى الموعظة فيها سمعية اولم يهد لهم وقال بعد ذكر المواعظة أفلا يبصرون ومن امثلة المناسبة المعنوية في الشعر قول المتنبي

على سابح موج المنايا بنحره * غداة كان السيل فى صدره وبل

فان بين لفظة السباحة ولفظتى الموج والوبل تناسبا صار البيت به متلاحما ومنه قول ابن رشيق

اصح واقوى ما رويناه فى الندى * من الخبر المأثور منذ قديم

احاديث يرويها السيول عن الحيا * عن البحر عن جود الامير تميم

فانه وفى المناسبة حقها في صحة النسبة برواية السيول عن الحيا عن البحر وجعل الغاية فيها جود الممدوح * والمناسبة اللفظية توخى الانسان بكلمات متزنات وهي على ضربين تامة وغير تامة فالتامة ان تكون الكلمات مع الاتزان مقفات فمن شواهد التامة قوله سبحانه وتعالى ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون ومن شواهدها في السنة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رقى به الحسن والحسين رضي الله عنهما أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة فقال صلى الله عليه وسلم لامة ولم يقل ملمة وهى القياس لمكان المناسبة اللفظية التامة وأما ماجاء في السنة من المناسبة الناقصة فكقوله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم باحبكم الي واقربكم منى مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا ومما جمع بين المناسبتين قوله

صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسالك اللطف في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء فناسب صلى الله عليه وسلم بين قلبي وامري وغائبي وشاهدي مناسبة غير تامة لانها في الزنة دون التقفية ثم ناسب بين الشهداء والسعداء والنصر على الاعداء مناسبة تامة في الزنة والتقفيـة ومن امثلة المناسبتين قول ابي تمام

مها الوحش الا ان هاتا اوانس * قنا الخط الا ان تلك ذوابل

فناسب بين مها وقنا مناسبة تامة وناسب بين الوحش والخط واوانس وذوابل مناسبة غير تامة ومن ذلك قول البحتري

فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

(التفريع) هو أن يصدر المتكلم او الشاعر كلامه باسم منفي بما خاصة ثم يصف الاسم المنفي بمعظم اوصافه اللائقة به في الحسن او القبح ثم يجعله اصلا يفرع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح او هجاء او فخر او نسب او غير ذلك يفهم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنفي للموصوف كقول الاعشى

ما روضة من رياض الحسن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس فيها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما باطيب منها طيب رائحة * ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

وقول عاتكة المرية

وما طعم ماء اي ماء بعزلة * تحدر من غر طوال الذوائب
بمنعرج من بطن واد تقابلت * عليه رياح الصيف من كل جانب
نفت جرية الماء القذى عن متونه * فليس به عيب تراه بعائب
باطيب ممن يقصر الطرف دونه * تقى الله واستحياء بعض العواقب

وأكثر ما يقع الاصل في بيت او أكثر والتفريع بعد ذلك اما قريب منه واما بعيد وقد وقع الأصل والفرع لأبي تمام في بيت واحد في قوله

ما ربع مية معمورا يطوف به * غيلان ابهى ربى من ربعها الخرب
ولا الخدودوان ادمين من خجل * اشهى الى ناظر من خـدها الترب

ومما ورد منه فى النثر قول ابن القاسم في رسالته التي كتبها الى سبا بن احمد صاحب صنعاء واما حال عبده بعد فراقه في الجلد فما أم تسعة من الولد ذكور كانهم عقبان ذكوراخترم منهم ثمانية فهى على التاسع حانية فنادى النذير في البادية ياللعادية فلما سمعت الداعي ورأت الخيل سواعي اقبلت تنادي ولدها بالاناة الاناة وهو يناديها القناة القناة

بطـل كأن ثيابه في سرجه * يحذي نعال السبت ليس بتوأم

فلما رمقته يختال في غصون الزرد الموضون أنشات تقول

أسد أضبط يمشي * بين طرفاء وغيل
لبسه من نسج داود كضحضاح المسيل

عرض له في البادية أسد هصور كأن ذراعه مسد معصور

فتطاعنا وتواقفت خيـلاهما * وكلاهما بطـل اللقاء مقنع

فلما سمعت الرعيل برزت من الصرم بصبر قد عيل فسألت عن الواحد فقيل لحده اللاحد

فكرت تبتغيه فصادفتـه * على دمه ومصرعه السباعا
عبثن به فلم تتركن الا * أديمـا قد تمزق او كراعا ،

باشد من عبده تاسـفا ولا اعظم كمدا وتلهفا (قال المؤلف) وقلت في مثل ذلك وما أم طفل قذفها الزمن العنيد ببعض البيد في ارض موحشة المسالك قليلة السالك كثيرة المهالك قد لمع سرابها وتوقدت هضابها وصرخ بومها ونفر ظليمها وحضر سمومها وغاب نسيمها فلما خافت على ولدها من الظما الهلاك اجلسته الى جنب كثيب هناك ثم ذهبت في طلب ماء للغلام لئلا يقضي عليه الاوام فانتهى بها المسير الى روضة وغدير وآثار مطي بوارك تدل على الطريق هنالك فعادت الى ولدها مسرعة وكل اعضائها عيون اليه متطلعة فلما شارفت جانب الكثيب رأت ولدها في فم الذيب

بأكثر مني حسرت وتلهفا * وأكثر مني حرقة وتفجعا
وأغزر دمعا عند ماقيل لي الذي * كلفت به أضحى على البعد مزمعا

وقد سمي بعض المتاخرين هذا القسم النفي والجحود وذكر ابن ابي الاصبع في التفريع قسما ذكره في صدر هذا الباب وقال انه هو الذي استخرجه وهو أن يبتدئ الشاعر بلفظة هي اسم أو صفة ثم يكررها في البيت مضافة الى اسماء وصفات يتفرع عليها جملة من المعاني في المدح وغيره كقول المتنبي

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء * أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان
أنا ابن الفيافي أنا ابن القوافي * انا ابن السروج انا ابن الرعان
طويل النجاد طويل العماد * طويل القناة طويل السنان
حديد اللحاظ حديد الحفاظ * حديد الحسام حديد السنان

وفيما ذكره نظر لانه بباب تعداد الصفات انسب

(نفي الشيء بايجابه) وهو ان يثبت المتكلم شيئا في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازا والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي اثبته كقول امرئ القيس

على لاحب لايهتدي بمناره * اذاساقه العود النباطي جرجرا

وظاهر هذا الكلام يقتضي اثبات منار لهذه الطريق ونفي به الهداية مجازا وباطنه في الحقيقة يقتضي نفي المنار جملة والمعنى ان هذه الطريق لو كان لها منار ما اهتدى به فكيف ولا منار لها كما تريد ان تقول لمن تسلبه الخير ما اقل خيرك فظاهر كلامك يدل على اثبات خير قليل وباطنه نفي الخير كثيره وقليله ومن امثلة هذا الباب أيضا قول الزبير بن عبد المطلب يمدح عميلة بن عبد الدار وكان نديما له

صحبت بهم طلقا يراح الى الندى * اذا ما انتشى لم تحتضره مفاقره
ضعيف بحث الكاس قبض بنانه * كليل على وجه النديم اظافره

وظاهر هذا أن للمدوح مفاقر لم تحتضره اذا انتشى وان له اظافر تخمش وجه النديم خمشا ضعيفا وباطن الكلام في الحقيقة نفي المفاقر جملة والاظافر بتة

(الايداع) واكثر الناس يجعلونه من باب التضمين وهو منه الا انه مخصوص

بالنثر وبان يكون المودع نصف بيت اما صدرا واما عجزا فمنه قول علي رضي الله عنه في جواب كتاب لمعاوية ثم زعمت انى لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فان يكن ذلك كذلك فلم تكن الجناية عليك حتى تكون المعذرة اليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

﴿ الادماج ﴾ هو ان يدمج المتكلم عرضا له في جملة معنى من المعانى قد نحاه ليوهم السامع انه لم يقصده وانما عرض في كلامه لتتمة معناه الذي قصده كقول عبد الله بن عبد الله لعبد الله بن سليمان بن وهب حين ورد للمعتضد وكان ابن عبد الله قد اختلت حاله فكتب الى ابن سليمان

ابى دهرنا اسعافنا في نفوسنا * واسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له نعماك فيهم اتمها * ودع امرنا ان المحب المقدم

فادمج شكوى الزمان في ضمن التهنئة وتلطف في المسالة مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال

﴿ سلامة الاختراع ﴾ وهو ان يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه ولم يتبعه أحد فيه كقول عنترة في الذباب

هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

وكقول عدى بن الرقاع في تشبيه ولد الظبية

تزجي أغن كأن ابرة روقه * قلم اصاب من الدواة مدادها

وقول النابغة في وصف النسور

تراهن خلف القوم زورا عيونها * جلوس الشيوخ في مسوك الارانب

وكقول السيد الحميرى في عليّ عليه السلام

لكن ابو حسن الله ايده * ما زال عند اللقا للطعن معتادا
اذا رأى معشرا حربا انامهم * انامة الريح في ابياتها عادا

ومن اختراعات المحدثين قول ابى تمام

لاتنكري عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالي

وقوله

ليس الحجاب بمقص عنك لى املا * ان السماء ترجي حين تحتجب

وقول ابن الحجاج

تراني والمولى الذي انا عبده * طريقاني في امر له طرقان

بعيدا تراني منه أقرب ما ترى * كاني يوم العيد من رمضان

(حسن الاتباع) وهو أن ياتي المتكلم الى معنى قد اخترعه غيره فيتبعه فيه اتباعا يوجب له استحقاقه اما باختصار لفظه أو قصر وزنه أو عذوبة نظمه او سهولة سبكه أو ايضاح معناه أو تتميم نقصه أو تحليته بما توجبه الصناعة أو بغير ذلك من وجوه الاستحقاق كقول شاعر جاهلي في صفة جمل

وعود قليل الذنب عاودت ضربه * اذا هاج شوقي من معاهدها ذكر

وقلت له تجتاز ويحك غمرة * لك الضرب فاصبر ان عادتك الصبر

فاحسن ابن المعتز اتباعه في هذا المعنى حيث قال يصف خيله

وخيل طواها السير حتى كانها * أنابيب سمر من قنا الخط ذبل

صببنا عليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد سراع وأرجل

ومن احسن الاتباع اتباع أبي نواس جريرا في قوله

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

حيث قال ونقل المعنى من الفخر الى المدح

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

ومن حسن الاتباع قول منصور الفقيه المصري فى شريف كانت أمه أمة وكان يهاجيه

من فاتني بابيه * ولم يفتني بامه * ورام شتمي ظلما * سكت عن نصف شتمه

فانه اتبع فيه قول عنترة

اني امرؤ من خير عبس منصبا * شطري واحمي سائري بالمنصل

ومن هذا الباب قول ابن الرومي

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * نبال العدى عني فكنتم نصالها

وقد كنت ارجو منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها

فان كنتم لم تحفظوا لمودتى * ذماما فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا وقفة المعذور عني بمعزل * وخلوا نبالي للعدا ونبالها

فاتبعه الخفاجي حيث قال

اعددتكم لدفاع كل ملمة * عونا فكنتم عون كل ملمة
وتخذتكم لى جنة فكانما * نظر العدو مقاتلي من جنتى
فلانفضن يديّ يأسا منكم * نفض الانامل من تراب الميت

ومن ذلك قول النميرى في أخت الحجاج

فهن اللواتى ان برزن قتلنني * وان غبن قطعن الحشا حسرات

فاتبعه ابن الرومي فقال

ويلاه ان نظرت وان هى أعرضت * وقع السهام ونزعهن أليم

(المدح في معرض الذم) هو أن يقصد المتكلم ذم انسان فياتى بالفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيوهم انه يمدحه وهو يهجوه كقول بعضهم في بعض الاشراف

له حق وليس عليه حق * ومهما قال فالحسن الجميل
وقدكان الرسول يرى حقوقا * عليه لغيره وهو الرسول

فان الفاظ البيت الاول على انفرادها لاتكاد تصلح الا للمدح والبيت الثانى لايفهم منه مدح ولا ذم بل هو الى باب الادب اقرب فحصل من اجتماعهما معنى لا يوجبه واحد منهما على انفراده ولبعضهم في الشريف ابن الشجرمى

يا سيدي والذى يعيذك من * نظم قريض يصدا به الفكر
ما فيك من جدك النبيّ سوى * انك لا ينبغي لك الشعر

(العنوان) وهو ان ياخذ المتكلم في غرض له من وصف او فخر او مدح او هجاء او غير ذلك ثم ياتى لقصد تكميله بالفاظ تكون عنوانا لاخبار متقدمة وقصص سالفة كقول ابى نواس

ياهاشم بن خديج ليس فخركم * بقتل صهر رسول الله بالسدد
ادرجتم فى اهاب العير جثته * لبئس ما قدمت ايديكم لغد

ان تقتلوا ابن ابي بكر فقد قتلت * حجرا بدارة ملحوب بنو اسد
ويوم قلتم لعمرو وهو يقتلكم * قتل الكلاب لقد ابرحت من ولد
ورب كندية قالت لجارتها * والدمع ينهل من مثنى ومن وحد
ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية * عن ثاره وصفات النؤى والوتد

وقد اتى ابو نواس في هذه الابيات بعدّة عنوانات منها قصة محمد بن ابي بكر وقتل حجر ابي امرئ القيس وقتل عمرو بن هند كندة في ضمن هجو من اراد هجوه وعير المهجو بما اشار اليه من الاخبار الدالة على هجاء قبيلته ومثل ذلك قول ابي تمام في استعطاف مالك بن طوق على قومه

وفدوك في يوم الكلاب وشققوا * فيه المزاد بجحفل غلاب
وهم بعين اباغ راشوا للعدا * سهميك عند الحارث الحراب
وليالي الثرثار والحشاك قد * جلبوا الجياد لواحق الاقراب
فمضت كهولهم ودبر امرهم * احداثهم تدبير غير صواب

ثم قال بعد ذلك

لك في رسول الله اعظم اسوة * واجلها في سنة وكتاب
اعطى المؤلفة القلوب رضاهم * كلا ورد اخاير الاحزاب
والجعفريون استقلت ظعنهم * عن قومهم وهم نجوم كلاب
حتى اذا اخذ الفراق بقسطه * منهم وشط بهم عن الاحباب
ورأوا بلاد الله قد لفظتهم * اكنافها رجعوا الى جواب
فأتوا كريم الخيم مثلك صافحا * عن ذكر احقاد وذكر ضباب

فانظر الى ما اتى به ابو تمام في هذه الابيات من العنوانات من السيرة النبوية وايام العرب كيوم الكلاب واخبار بني جعفر بن كلاب ورجوعهم الى ابن عمهم جواب وكقوله ايضا لاحمد بن ابي دؤاد

تثبت ان قولاً كان زورا * اتى النعمان قبلك عن زياد
فأثر بين حي بني جلاح * لظى حرب وحي بني مصاد
وغادر في صدور الدهر قتلى * بني بدر على ذات الاصاد

فاتى بعنوان يشير الى قصة النابغة حين وشى به الواشون الى النعمان فجر ذلك من الحروب ما تضمنته أبياته

﴿ الايضاح ﴾ هو ان يذكر المتكلم كلاما في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية كلامه كقوله

يذكرنيك الخير والشر كله * وقيل الخنا والعلم والحلم والجهل

فان هذا الشاعر لو اقتصر على هذا البيت لاشكل مراده على السامع لجمعه بين ألفاظ المدح والهجاء فلما قال بعده

فألقاك عن مكروهها متنزها * وألقاك في محبوبها ولك الفضل

اوضح المعنى المراد وازال اللبس ورفع الشك

﴿ التشكيك ﴾ وهو ان يأتى المتكلم في كلامه بلفظة تشكك المخاطب هل هى فضلة او اصلية لا غنى للكلام عنها مثل قوله تعالى ياايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين فان لفظة بدين تشكك السامع هل هى فضلة او اصلية فالضعيف النظر يظنها فضلة لان لفظة تداينتم يغني عنها والناظر في علم البيان يعلم انها اصلية لان لفظة الدين لها محامل تقول داينت فلانا المودة بمعنى جازيته ومنه كما تدين تدان ومنه قول رؤبة

داينت اروى والديون تقضى * فماطلت بعضا وادت بعضا

وكل هذا هو الدين المجازي الذي لايكتب ولايشهد عليه ولما كان المراد في الآية الكريمة تمييز الدين المالي الذي يكتب ويشهد عليه وتبيين احكامه اوجبت البلاغة ان تقول بدين ليعلم حكمه

﴿ القول الموجب ﴾ وهو ضربان احدهما ان يقع صفة في كلام مدع شيئا يعنى به نفسه فيثبت تلك الصفة لغيره من غير تصريح بثبوتها له ولا نفيها عنه كقوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن فريق المؤمنين فأثبت الله صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج بصفة العزة ولا لنفيه والثانى حمل كلام المتكلم مع تقريره على خلاف

مراده بما يحتمله بذكر متعلقه كقوله

قلت ثقلت اذ اتيت مرارا * قال ثقلت كاهلي بالايادي
قلت طوّلت قال لي بل تطوّلت وأبرمت منك حبل الوداد

ومنه قول القاضي الارّجاني

غالطتني اذ كست جسمي الضنا * كسوة اعرت عن اللحم العظاما
ثم قالت انت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

قال المؤلف وقلت في هذا المعنى وفيه زيادة التنديد

رأتني وقد نال مني النحول * وفاضت دموعي على الخد فيضا
وقالت بعيني هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر ايضا

ومن احسن ما سمعت فيه قول محاسن الشوّا

ولما أتاني العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا للحمى قارض
وقد بهتوا لما رأوني شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

﴿ القلب ﴾ منه في التنزيل قوله تعالى كل في فلك وربك فكبر وقولهم ساكب كاس وقول عماد الدين الكاتب للقاضي الفاضل سر فلا كبا بك الفرس وجواب القاضي الفاضل له دام علا العماد والظاهر ان القاضي الفاضل استشهد بها فانها في اول قصيدة للارّجاني مطلعها دام علا العماد ومن ذلك قول الارّجاني

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وقد بنى الحريري بعض مقاماته على ذلك

﴿ التنديد ﴾ وهو ان يأتي المتكلم بنادرة حلوة او نكتة مستظرفة يعرض فيها بمن يريد ذمه بامر وغالب ما يقع في الهزل فمنه قول ابي تمام فيمن سرق له شعرا

من بنو بجدل من ابن الحباب * من بنو تغلب غداة الكلاب
من طفيل من عامر ام من الحا * رث ام من عتيبة بن شهاب
انما الضيغم الهصور ابو الاشبال هتاك كل خيس وغاب
من عدت خيله على سرح شعري * وهو للحين راتع في كتابي
يا عذارى الكلام صرتن من بعدي سبايا تبعن في الاعراب

لو ترى منطقي اسيرا لأصبحت اسيرا ذا عبرة واكتئاب
طال رغبي اليك مما اقاسيه ورهبي يارب فاحفظ ثيابي

ومن لطيف ما وقع في ذلك قول شهاب الدين بن الخيمى يعرض بنجم الدين ابن اسرائيل لما تنازعا فى القصيدة المعروفة بابن الخيمي وهي يامطلبا ليس لي في غيره أرب فقال من قطعة

هم العريب بنجد مذ عرفتهم * لم يبق لي معهم مال ولا نشب
فما ألموا بحي او ألم بهم * الا أغاروا على الابيات وانتهبوا
لم يبق منطقه قولا يروق لنا * الا شكت ظلمه الاشعار والخطب

﴿ الاسجال بعد المغالطة ﴾ هو ان يقصد الشاعر غرضا من ممدوح فيشرط لحصوله شرطا ثم يقدر وقوع ذلك الشرط مغالطة ليسجل به استحقاق مقصوده كقول بعض المحدثين

جاء الشتاء وما عندي لقرته * الا ارتعادي وتصفيقي بأسناني
فان هلكت فمولانا يكفنني * هبني هلكت فهبني بعض اكفاني

﴿ الافتنان ﴾ هو أن يأتي الشاعر بفنين متضادين من فنون الشعر ببيت واحد مثل النسيب والحماسة والمدح والهجاء والهناء والعزاء فاما ماجمع فيه بين النسيب والحماسة فكقول عنترة

ان تقذفي دوني القناع فانني * طب باخذ الفارس المستلئم

وكقول أبي دلف ويروى لعبد الله بن طاهر

احبك يا حنان وانت مني * محل الروح من جسد الجبان
ولو انى اقول محل روحي * لخفت عليك بادرة الزمان

ومما جمع بين تهنئة وتعزية قول بعض الشعراء ليزيد بن معاوية يعزيه بأبيه ويهنئه بالخلافة

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر حباء الذي للملك اصفاكا
لارزء اصبح في الاقوام نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

ومن احسن ما ورد في ذلك قول ابى نواس للفضل بن الربيع يعزيه في الرشيد

ويهنيه بالامين

تعز ابا العباس من خير هالك * بأكرم حي كان او هو كائن
وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى * فلا انت مغبون ولا الموت غابن

وامثلة ذلك كثيرة والكاتب اشد احتياجا اليه من غيره ومن امثلة ذلك ما كتبته تهنئة وتعزية لمن رزق ولدا ذكرا في يوم ماتت له فيه بنت ولا عتب على الدهر فيما اقترف فقد احسن الخلف واعتذر بما وهب عما سلب فعفى الله عما سلف

﴿ الابهام ﴾ وهو ان يقول المتكلم كلاما مبهما يحتمل معنيين متضادين كقول بعض الشعراء في الحسن بن سهل لما تزوج المامون ببنته بوران

بارك الله للحسن * ولبوران في الختن * يا امام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

فلم يعرف مراده ببنت من هل هو في الرفعة أو الضعة ومنه قول بشار في خياط أعور اسمه عمرو

خاط لي عمرو قباء * ليتْ عينيه سواء

فانه أبهم المعنى في الدعاء له بالدعاء عليه .

(حصر الجزئي والحاقه بالكلي) هو كقول السلامي

اليك طوى عرض البسيطة جاهل * قصاري المطايا أن يلوح لها القصر
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي * ثلاثة اشياء كما اجتمع النسر
وبشرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

فأما حصر اقسام الجزئي فان العالم عبارة عن اجسام وظروف زمان وظروف مكان وقد حصر ذلك واما جعله الجزئي كليا فلان الممدوح جزء من الورى والدار جزء من الدنيا واليوم جزء من الدهر وقد نظم هذا المعنى جماعة وهذه الابيات من احسنها

(المقارنة) وهو أن يقرن الشاعر الاستعارة بالتشبيه او المبالغة او غير ذلك من المعاني بوصل يخفى اثره الا على مدمن النظر في هذه الصناعة واكثر ما يقع ذلك بالجمل الشرطية كقول بعض شعراء المغرب

وكنت اذا استنزلت من جانب الرضى * نزلت نزول الغيث في البلد المحل

وان هيج الاعداء منك حفيظة * وقعت وقوع النار في الحطب الجزل

فانه لاءم بين الاستعارة والتشبيه المنزوع الاداة في صدري بيتيه وعجزهما واما ما قرنت به الاستعارة بالمبالغة فمثاله قول النابغة الذبياني

وانت ربيع ينعش الناس سيبه * وسيف اعتبرته المنية قاطع

فان في كل من صدر البيت وعجزه استعارة ومبالغة وانما التي في العجز ابلغ ومما اقترن فيه الارداف بالاستعارة قول تميم بن مقبل

لدن غدوة حتى نزعنا عشية * وقد مات شطر الشمس والشطر مدنف

فانه عبر بموت شطر الشمس عن الغروب واستعار للشطر الثاني المدنف

(الابداع) وهو ان يأتي في البيت الواحد من الشعر او القرينة الواحدة من النثر عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته او جمله وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان من البديع ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بابداع قال ابن ابي الاصبع وما رأيت فيما استقريت من الكلام كآية استخرجت منها احدا وعشرين ضربا من المحاسن وهي قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين وهي المناسبة التامة بين اقلعي وابلعي والمطابقة بذكر الارض والسماء والمجاز في قوله تعالى يا سماء فان المراد والله اعلم يا مطر السماء والاستعارة في قوله تعالى اقلعي والاشارة في قوله تعالى وغيض الماء فانه عبر بهاتين اللفظتين عن معان كثيرة والتمثيل في قوله سبحانه وقضي الامر فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بغير لفظ المعنى الموضوع له والارداف في قوله تعالى واستوت على الجودي فانه عبر عن استقرارها بهذا المكان استقرارا متمكنا بلفظ قريب من لفظ المعنى والتعليل لان غيض الماء علة الاستواء وصحة التقسيم اذ استوعب سبحانه اقسام احوال الماء حالة نقصه اذ ليس الا احتباس ماء السماء واحتقان الماء الذي ينبع من الارض وغيض الماء الحاصل على ظهرها والاحتراس في قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين اذ الدعاء عليهم يشعر بأنهم مستحقو الهلاك احتراسا من ضعيف العقل يتوهم ان العذاب يشمل من يستحق

ومن لا يستحق فأكد بالدعاء كونهم مستحقين والايضاح في قوله تعالى للقوم ليبين أن القوم الذين سبق ذكرهم فى الآية المتقدمة حيث قال وكلما مرّ عليه ملأٌ من قومه سخروا منه هم الذين وصفهم بالظلم ليعلم أن لفظة القوم ليست فضلة وانه يحصل بسقوطها لبس في الكلام والمساواة لان لفظ الآية لا يزيد على معناها وحسن النسق لانه سبحانه وتعالى عطف القضايا بعضها على بعض بحسن ترتيب وائتلاف اللفظ مع المعنى لان كل لفظة لا يصلح موضعها غيرها والايجاز لانه سبحانه وتعالى اقتص القصة بلفظها مستوعبة بحيث لم يخل منها بشيء في أقصر عبارة والتسهيم لان أول الآية الى قوله أقلعي يقتضي آخرها والتهذيب لان مفردات الالفاظ موصوفة بصفات الحسن عليها رونق الفصاحة سليمة من التعقيد والتقديم والتأخير والتمكين لان الفاصلة مستقرة في قرارها مطمئنة في مكانها والانسجام وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء وباقي مجموع الآية من الابداع وهو الذي سمى به هذا الباب فهذه الآية سبع عشرة لفظة تضمنت أحدا وعشرين ضربا من البديع غير ما تكرر من انواعه فيها

(الانفصال) وهو ان يقول المتكلم كلاما يتوجه عليه فيه دخل لو اقتصر عليه فيأتي بعده بما يفصله عن ذلك الدخل كقول أبي نواس

ان ابليس أراه * في الورى عنك يصد
ليس من تقوى ولكن * ثقل فيك وبرد

والفرق بين هذا وبين الاحتراس خلو الاحتراس من الدخل عليه من كل وجه

﴿ التصرف ﴾ هو أن يتصرف المتكلم في المعنى الذي يقصده فيبرزه في عدة صور تارة بلفظ الاستعارة وطورا بلفظ التشبيه وآونة بلفظ الارداف وحينا بلفظ الحقيقة كقول امرئ القيس يصف الليل

وليل كموج البحر أرخى سدوله * عليّ بانواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

فانه أبرز هذا المعنى بلفظ الاستعارة ثم تصرف فيه فأتى بلفظ التشبيه فقال

فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفتل شدت بيذبل

ثم تصرف فيه فاخرجه بلفظ الارداف فقال

كأن الثريا علقت في نظامها * بأمراس كتان الى صم جندل

ثم تصرف فيه فعبر عنه بلفظ الحقيقة فقال

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي * بصبح وما الاصباح منك بامثل

وهذا يدل على قوة الشاعر وتمكنه

﴿ الاشتراك ﴾ منه ماليس بحسن ولا بقبيح وهو الاشتراك في الالفاظ مثل اشتراك الابيرد وأبي نواس في لفظة الاستعفاء فقال الابيرد في مرثية أخيه

وقد كنت استعفي الا له اذا اشتكى * من الاجر لي فيه وان عظم الاجر

وقال أبو نواس

ترى العين تستعفيك من لمعانها * وتحسر حتى ماتقل جفونها

ومنه الحسن وهو الاشتراك في المعنى كقول امرئ القيس

كبكر المقاناة البياض بصفرة * غذاها نمير الماء غير محلل

وقول ذي الرمة

كحلاء في برج صفراء في دعج * كأنها فضة قد مسها ذهب

فوقع الاشتراك بينهما في وصف المرأة بالصفرة غير أن الاول شبه الصفرة ببيضة النعامة والآخر بالفضة المموهة بالذهب ومن الاشتراك المعنوي ماليس بحسن ولا معيب كقول كثير

وأنت الذي حببت كل قصيرة * الي وما تدري بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطى شر النساء البحاتر

فان لفظة قصيرة مشتركة فلو اقتصر على البيت الاول لكان الاشتراك معيبا لكنه لما أتى بالبيت الثاني زال العيب مع أنه ضمنه فبقي البيت بسبب التضمين ناقصا عن رتبة الحسن

﴿ التهكم ﴾ منه قول الوجيه الذروى في ابن أبي حصينة من أبيات

لا تظنن حدبة الظهر عيبا * فهي في الحسن من صفات الهلال

وكذاك القسي محدودبات * وهي انكى من الظبا والعوالي

واذا ماعلا السنام ففيه * لقروم الجمال اى جمال
وأرى الانحناء في مخلب البازى ولم يعد مخلب الريبال
كوّن الله حدبة فيك ان شئت من الفضل او من الافضال
فأتت ربوة على طود علم * وأتت موجة ببحر نوال
مارأتها النساء الا تمنت * لو غدت حلية لكل الرجال

ثم ختمها بقوله

واذا لم يكن من الهجر بد * فعسى ان تزورنا في الخيال

وكقول ابن الرومى

فياله من عمل صالح * يرفعه الله الى اسفل

والفرق بين التهكم والهزل الذي يراد به الجد ان التهكم ظاهره جد وباطنه هزل والهزل الذى به الجد يكون ظاهره هزلا وباطنه جدّا

﴿ التدبيج ﴾ هو ان يذكر الشاعر او الناثر الوانا يقصد الكناية بها والتورية بذكرها عن اشياء من وصف او مدح او نسيب او هجاء او غير ذلك من الفنون فمن ذلك قول الحريرى في بعض مقاماته فمذ ازورّ المحبوب الاصفر واغبر العيش الاخضر أسودّ يومي الابيض وابيض فودى الاسود حتى رثى لى العدوّ الازرق فحبذا الموت الاحمر وهذا التدبيج بطريق التورية ومن امثلة هذا الباب قول ابن حيوس الدمشقي

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل او قتال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

﴿ الموجه ﴾ هو ان يمدح بشيء يقتضي المدح بشيء آخر كقول المتنبي

نهبت من الاعمار مالو ملكته * لهنئت الدنيا بانك خالد

وكقوله عمر العدوّ اذا لاقاه في رهج * اقل من عمر مايحوى اذا وهبا

فاول البيتين وصف بفرط الشجاعة وآخر الاوّل بعلوّ الدرجة وآخر الثانى بفرط الجود

﴿ تشابه الاطراف ﴾ هو ان يجعل قافية بيته الاول اول بيته الثانى وقافية الثاني

اول الثالث وهكذا الى انتهاء كلامه ومن احسن ما سمع فيه قول ليلى الاخيلية تمدح الحجاج

اذا نزل الحجاج ارضا مريضة * تتبع اقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها * غلام اذا هز القناة سقاها
سقاها فروّاها بشرب سجالها * دماء رجال يحلبون صراها

وهذا ما اتفق ايراده في هذا الكتاب من علوم المعاني والبيان والبديع ليتأمله المترشح لهذه الصناعة ويستعمل ذلك في كلامه مع ان تسمية هذه الانواع تختلف ولا مشاحة في التسمية كما ذكر قدامة في كتابه واما ما يتصل بذلك من خصائص الكتابة فالاقتباس والاستشهاد والحل على ان منهم من يجعل الاقتباس في النظم ايضا ﴿ فالاقتباس ﴾ ان يضمن الكلام شيئا من القرآن او الحديث ولا ينبه عليه للعلم به كما في خطب ابن نباتة كقوله فيا أيها الغفلة المطرقون اما أنتم بهذا الحديث مصدّقون مالكم لا تشفقون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون وكقوله ايضا يوم يبعث الله العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لجهنم وقودا يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمدا بعيدا وكقول غيره أتظنون أنكم دون غيركم مخلدون كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وكقول الحريري فلم يكن الا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد فاغرب وقوله انا آتيكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليله ومن ذلك ما أوردته في تقليد عن الامام الحاكم * وجمع بك شمل الامة بعد ان كاد يزيغ قلوب فريق منهم وعضدك لاقامة امامته بأولياء دولتك الذين رضى الله عنهم وخصك بانصار دينه الذين نهضوا بما أمروا به من طاعتك وهم فارهون وأظهرك على الذين ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون * (ومن تقليد آخر حاكمي للملك المنصور حسام الدين) وجعل عدوه وان أعرض عن طلبه بجيوش الرعب محصورا وكفاه بالنصر على الاعداء التوغل في سفك الدماء فلم

يسرف في القتل انه كان منصورا (ومن ذلك في خطبة صداق) اقتربت به الاباعد واتصلت به الانساب اتصال العضد بالساعد وأحياء الله به الامم وقد قضى حينهم وجمع به بين متفرقين ولو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم (وقلت في توقيع امام) وليعلم انه يكون في المحراب مناجيا لربه واقفا بين يدى من يحول بين المرء وقلبه * وأمثلة ذلك كثيرة وأما شواهده وأمثلته في النظم فلم أر أن أذكرها والاقتباس من الحديث كقول الحريري وكتمان الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة (وقوله) شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه والاستشهاد بالآيات مع التنبيه عليها كقول الحريري فقلت وأنت أصدق القائلين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وفي الاحاديث بالتنبيه عليها أيضا كقولي في تقليد حاكم ونصلي على سيدنا محمد الذي استخرجه الله من عنصر أهله وذويه وشرف قدر جده بقوله فيه ان عم الرجل صنو أبيه وسره بما اسر اليه من ان هذا الامر فتح به ويختم ببنيه وامثال ذلك لا تحصر ﴿ واما الحل ﴾ فهو باب يتسع على المجيد مجاله ويتصرف في كلام العارف به رويته وارتجاله وملاك أمر المتصدى له ان يكون كثير الحفظ للاحاديث النبوية والآثار والامثال والاشعار لينفق منها وقت الاحتياج اليها وكيفية الحل ان تتوخى هدم البيت المنظوم وحل فرائده من سلكه ثم ترتب تلك الفرائد أو ماشابهها ترتيب متمكن لم يحصره الوزن ولا اضطرته القافية ويبرزها في أحسن سلك وأجمل قالب وأصح سبك ويكملها بما يناسبها من انواع البديع اذا أمكن ذلك من غير كلفة ويتخير لها القرائن واذا تم معه المعنى المحلول في قرينة واحدة فيضم له من حاصل فكره او من ذخيرة حفظه ما يناسبه وله ان ينقل المعنى اذا لم يفسده الى ما شاء فان كان نسيبا وتأتى له ان يجعله مديحا فليفعل وكذلك غيره من الانواع واذا اراد الحل بالمعنى فلتكن ألفاظه مناسبة لالفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها فمتى قصرت ولو بلفظة واحدة فسد ذلك الحل وعد معيبا واذا حل باللفظ فلا يتصرف بتقديم ولا تأخير ولا تبديل الا مع مراعاة نظام الفصاحة في ذلك

واجتناب ما ينقص المعنى أو يحط رتبته وهذا الباب لا تحصر المقاصد فيه وانا اوردنا الآن من امثلة ذلك ما يقاس عليه ولا حجر على المتصرف فيه * فمما وقع التصرف فيه بزيادة على المعنى قول ضياء الدين ابن الاثير في ذكر العصا التي يتوكأ عليها الشيخ الكبير * وهذه لمبتدا ضعفي خبر ولقوس ظهري وتر واذا كان القاؤها دليلا على الاقامة فان حملها دليل على السفر والمحلول في ذلك قول بعضهم * كأنني قوس رام وهي لي وتر * وقول الآخر

فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

ومما خفي وجه الحل فيه بحسن التصرف قول فخر القضاة بن بصاقة قتيل الجفون الفواتر في سبيل حبه كقتيل السيوف البواتر في سبيل ربه الا ان هذا يغسل بدموعه وهذا يزمل بنجيعه وهذا في حال حياته ميت يرمق وهذا في مماته حي يرزق فلطف التصرف في معنى الحديث في الشهيد وانه يدفن على حاله من غير تغسيل ومعنى الآية في قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون وزاد ضياء الدين الخفاء بقوله دمع المحب ودم القتيل متساويان في التشبيه والتمثيل الا أن بينهما بونا لانهما يختلفان لونا وأما ما يحتاج فيه الى مواخاة القرينة المحلولة بمثلها أو ما يناسبها فكما حللت في تقليد فقلت * فكم مل ضوء الصح مما يغيره (ثم قلت) وطلا من النقع مما يسيره (وقلت) وحديد الهند ما يلاطمه (ثم قلت) والاجل مما يسابقه الى قبض النفوس ويزاحمه فالقرينتان الاوليان نصفا بيتين للمتنبي فاضفت الى كل قرينة ما يناسبها وهذا أكثر ما يستعمل في الكتابة ومع ذلك فالمتصرف في الحل له ان ينقل البيت الذى يقصد حله الى ما شاء من المعاني كما أبين ان شاء الله تعالى وهو ان بيت ابن الرومي في وصف الحديث وهو * وحديثها السحر الحلال لو انه * لم يجز قتل المسلم المتحرز * حللته في وصف السيوف فقلت وكفى السيوف فخرا أنها للجنة ظلال والى النصر مآل واذا كان من بيان الحديث سحر فان بيان حديثها عمن كلمته هو السحر الحلال ثم نقلته الى وصف الاسنة فقلت بجسب ألسنة الاسنة شرفا أن كشف خبايا القلوب يذم الا منها وان بث اسرار الضمائر يكره روايته الا عنها فكرر حديثك في

ذلك لا يفضي الى ملال واذا لم يكن حسن حديثها الذي يسحر الالباب مما يحل فليس في الحديث سحر حلال * ثم نقلته الى وصف البلاغة فقلت * البلاغة تسحر الالباب حتى تخيل العرض جوهرا وتخيل الهواء المدرك بالسمع لانسجامه وعذوبته في الذوق نهرا لكنه سحر لم يجز قتل المسلم المتحرز فنتأول في حله واذا كان من الحديث ما هو عقلة للمستوفز فهذا انشوطة نشاط البليغ وحل عقال عقله * ونقلته الى وصف الكتابة فقلت * خطه شرك العقول وفتنة تشغل الناظر بملاحة المرئي المكتوب عن فصاحة المسموع المنقول ولو لم يكن البيان سحرا لما تجسدت منه في طرسه هذه الدرر ولو لم يكن بعض السحر حلالا لما انجلى ظلام النفس عما يهتدي به من هذه الاوضاح والغرر * وقد نوعت لك من حل هذا البيت ما يدلك على انه لا يحجر عليك في نقل المحلول الى أي معنى شئت اذا دفعت الى ذلك في الكتابة ووضعت في كل مكان ما يناسبه اذا كان لك ذهن متصرف وملكة مطاوعة ولا ينبغي ان تعتمد في جميع كتابتك على الحل فيتكل خاطرك على ذلك ويذهب رونق الطبع السليم وتقل مادة الانسجام بل يكون استعمال ذلك كاستعمال البديع اذا أتى عفوا من غير تكلف ليكون مثل الشاهد على صحة الكلام والدال على الاطلاع وكالرقم في الثوب والشذرة فى القلادة والواسطة فى العقد اذ لا ينبغي ان تخلي كلامك من نوع من انواع المحاسن ويقرب من ذلك نوع يسمى التلميح وقد تقدم في بعض ابواب البديع ومرادي أن اشير الى ما يقع استعماله فى مثل ذلك وهو مثل قول الحريري وانى والله لطالما لقيت الشتاء بكافاته واعددت الاهب له قبل موافاته يشير الى بيتي ابن سكره * جاء الشتاء وعندي من حوائجه * وهي مشهورة ومنه قول ابى بكر بن عبدون فى خمرة كانت غدوة طيبة المذاق ثم غدت عشية خلا

ألا في سبيل اللهو كاس مدامة * أتتنا بطعم عهده غير ثابت
حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة * وراحت كجسم الشنفري بعد ثابت

أراد صهباء بنت بسطام بن قيس واراد قول الشنفري يرثى خاله تأبط شرا وهو ثابت بن جابر ابن سفيان

فاستقنيها يا سواد بن عمرو * ان جسمي بعد خالي لخل

فهذه أمور جملية في الحل يتصرف الذهن في انواعها بحسب قابليته واستعداده * ومما يتعين على الكاتب استعماله والمحافظة عليه والتمسك به اعطاء كل مقام حقه فاذا كتب في أوقات الحروب الى نواب الملك عنه والى مقدمي الجيوش والسرايا فليتوخ الايجاز والالفاظ البليغة الدالة على القصد من غير تطويل ولا بسط يضيع المقصد ويفصل الكلام بعضه من بعض ولا تهويل لامر العدو يضعف به القلوب ولا تهوين لامره يحصل به الاغترار (فمن ذلك صورة كتاب أنشأته الى مقدم سرية كشف لم أكتب به) وهو لا زال اخف في مقاصده من وطأة ضيف واخفى في مطالبه من زورة طيف واسرع في تنقله من سحابة صيف وأروع للعدى في تطلعه من سلة سيف حتى يتعجب عدو الدين في الاطلاع على عوراته من أين دهي وكيف ويعلم أن من قسمته الشقاء حصل عليه في مقاصده الحيف أصدرناها اليه تحثه على الركوب بطليعة أعجل من السيل وأهول من الليل وأيمن من نواصي الخيل وأقدم من النمر وأوقع على المقاصد من الغيث المنهمر وأروع في مخاتلة العدى من الذئب الحذر على خيل تجري ما وجدت فلاة وتطيع راكبها مهما اراد منها سرعة او اناة تتسنم الجبال الصم كالوعل واذا جارتها البروق عدت وراءها تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوجل وليكن كالنجم في سراه وبعد ذراه ان جرى فكسهم وان خطر فكرهم وان طلب فكالليل الذي هو مدرك وان طلب فكالجنة التي لا يجد ريحها مشرك حتى يأتي على عدو الدين من كل شرف ويرى جمعه من كل طرف ولا يسرف في الاقامة عليه الا اذا علم ان الخير في السرف وليحرز جمعهم ويسبق الى التحرز منهم بصرهم وسمعهم وينظرهم بعين منعها الحزم ان ترى العدد الكثير قليلا وعدا العزم ان ترى العدو الحقير جليلا بل ترى الامر على فصه وتروي الخبر على نصه وان وجد مغررا فليأخذ خبره ان قدر على الاتيان بعينه والا فليذهب اثره ولا يؤجج فيما لديه نار حرب الا بعد الثقة باطفائها ولا يوقظ عليه عين عدو مهما ظهر له ان المصلحة في اغفائها

وليكشف من امورهم مايبدي عند الملتقى عورتهم ويخمد في حالة الزحف نورتهم وليجعل قلبه في ذلك ربيئة طرفه وطليعة طرفه وسرية كشفه والله تعالى يمده بلطفه بمعقبات من بين يديه ومن خلفه (واذا كتب) عن الملك في اوقات حركات العدو الى اهل الثغور يعلمهم بالحركة للقاء عدوهم فليبسط القول في وصف العزائم وقوة الهمم وشدة الحميـة للدين وكثرة العساكر والجيوش وسرعة الحركة وطي المراحل ومعاجلة العدو وتخيل اسباب النصر والوقوف بعوائد الله في الظفر وتقوية القلوب منهـم وبسط آمالهم وحثهم على التيقظ وحضهم على حفظ ما بايديهم من ذلك وما أشبهه ويبرز ذلك في ابين كلام واجله وامكنه واقربه من القوة والبسالة وأبعـده من اللين والرقة ويبالغ في وصف الانابة الى الله تعالى واستنزال نصره وتأييده والرجوع اليه في تثبيت الاقدام والاعتصام به في الصبر والاستعانة به على العدو والرغبة اليه في خذلانهم وزلزلة أقدامهم وجعـل الدائرة عليهم دون التصريح بسؤال بطلان حركتهم ورجاء تأخرهم وانتظار العرضيات في خلفهم لما في ذلك من ايهام الضعف عن لقائهم واستشعار الوهن والخوف منهم (فمن ذلك ما كتبته في صـدر كتاب سلطاني الى بعض نواب الثغر عند حركة العدو) أصدرناها ومنادي النفير قد اعلن بيا خيل الله اركبي ويا ملائكة الرحمان اصحبي ويا وفود التأييـد والظفر اقربي والعزائم قد ركضت على سوابق الرعب الى العدى والهمم قد نهضت الى عدو الاسلام فلو كان في مطلع الشمس لاستقربت ما بينها وبينه من المدى والسيوف قد انفت من الغمود فكانت تنفر من قربها والاسنة قد ظمئت الى موارد القلوب فتشوقت الى الارتواء من قلبها والكماة قد زارت كالليوث اذا دنت فرائسها والجياد قـد مرحت لما عودتها من الانتعـال بجماجم الابطال فوارسها والجيوش قد كاثرت النجوم اعدادها وسار بها للهجوم على اعداء الله من ملائكته الكرام امدادها والنفوس قد اضرمت الحمية للدين نار غضبها وعداها حر الاشفاق على ثغور المسلمين عن برد الثغور وطيب شنبها والنصر قـد اشرقت في الوجود دلائله والتأييد قد ظهرت على الوجوه مخائله وحسن اليقين بالله في اعزاز دينـه قد

انبأت بحسن المآل اوائله والالسن باستنزال نصر الله لهجة والارجاء بأرواح القبول ارجه والقلوب بعوائد لطف الله بهذه الامة مبتهجه والحماة وما منهم الا من استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال وليس فيهم من يسأل عن عدد عدوه بل عن مكانه والنيات على طلب عدو الله حيث كان مجتمعه والخواطر مطمئنة بكونها مع الله بصدقها ومن كان مع الله كان الله معه وما بقي الا طي المراحل والنزول على اطراف الثغور نزول الغيث على البلد الماحل والاحاطة بعدو الله من كل جانب وابذال نفوسهم على حكم الامرين الآخرين من عذاب واصب وهم ناصب واحالة وجودهم الى العدم واجالة السيوف التي ان انكرتها اعناقهم فما بالعهد من قدم واصطلامهم على ايدي العصابة المؤيدة بنصر الله في حزبها وابتلائهم من حملاتها بريح عاد التي تدمر كل شيء بأمر ربها فليكن مترقبا لطلوع طلائعها عليه متيقنا من كرم الله استئصال عدوه الذي ان فر ادركته من ورائه وان ثبت اخذته من بين يديه وليجتهد في حفظ ما قبله من الاطراف وضمها وجمع سوام الرعايا من الاماكن المخوفة ولمها واصلاح ما يحتاج الى اصلاحه من مسالك الارياض المتطرفة ورمها فان الاحتياط على كل حال من آكد المصالح الاسلامية واهمها فكانه بالعدو وقد زال طمعه وزاد ظلعه وذم عقباه وتحقق سوء منقلبه ومصيره وتبرأ منه الشيطان الذي دلاه بغروره وأصبح لحمه مودعا بين ذئاب الفلاة وضباعها وبين عقبان الجو ونسوره ثقة من وعد الذى تمكنا منه باليقين وتحققنا ان الله ينصر من ينصره وان العاقبة للمتقين * وزيادة البسط في ذلك ونقصها بحسب المكتوب اليه (واذا كتب في التهاني بالفتوح) فليس الا بسط الكلام والاطناب في شكر نعم الله والتبرىء من الحول والقوة الا به ووصف ما أعطى من النصر وذكر ما منح من الثبات وتعظيم ما يسر من الفتح ثم ما وصف بعد ذلك من عزم واقدام وصبر وجلد عن الملك وعن جيشه حسن وصفه فلاق ذكره ورائى التوسع فيه وعذب بسط الكلام فيه فانه مترتب على ما قدمنا من نسبة النصر الى واهبه والجلد الى معطيه والثبات الى الموفق له ثم كلما اتسع مجال الكلام في ذكر المواقعة ووصفها

كان أحسن وأدل على البلاغة وأدعى لسرور المكتوب اليه واحسن لموقع النعمة عنده واشهى الى سمعه وأشفى لغليل شوقه الى معرفة الحال على جليته ولا بأس بتهويل امر العدو ووصف جمعه واقدامه فان في تصغير أمره تحقيرا للظفر به * ومما اتفق في ذلك من المكاتبات في هذا العصر خاصة ما لا يحصى كثرة وان كان المكتوب اليه ملكا صاحب مملكة منفردة تعين ان يكون البسط أكثر والاطناب أمد والتهويل أبلغ والشرح أتم (فمن ذلك فصل كتبته في جواب ابن الاحمر صاحب حمراء غرناطة من الاندلس) اما بعد حمد الله الذى أيدنا بجنوده وأنجز لنا من نصر الامة صادق وعوده وخصنا في استدامة الفتوح بمزايا مزيده وايدنا بنصره ونصرنا بتأييده والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف رسله وخاتم أنبيائه وأكرم عبيده وأعز من دعا الامم وقد انكرت خالقها الى الاقرار بتوحيده وعلى آله وصحبه الذين اشرق افق الدين منهم بكواكب سعوده فانا اصدرناها ونعم الله بنا مطيفة ومواقع نصره عندنا لطيفة وجنود تأييده لممالك الاعداء الى ممالكنا الشريفة مضيفة وثغور الاسلام بذبنا عن دين الله منيرة وباعلائنا منار الهدى منيفة ونحن نحمد الله على ذلك حمدا نستدر به اخلاف الظفر ونستديم به مواد التأييد على من كفر ونستهديه عوائد النصر التي كم تقدمها علينا اقدام واسفر لنا عنها وجه سفر ونهدي اليه ثناء تعبق بنشر الرياض خمائله وتنطق بمحض الوداد مخائله ويشرق في افق مفاخره عدواته وأصائله يشافه مجده بمصونه ويطارح نخره بمكنونه ويجلو على حضرته العلية عقائل الشرف من ابكار الهناء وعونه ونبدي لعلمه الكريم ورود كتابه الجليل مسفرا عن لوامع صفائه مبينا بجوامع وده ووفائه مشرقا بلآلئ فرائده محدقا بروض كرمه الذي سعد رأي رائده محتويا على سروره بما بلغه من أنباء النصرة التي سارت بها اليه سرعان الركبان وذلت بعز ما تلي عليه منها عباد الصلبان وطبق ذكرها المشارق والمغارب ومزقت مواكب أعداء الله التتار وهم في رأي العين اعداد الكواكب وخلطت الترب بدمائهم حتى لم يبح بها التيمم ومزجت بنهر الفرات حتى مانحا الشارب وهى النصرة التي لا يدرك الوصف كنهها

ولا يعرف لها البلاغة مشبها ولا يتسع نطاق النطق لذكرها ولا تنهض الالسنة على طول الابد بشكرها فان التتار المخذولين اقبلوا كالرمال واصطفوا كالجبال وتدفقوا كالبحار الزواخر وتوالوا كالامواج التي لا يعرف لها الاول من الآخر فصدمتهم جيوشنا المنصورة صدمة بددت شملهم وعلمت الطير اكلهم وحصرتهم في الفضاء وطالبت ارواحهم الكافرة بدين دينها فاسرفت في الاقتضاء وحصدت منهم جيوشنا المنصورة ما يخرج عن وصف الواصف ومزقت بقيتهم في الفلوات فكانوا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف واحاطت بهم كتائبنا المنصورة فلم ينج الا من لا يوبه له من فريقهم وقسمتهم جيوشنا المؤيدة من الفلوات الى الفرات بين القتل والاسر فلم يخرج عن تلك القسمة غير غريقهم واعقبتهم تلك الكسرة ان هلك طاغيتهم اسفا وحسرة وحزنا على من قتل من تلك المقاتلة واسر من تلك الاسرة واماته الرعب من جيوشنا المنصورة فجاءه واستولى عليه الوجل فجاءه من امر الله ما جاءه وقعد اخوه بعده مكانه والخوف من عساكرنا تضعضع اركانه والفرق من جيوشنا يفرق اعوانه ويمزق اخوانه ويوهي سلطانه ويبرئ منه شيطانه فلاذ بالالتجاء الى سلمنا وعاد باسناد الرجاء الى كفنا عنه وحلمنا فكرر رسله ورسائله مستعطفا ووالى كتبه ووسائله مستعفيا من حربنا ومستسعفا وهو الآن وجنوده يتوسلون بالخضوع الى مراحمنا ويتوصلون ببذل الطاعة الى مكارمنا ويسألون صفح الصفاح الاسلامية عن رقابهم ويبدون ما اظهره الله عليهم من الذل الذي جعلته تلك النصرة خالدا في أعقابهم وسيوفنا تأبي قبول وسائلهم وتصر على نهر سائلهم وتمنع من الكف عن مقاتلهم وتأنف ان تغمد الا في قمم محاربهم ومقاتلهم ونحن على ما نحن عليه من الاهبة لغزوهم في عقر دارهم وانتزاع مواطن الخلافة وغيرها من ممالك الاسلام من بين بيوتهم واظفارهم مستنصرين بالله على من بقي في خط المشرق منهم قائمين فيهم بفرض الجهاد الذي لولا دفاع الله به لم يمتنع خط المغرب عنهم ولينصرن الله من ينصره ولو عددنا نعم الله علينا حاولنا عد ما لا نحصيه ولا نحصره * وان اضطر ان يكتب بمثل ذلك الى ملك غير مسلم لكنه غير محارب فالحكم في ذلك ان

يذكر من اسباب المودة ما يقتضي المشاركة فى المسار وان امر هذا العدو مع كثرته اخذ باطراف الانامل وآل امره الى ما آل ويعظم ذكر ما جرى عليه من القتل والاسر وتلك عوائد نصر الله لنا وانتقامه ممن عادانا (فمن ذلك) صورة كتاب لبعض ملوك البحر ذكر ولم يكتب به وهو صدرت هذه المكاتبة مبشرة له بما منحنا الله من نصره اجزل الصفاء منها سهمه واكمل الوفاء من التهنئة بها قسمه وخصه الوداد بأجمل اجزائها واجلسه الاتحاد على اسرة مسرتها اذا اجلس العناد غيره على بساط عزائها علما بأنه الصديق الذي تبهجه مسار صديقه والصاحب الذي يرى مساهمة صاحبه في بشري الظفر بأعدائه ادنى حقوقه وذلك انه قد علم ماكان من امر هؤلاء التتار فى حركاتهم الذميمة وعزماتهم التي ما اختلفوا لها الا وكان آخر سلامتها الهزيمة وصارت التي ما حشدوا لها الا وقنعوا فيها بالاياب من الغنيمة وانهم ما اقدموا علينا الا وعدموا ولا سلكوا الينا الا وهلكوا حتى ان الارض الى الآن لم تجف من دمائهم وان الفرات يكاد يكشف للتامل عن اشلائهم وان الشيطان بعد ذلك جدد طمعهم وسكن هلعهم وانساهم مصارع اخوانهم واسلافهم بما زين لهم من بلوغ اوطارهم عن اوطانهم وقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وتلك الوقائع التي اصبتم فيها قد لا يجرى الامر فيها على القياس وحسن لهم المحال وغرهم وجرأهم على قصد البلاد المحروسة وفي الحقيقة استجرهم فحشدوا جموعهم وجمعوا حشودهم واستفرغوا في الاستنفار والاستظهار طاقتهم ومجهودهم وما لاهم على ذلك من المجاورين من ابطن شقاقه وكتم نفاقه وانساه الشيطان ما سلف من تنفيسنا عنه وقد لازم الحتف خناقه ونحن في ذلك نوسعهم امهالا ونبسط لهم في التوغل آمالا وناخذ امرهم بالاناة استدراجا لهم لا اهمالا الى ان بعدوا عن مواطن الهرب وحصل من استدراجهم الارب فوثبنا اليهم وثوب الليث اذا ظفر بصيده ونهضنا نحوهم نهوض الحازم اذا وقع عدوه في احبولة كيده وصدمتهم جيوشنا المنصورة صدمة فلت غربهم وابطلت طعنهم وضربهم وصبغت بدمائهم تربهم وحكمت السيوف فى مقاتلهم ومكنت الحتوف من صاحب رأيهم

ومقاتلهم وسلطت العدم على وجودهم وحطتهم عن سروجهم الى مصارعهم او قيودهم فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وعادوا على عادتهم خاسئين ورجعوا على اعقابهم خاسرين وما اغنى عنهم جمعهم ولا افادهم بصرهم فيما شاهدوه من قبل ولا سمعهم فركن من بقي منهم الى الفرار وعاذ ببرد الهرب من لهيب تلك السيوف الحرار وظن من انهزم منهم انه فات الرماح فتناولته بأرماح من العطش القفار فولوا والرعب يزلزل أقدامهم والذعر يقلل اقدامهم والصفاح تخطفهم من ورائهم والجراح تطمع الطير في اكلهم حتى تكاد تقع على احيائهم حتى اضحوا هشيما تلعب بهم الصبا والدبور او احياء يئس منهم اهلهم كما يئس الكفار من اصحاب القبور وصفحنا عمن نافقنا ووافقهم ولولا ذلك ما نجا ورجا عواطفنا في الابقاء على نفسه وبلاده فاجابه حلمنا وعلمنا انه في القبضة الى ما رجا فلياخذ الملك حظه من هذه البشرى التي تسر قلب الولي المحب بوادرها وتشرح صدر الصفي المحق مواردها ومصادرها والله تعالى يبهجه عنا بسماع امثالها ويديم سروره بما جلوناه عليه من مثالها * فان كان المكتوب اليه متهما بممالأة العدو كتب اليه بما يدل على التقريع والتهكم وابراز التهديد في معرض الاخبار وقد كتبت الى متملك سيس في ذلك وكان قد شهد الوقعة مع العدو كتابا يتضمن التقريع والتهكم والتهديد (فمنه) بصره الله برشده وأراه مواقع غيه في الاصرار على مخالفته ونقض عهده واسلاه بسلامة نفسه عمن روعته السيوف الاسلامية بفقده (ومنه) نعرفه انه قد تحقق ما كان من امر العدو الذي دلاه بغروره وحمله التمسك بخداعه على مجانبة الصواب في اموره وانهم استنجدوا بكل طائفة واقدموا على البلاد الاسلامية بنفوس طامعة وقلوب خائفة وذلك بعد ان قاموا مدة يشترون المخادعة بالموادعة ويسرون المصارمة في المسالمة ويظهرون في الظاهر امورا ويدبرون في الباطن امورا ويعدون كل طائفة من اعداء الدين ويمنونهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وكنا بمكرهم عالمين وعلى معالجتهم عاملين وحين تيسر مرادهم وتكمل احتشادهم استدرجناهم الى مصارعهم واستجريناهم

ليقربوا في القتل من مضاجعهم ويبعدوا في الهرب عن مواضعهم وصدمناهم بقوة الله صدمة لم يكن لهم بها قبل وحملنا عليهم حملة ألجأهم طوفانها الى ذلك الجبل وهل يعصم من امر الله جبل فحصوناهم في ذلك الفضاء المتسع وضايقناهم كما قد رأى ومزقناهم كما قد سمع وانزلناهم على حكم السيف الذي نهل من دمائهم حتى روى واكل من لحومهم حتى شبع وتبعتهم جيوشنا المنصورة تتخطفهم رماحها وتتلقفهم صفاحها ويبددهم في الفلوات رعبها ويفرقهم في القفار طعنها المتدارك وضربها ويقتل من فات السيوف منهم العطش والجوع ويخيل للحي منهم أن وطنه كالدنيا التي ليس للميت اليها رجوع ولعله قد رأى من ذلك فوق ما وصف عيانا وتحقق من كل ما جرى ما لا يحتاج أن نزيده به علما ولا نقيم له برهانا وقد علم أن أمر هذا العدوّ المخذول ما زال معنا على هذه الوتيرة وانهم ما اقدموا الا ونصرنا الله عليهم في مواطن كثيرة وما ساقتهم الاطماع في وقت ما الا الى حتوفهم ولا عاد منهم قط في وقعة الا آحاد تخبر عن مصارع الوفهم ولقد اضاع الحزم من حيث لم يستدم نعم الله عليه بطاعتنا التي كان في مهاد أمنها ووهاد يمنها وحماية عفوها وبرد رأفتها التى كدّرها بالمخالفة بعد صفوها يصون رعاياه بالطاعة عن القتل والاسار ويحمي اهل ملته بالحذر عن الحركات التي ما نهضوا اليها الا وجروا ذيول الخسار ولقد عرض نفسه واصحابه لسيوفنا التي كان من سطواتها في امان ووثق بما ضمن له التتار من نصرة وقد رأى ما آل اليه امر ذلك الضمان وجرّ لنفسه بموالاة التتار عناء كان عنه في غنى واوقع روحه بمظاهرة المغول في حومة السيوف التى تخطفت اولياءه من هنا ومن هنا واقتحم بنفسه موارد هلاك سلبت رداء الامن عن منكبيه واغتر هو وقومه بما زين لهم الشيطان من غروره فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وما هو والوقوف في هذه المواطن التى تتزلزل فيها اقدام الملوك الاكاسرة وانى لاضعاف النقاد قدرة على الثبات لوثبة الاسود الضارية والليوث الكاسرة لقد اعترض بين السهم والهدف بنحره وتعرض للوقوف بين ناب الاسد وظفره وهو يعلم اننا مع ذلك نرعى له حقوق طاعة اسلافه التي ماتوا عليها ونحفظ له خدمة

آبائه التي بذلوا نفوسهم ونفائسهم فى التوصل اليها ويجريه أهل بلاده مجرى اهل ذمتنا الذين لا نيأسهم من عفونا مهما استقاموا ونسلك بهم حكم من في أطراف البلاد من رعايانا الذين هم في قبضتنا نزحوا أو أقاموا ونحن نتحقق انه ماينسى ملازمة ربقة الحتف خناقه ولا يورد نفسه موارد الهلاك وهل يرجع الى الموت من ذاقه فيستدرك باب الانابة قبل ان يغلق دونه ويصون نفسه وأهله قبل أن تبتذل السيوف الاسلامية مصونه ويبادر الى الطاعة قبل أن يبذلها فلا تقبل ويتمسك بأذيال العفو قبل ان ترفع دونه فلا تسبل ويعجل بحمل اموال القطيعة والا كان اهله واولاده في جملة مايحمل منها الينا ويسلم مفاتح ماعدا عليه من فتوحنا والا فهو يعلم انها وجميع ما تأخر في بلاده بين يدينا ويكون هو السبب في تمزق شمله وتفرق اهله وقلع بيته من اصله وهدم كنائسه وابتذال نفسه ونفائسه واسترقاق حرمه واستخدام اولاده قبل خدمه واستقلاع قلاعه واحراق ربوعه ورباعه وتعجيل رؤية ما وعد به قبل سماعه ومن لفازان بان يجاب الى مثل ذلك او يسمح له من الامن من سيوفنا ببعض ما في يده من الممالك لينتفع بما ابقت. جيوشنا المؤيدة في يده من الخيل والخول ويعيش في الامن ببعض مانسمح له به ومن للعور بالحول والسيوف الآن مصغية الى جوابه لتكف ان ابصر سبل الرشاد او تتعوض برؤس حماته وكماته عن الاغماد ان أصر على العناد والخير يكون * ومما يحسن بسط الكلام فيه ويكون الكاتب مطلق العنان مخلى بينه وبين فصاحته موكولا الى اطلاعه وبلاغته ما يتضمن ذكر أوصاف الخيل والجوارح والسلاح وآلات الحرب وأنواع الرياضات من الصيد ورمى البندق ولعب الكرة (فمن ذلك كتاب أنشأته في أوصاف الخيل ولم يكتب به على وجه امتحان الخاطر وهو) وننهى وصول ما أنعم به من الخيل التى وجد الخير في نواصيها وادخرت صهواتها حصونا يعتصم في الوغا بصياصيها فمن أشهب غطاه النار بجلته واوطأه الليل على أهلته يتموج اديمه ريا ويتأرج ريا ويقول من استقبله في حلى لجامه هذا الفجر قد طلع بالثريا ان التفت المضايق انساب انسياب الايم وان

انفرجت المسالك من مرور الغيم كم ابصر فارسه يوما ابيض بطلعته وكم عاين طرف السنان مقاتل العدى في ظلام النقع بنور اشعته لا يستن داج في مضماره ولا تطمع الغبراء في شق غباره ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره تسابق يداه مرامي طرفه ويدرك شوارد البروق ثانيا من عطفه ومن ادهم حالك الاديم حالى الشكيم له مقلة غانية وسالفة ريم قد ألبسه الليل برده وأطلع بين عينيه سعده يظن من نظر الى سواد طرته وبياض حجوله وغرته انه توهم النهار نهرا فخاضه وألقى بين عينيه نقطة من رشاش تلك المخاضة لين الاعطاف سريع الانعطاف يقبل كالليل ويمر كجلمود صخر حطه السيل يكاد يسبق ظله ومتى جارى السهم الى غرض بلغه قبله ومن أشقر وشاه البرق بلهبه وغشاه الاصيل بذهبه يتوحش ما لديه برقيقتين وينفض وفرتيه عن عقيقتين وينزل عذار لجامه بين سالفتيه على شقيقتين له من الراح لونها ومن الرياح لينها ان جرى فبرق خفق وان اسرع فهلال على شفق لو ادرك اوائل حرب بني وائل لم يكن للوجيه وجاهة ولا للنعامة نباهة ولكان ترك اعارة سكاب لؤما وتحريم بيعها سفاهة يركض ما وجد ارضا واذا اعترض به راكبه بحرا وثبه عرضا ومن (كميت) نهد كان راكبه في مهد عندمي الاهاب شمالي الذهاب يزل الغلام الخف عن صهواته وكان نغم الغريض ومعبد في لهواته قصير المطا فسيح الخطا ان ركب لصيد قيد الاوابد واعجل عن الوثوب الوحش الاوابد وان جنب الى حرب لم يزور من وقع القنا بلبانه ولم يشك لو علم الكلام بلسانه ولم يردون بلوغ الغاية وهي غرض راكبه ثانيا من عنانه وان سار في سهل اختال براكبه كالثمل وان اصعد في جبل طار في عقابه كالعقاب وانحط في مجاريه كالوعل متى ماترق العين فيه تسهل ومتى اراد البرق مجاراته قال له الوقوف عند قدره ماانت هناك فمهل ومن حبشي اصفر يروق العين ويشوق القلب مشابهته العين كان الشمس ألقت عليه من اشعتها جلالا وكانه نفر من الدجى فاعتنق منه عرفا واعتلق احجالا ذي كفل يزين سرجه وذيل يسد اذا استدبرته منه فرجه قد أطلعته الرياضة على مراد فارسه واغناه نضار لونه ونضارته عن ترصيع قلائده وتوشيع

ملابسه له من البرق خفة وطئه وخطفه ومن النسيم لين مروره ولطفه ومن الريح هزيزها اذا ما جرى شأوين وابتل عطفه يطير بالغمز ويدرك بالرياضة مواقع الرمز ويعدو كالف الوصل في استغناء مثلها عن الهمز ومن (أخضر) حكاه من الروض تفويفه ومن الوشى تقسيمه وتاليفه قد كساه النهار والليل حلتى وقار وسنا واجتمع فيه من السواد والبياض ضدان لما اجتمعا حسنا ومنحه البازي حلة وشيه ونحلته الرياح ونسماتها قوة ركضه وخفة مشيه يعطيك افانين الجرى قبل سؤاله ولما لم يسابقه شيء من الخيل اغراه حب الظفر بمسابقة خياله كانه تفاريق شيب في سواد عذار او طوالع فجر خالط بياضه الدجى فما سجى ومازج ظلامه النهار فما انار يختال لمشاركة اسم الجرى بينه وبين الماء في السير كالسيل ويدل بسبقه على المعنى المشترك بين البروق اللوامع وبين البرقية من الخيل ويكذب المانوية لتولد اليمن بين اضاءة النهار وظلمة الليل ومن (ابلق) ظهره حرم وجريه ضرم ان قصد غاية فوجود الفضاء بينه وبينها عدم وان صرف في حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان وفعله ما تريد الكف والقدم قد طابق الحسن البديع بين ضدي لونه ودلت على اجتماع النقيضين علة كونه واشبه زمن الربيع باعتدال الليل فيه والنهار واخذ وصف حلتي الدجى في حالتي الابدار والسرار لا تكل مناكبه ولا يضل فى صحرات الجيوش راكبه ولايحتاج ليله المشرق بمجاورة نهاره الى ان تسترشد فيه كواكبه ولايجاريه الخيال فضلا عن الخيل ولا يمل الثرى الا اذا كل مشبهاه النهار والليل ولا تمسك البروق اللوامع من لحاقه بسوى الأثر فان جهدت فبالذيل فهو الابلق الفرد والجواد الذي لمحاربه العكس وله الطرد قد اغنته شهرة نوعه من جنسه عن الاوصاف وعدل بالرياح عن مباراته سلوكها في الاعتراف له جادة الانصاف فترقى المملوك الى رتب العز من ظهورها واعدها لخطبه الجنان اذ الجهاد عليها من انفس مهورها وكلف بركوبها فكلما اكمله عاد وكلما امله شره اليه فلو انه زيد الخيل لما زاد ورأى من آدابها ما دل على انها من اكرم الاصائل وعلم انها ليومي سلمه وحربه جنة الصائد وجنة الصائل وقابل احسان

مهديها بثنائه ودعائه واعدها في الجهاد لمقارعة اعداء الله واعدائه والله تعالى يشكرُ بره الذى افرده في الندى بمذاهبه وجعل الصافنات الجياد من بعض مواهبه (ومن ذلك ما قلته في وصف السيف، من تقليد) وقلدته منها مننا سيفا تلمع مخائل النصر من غمده وتشرق جواهر الفتح في فرنده واذا سابق الاجل الى قبض النفوس عرف الاجل قدره فوقف عند حده ومتى جرده على ملك من ملوك العدى وهت عزائمه وعجز جناح جيشه ان تنهض به قوادمه وعلم انه سيفنا الذي على عاتق الملك الاعز نجاده وفي يد جبار السموات قائمه (ومن ذلك صورة كتاب يتضمن ذكر الصيد ووصف الجوارح والضوارى وهو) لا زال يمينه يستنزل العصم من معاقلها ويسمع السهام الصم ما تحدث به حركات الطير عن مقاتلها ويلجيء صوادى الوحش الى سيوف اوليائه تشبيها لترقرق ماء الفرند فيها بمناهلها وننهى انه سار الى الصيد ميمنا وجه اقباله متيمنا بسعده الذي ما برح يعتلق بحباله ومعه من الجوارح كل باز شديد الاسر صحيح على ما اتصف به من الكسر ينظر من نهار ويخطر في ليل رقم به اديم نهار ذي صدر مديج ورأس متوج ومخلب خطوف ومنسر كصدغ معطوف أسرع من هوج الرياح وأمضى من عوج الصفاح ينحط على الطير من عل ويسبق الى مقاتل الوحش كل رام من بنى ثعل ومن الضواري كل حام أسبق من السهم وأخفى عند الوثبة من الوهم ذي خصر مجدول وساعد مفتول وانياب عصل وظفر اقطع من نصل ومن الفهود كل اهرت الشدق ظاهر الحذق بادي العبوس مدثرا لملبوس شثن البراثن ذي انياب كالمدى ومخالب كالمحاجن قد اخذ من الفلق والغسق اهابا وتقمص من نجل الحدق جلبابا يضرب المثل في سرعة وثوب الاجل به ويشبهه وتكاد الشمس مذ لقبوها بالغزالة من الوجل لا تطلع على وجهه يسبق الى الصيد مرامي طرفه ويفوت لحظ مرسله اليه فلا يستكمل النظر الا وهو في كفه وتتقدمه الضواري الى الوحش فاذا وثب له تعثرت من خلقه ومعنا غلمة نحن بسهامهم منها اوثق وهم باصابة شواكل المراد من كل ما ذكر احذق اذا حسر كل منهم عن نجينه ازانا القمر في القوس وان نظم رميته قيل هذا حيب

وان لم يكن ابن أوس فما لاح طائر الا وله من السهام أجل ووراءه من زجل الجوارح وجل ان اخطأ هذا اصاب ذاك وربما كان لهما استهام في تحصيله واشتراك وان سنح وحش فالسهام أدنى الى وريده من قلادة جيده فان فات فالكلب اعرف باختلاسه منه بكناسه وأسرع الى احتباسه من رجع أنفاسه والا فالفهد أسرع الى لحاقه من أجله وألزم لعنقه لو كان يعقل من عمله فظللنا بين قدير معجل او قديد مؤجل نمش باعراف الجياد كفوفنا وتقرى من ضواف الطير وأصناف الوحش ضيوفنا وبتنا بين صيد تحصل وآخر يترقب وغدونا وكان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب وقد أرسلنا اليه من ذلك ما يتحقق به ان يمنه امارنا واورى نارنا ويستدل به على حسن ظفرنا في سفرنا وانارة توفيقنا في طريقنا والله تعالى لايخلي منه مكان تأييد ويبلغه من السعادة فوق مايريد بمنه وكرمه (ومن ذلك ماقلته في صفة حصن) قد تقرط بالنجوم وتقرطق بالغيوم وسما فرعه الى السماء ورسا أصله في التخوم تخال الشمس اذا علت انها تتنقل في ابراجه ويظن من سما الى السها انه ذبالة في سراجه لا يعلوه من مسمى الطير غير نسر الفلك ومرزمه ولا يرمق متبرجات بروجه غير عين شمسه والمقل التي تطرف من أنجمه وحوله من الجبال كل شامخ تهيب عقاب الجو قطع عقابه وتقف الرياح حسرى اذا توقلت في مصاعبه تخاف العيوب اذا رمقته سلوك ما دونه من المحاجر ويتخيل الفكر صورة الترقي اليه ثم لا يبلغها حتى تبلغ القلوب الحناجر وحوله من الاودية خنادق لاتعلم منها الشهور الا بانصافها ولا تعرف فيها الاهلة الا باوصافها وطالما شحت الاحلام أن تخيل فتحه لمن سلف في المنام فكم ذي جيوش قد أمات بغصة وذى سطوات اعمل في امره الفكر فلم يفز من نظره على البعد بفرصه (ومن ذلك في وصف جيش) وسرنا بالجيش الذي لا يدرك الطرف حده ولا الوهم عده فكان ذوائب السحائب عذب بنوده وكان شوامخ الآكام مناكب ابطاله ومواكب جنوده وما قصد عدوا الا ونازلهم قبل خيله خياله وقضى عليهم وعده ووعيده قبل ان ترهف أسنته او ترعف نصاله ولهذا لمع حديده

وخفقت عذباته وبنوده قيل هذا غمام تلهبت بوارقه ودمدمت صواعقه او بحر تلاطمت امواجه وقذف الشرر ماؤه واجاجه او سيل غصت به فجاجه وعكس اشعة الشمس اضطرابه وارتجاجه وما علا جبلا الا وألحق صعوده اليه حزنه بالصعيد وما منع الريح مواجهته الا ليسمع صهيل خيله من اقصى الروم الى اقصى الصعيد (ومن ذلك) ما ذكرته في وصف العدو بالذلة والخور والوهن في قتاله وما يظهرونه من الرهج بالحركة واعداد الاهبة والاحتشاد وهو * واما رهج العدو المخذول بالحركة ورمى الصيت بها فان عدته الصياح وقوة الجبان في القول والقول يذهب في الرياح وقد علموا انهم ما اقدموا الا وكان احد سلاحهم الهرب ولا طمعوا في النجاح فكان لهم في غير النجاة ارب يبالغون في الاحتشاد والجازر لايهوله كثرة الغنم ويستكثرون من السواد وجنود من لاينفع اشبه شئ بالعدم فقوتهم ضعيفة ووطأتهم خفيفة وثباتهم اقصر من حل العقال وصبرهم اسرع من الظل في الانتقال وخيولهم لاتطيع امر اعنتها الا في الفرار ورماحهم لاتحمل نصل اسنتها الا للخور والانكسار وسهامهم لاعهد لها بالمقاتل وصفاحهم كل شئ من القضب غيرها يمكن وصفه بانه قاتل فان دلاهم الشيطان بغروره فسيبرأ منهم سريعا وان اطمعهم في اللقاء فستردهم كلام سيوفنا كاقسام الكلام الثلاثة هزيما واسيرا وصريعا (ومن ذلك في وصف الرمى بالنشاب من خطبة) وبعد فان الرمى افضل ما اعد للعدى واكمل ما افيض به على اهل الكفر رداء الردى وابلغ مايبعث الى المقاتل من رسل المنون وانفع مايقتضي به في الوغا من اعداء الدين الديون وأسرع ماتبلغ به المقاصد فيما يرى قريبا وهو أبعد ما يكون وأنكى ما تقذف به عن الاهلة شهب الحتوف وأسبق ما تدرك به الاغراض قبل ان تعرف بها الرماح أو تستقر بمكانها السيوف ما طلع في سماء النقع قوسه الاسح وبل النبل ولا استبقت الآجال وسهمه الا وكان له من بلوغها السبق من بعد والسبق من قبل ومن شرف قدره الذي دل عليه كلام النبوة ان النبي صلى الله عليه وسلم نبه على انه المراد بقوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن اسباب فضله التي أصبح بها قدره ساميا

ونحره ناميا وقطره في أفق النصر هاميا ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لفتية ممن أسلم من أسلم ارموا يا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا ومما عظمت به على الامة المنة وغدت فيه نفوس اهل الجهاد* بالفوز في الدنيا والآخرة مطمئنة قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا الرمى فان مابين الغرضين روضة من رياض الجنة ومن فضل الرمى الذي لا يصرفه التأويل ما روى من قوله صلى الله عليه وسلم من رمى بسهم في سبيل الله أخطأ أو أصاب فكانما اعتق رقبة من ولد اسمعيل ومما يرفع قدر السهم على غيره ويفضله ما روى عنه صلى الله عليه وسلم من انه يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب فى صنعته الخير وراميه ومنبله ومما حضهم به على الرمى ليجتهدوا فيه ويدأبوا قوله صلى الله عليه وسلم ارموا واركبوا وان ترموا احب الىّ من ان تركبوا ومن خصائص السهم انه ذو خطوة في الهواء وحكم نافذ فى الدماء وتصرف حتى فى الوحش السائح فى الارض والطير المحلق فى السماء يكلم بلسان من حديد ويبطش عن باع مديد ان رام غرضا طار اليه باجنحة النسور وان حمى معلما اضاف الحدق وحمى الثغور* يوجد نصره حيث فقد واذا انفصل عن أمه لم يسر من كبد الا الى كبد اتحد فعله على ما فيه من اختلاف الطباع وشرفت أجناسه بكونها أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع ومن خصائص القوس انها عقيم ذات بنين صامتة وهي ظاهرة الانين لها كبد وهي غير مجوّفة ويد لا تملك شيأ وهي في الارواح متصرفة ورجل مانقلت قدما وقبضة ما عرفت أثرا ولا عدما فهي نون ما ألف الماء وهلال ما سكن السماء وقاتلة ما باشرت الدماء ولما كان اهل هذه الفضيلة يتفاوتون في مواهبها ويتباينون في مذاهبها ويبلغ احدهم بصنعته ما يبلغه الآخر بقواه ويصل باتقانه الى ما لا يدركه مع وجود التساوي سواه وكان فلان ممن له في هذا الشان الباع المديد والساعد السديد والاتقان الذى يتصرف به في الرمي كيف شاء ويضع سهمه حيث يريد كانما سهمه بذرع القضاء موكل او للجمع بين طرفي الارض مؤهل أو لاستبرق البروق مسد اذا خطرت في حواشي السحاب المفوفة وخطر في سداه الدمقس المفتل وله المواقف التى تشق سهامه فيها الشعر ويبلغ بها من الاغراض* المتباعدة ما يشق ادراكه

على النظر فمنها انه فعل كذا وكذا (ومن ذلك في وصف كتاب) وهذا فلان قد آتاه الله في بلاغته الحكمة وفصل الخطاب ومكنه من ازمة جياد المعانى فهى تجري بامره رخاء حيث اصاب ومنحه فضيلتى التمل والعلم فاذا كتب أخذت الارض زخرفها وازينت واذا قال قال الذى عنده علم من الكتاب (ومن ذلك رسالة) انشأتها في البندق تشتمل على انواع من الاوصاف وفنون من النثر والنظم يستعين بها الكاتب على ما يشاء من انشاء قدمه في أيّ نوع أراد من الطير الواجب وهي * الرياضة أطال الله بقاء الجناب الفلاني وجعل حبه لقلب عدوه واجبا وسعده كوصف عبده للسار جالبا تبعث النفس على مجانبة الدعة والسكون وتصونها عن مشابهة الحمائم في الركون وتحضها على اخذ حظها من كل فن حسن وتحثها على اضافة الادوات الكاملة اللسن وتأخذ بها طورا في الجد وطورا في اللعب وتصرفها في ملاذ السموّ في المشاق التى يستروح اليها التعب فتارة تحمل الاكابر والعظماء في طلب الصيد على مواصلة السرى ومقاطعة الكرى ومهاجرة الاوطار ومهاجمة الاخطار ومكابدة الهواجر ومبادرة الاوابد التى لا تدرك حتى تبلغ القلوب الحناجر وذلك من محاسن أوصافهم التى يذم المعرض عنها واذا كان المقصود من مثلهم جد الحرب فهذه صورة لعب اليها منها وتارة تدعوهم الى البروز الى الملق وتحدوهم في سلوك طريقها مع من هو دونهم على ملازمة الصدق ومجانبة الملق فيعتسفون اليها الدجى اذا سجى ويقتحمون في بلوغها جرف النهار اذا انهار ويتنعمون بوعثاء السفر في بلوغ الظفر ويستصغرون ركوب الخطر فى ادراك الوطر ويؤثرون السهر على النوم والليلة على اليوم والبندق على السهام والوحدة على الالتئام ولما عدنا من الصيد الذي اتصل بعلمه حديثه وشرح له قديم امره وحديثه بقينا الى ان نشفع صيد السوانح برمى الصوادح وان نفعل في الطير الجوانح باهلة القسى ما تفعل الجوارح تفضيلا لملازمة الارتحال على الاقامة في الرحال وأخذا بقولهم

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

فبرزنا وشمس الاصيل تجود بنفسها وتشير من الافق الغربى الى جانب رمسها

وتغازل عيون النور بمقلة ارمد وتنظر الى صفحات الورد نظر المريد الى وجوه العوّد فكانها كئيب اضحى من الفراق على فرق اوعليل يقضي بين صحبه بقايا عمر بالرمق وقد اخضلت عيون النور لوداعها وهم الروض بخلع حليته المموّهة بذهب شعاعها

والطل في اعين النوّار تحسبه * دمعا تحير لم يرقأ ولم يكف
كلؤلؤ ظل عطف الغصن متشحا * بعقده وتبدي منه في شنف
يضم من سندس الاوراق في صرر * خضر ويجنى من الازهار في صدف
والشمس في طفل الامساء تنظر من * طرف غدا وهو من خوف الفراق خفى
كعاشق سار عن احبابه وهفا * به الهوى فتراآهم على شرف

الى ان نضا المغرب عن الافق ذهب قلائدها وعوضه عنها من النجوم بخدمها وولائدها فلبثنا بعد اداء الفرض لبث الاهله ومنعنا جفوننا ان ترد النوم الا تحله ونهضنا وبرد الليل موشع وعقده مرصع وأكليله مجوهر وأديمه معنبر وبدره في خدر سراره مستكن وفجره فى حشا مطالعه مستجن كأن امتزاج لونه بشفق الكواكب خليطا مسك وصندل وكان ثرياه لامتداده معلقة بامراس كتان الى صم جندل

ولاحت نجوم الليل زهرا كانها * عقود على خود من الزنج تنظم
محلقة في الجوّ تحسب انها * طيور على نهر المجرة حوّم
اذا لاح بازى الصبح ولت تؤمها * الى الغرب خوفا منه نسر ومرزم

الى حدائق ملتفة وجداول محتفة اذا خمش النسيم غصونها اعتنقت كالاحباب واذا ركب من المياه متونها انسابت في الجداول انسياب الحباب ورقصت في المناهل رقص الحباب وان لثم ثغور نورها حيته بانفاس المعشوق وان أيقظ نواعس ورقها غنته بالحان المشوق فنسيمها دان وشميمها لعرف الجنان عنوان وورودها من سهر نرجسها غير آن وطلها فى خدود الورد منبث وفي طرر الريحان حيران وطائرها غرد وماؤها مطرد وغصنها تارة يعطفه النسيم اليه فينعطف وتارة يعتدل تحت ورقائه فتحسب انها همزة على ألف مع ما في تلك

الرياض من توافق المحاسن وتباين الترتيب اذ كلما اعتل النسيم صح نشر الروض وكلما خر الماء شمخ القضيب

فكانما تلك الغصون اذا ثنت * أعطافها رسل الصبا احباب
فلها اذا اقترنت من استعطافها * صلح ومن سجع الحمام عتاب
وكانها حول العيون موانسا * شرب وهاتيك المياه شراب
فغديرها كاس وعذب مياهها * راح واضواء النجوم حباب

تحيط بها مياه نطاقها ضاف وظلال دوحها ضاف وحصاها لصفاء مائها فى نفس الأمر راكد وفي راي العين طاف اذا دغدغها النسيم حسبت ماءها بتمايل الظلال فيه ينسرح ويميل واذا اطردت عليه انفاس الصبا ظننت في تلك الغصون تارة يتموج وتارة يسيل فكانه محب هام بالغصون هوى فمثلها في قلبه وكان النسيم كلف بها من دنوها اليه فيلها عن قربه

والسرو مثل عرائس * لفت عليهن الملاء
شمرن فضل الازرعن * سوق خلاخلهن ماء
والنهر كالمرآة تبصر وجهها فيه السماء

وكان صواف الطير المبيضة بتلك الحلق خيام او ظباء باعلى الرقمتين قيام او اباريق فضة رؤسها لها فدام ومناقيرها المحمرة اوائل ما انسكب من المدام وكان رقاقها ارماح اسنتها من ذهب او شموع اسود رؤسها ما انطفى واحمره ما التهب وكالطير الجليل عدة وكصرار العمر الاول جده

من كل ابلج كالنسيم لطافة * عف الضمير مهذب الاخلاق
مثل البدور ملاحة وكبرها * عددا ومثل الشمس في الاشراق

ومعهم قسى كالغصون في لطافتها ولينها والاهلة فى نحافتها وتكوينها والازاهر في ترافتها وتلوينها بطونها مدبجة ومتونها مدرجة كانها كواكب الشولة في انعطافها او ازواق الظباء في التفافها لاوتارها عند القوادم اوتار ولبنادقها في الحواصل اوكار اذا انبسطت لطير ذهب من الحياة نصيبه وان انقبضت لرمي بدت لها انه احق بها من تصيبه ولعل ذاك الصوت زجر لبندقها ان يبطىء في

سيره او يتخطى الغرد الى غـيره او وحشة لمفارقتها افلاذ كبدها او اسف على خروج بنيها عن يدها على انها لما نبذت بنيها بالعراء وشفعت لخصمها التحذير بالاغراء •

مثـل للعقارب اذنابا معقـدة * لمن تأملهـا او حقق النظرا
ان مـدها فر منهم وعاينـه * مسافر الطير فيها وانبرى سفرا
فهو المسيء اختيارا اذ نوى سفرا * وقد رأى طالعا في العقرب القمرا

وبين البنادق كرات متفقة السرد متحدة العكس والطرد كانما خرطت من المندل الرطب او عجنت من العنبر الورد تسرى كالشهب في الظلام وتسبق الى مقاتل الطير مسددات السهام •

مثل النجوم اذا ما سرن في افق * عن الاهلة لكن نونها راء
مافاتها من نجوم الليل ان رمقت * الا ثبـات يرى فيهـا واضواء
تسري ولا يشعر الليل البهيم بها * كانهـا في جفون الليل اغفاء
وتسمع الطـير اذ تهفو قواصه * خوافقا فى الدياجي وهي صماء

تصونها عيبة كانها جرج درر او درج غرر او كمامة ثمر او كنانة نبل او غمامة وبل خالكة الاديم كانما رقمت بالشفق حلة ليلها البهيم

كانها في وصفها مشرق * تثبت منه في الدجى الانجم
او ديمة قد اطلعت قوسها * ملونا وانبعثت تسجم

فاتخذ كل له مركزا وتقاضى من الاصابة وعدا منجزا وضمن له السعد أن يصبح لمراده محرزا •

كانهم في يمن افعالهم * في نظر المنصف والجاحد
قد ولدوا في طالع واحد * واشرقوا من مطلع واحد

فسرت علينا من الطير عصابة اظلتنا من اجنحتها سحابة من كل طائر اقلع يرتاد مرتعا فوجد ولكن مصرعا واسف يبتغي ماء جماما فورده لكن السم منقعا وحلق في الفضاء يبتغي ملعبا فبات هو واشياعه سجدا للقسي وركعا فتبركنا بذلك الوجه الجميل وتداركنا اوائل القيل فاستقبل أولنا (تمـا) تم بدره وعظم في

نوعه قدره كانه برق لمع في غسق و صبح عطف على بقية الدجى عطف النسق تحسبه في اسداف المنى غرة نجح وتخاله تحت اذيال الدجى طرة صبح عليه من البياض حلة وقار وله كرة من عنبر فوق منقار من قار له عنق ظليم والتفاتة ريم ومسرى غيم يصرفه نسيم

كلون المشيب وعصر الشباب * ووقت الوصال ويوم الظفر
كان الدجى غار من لونه * فامسك منقاره ثم فر

فارسل اليه عن الهلال نجما فسقط منه ما كبر بما صغر نجما فاستبشر بنجاحه وكبر عند صياحه وحصله من وسط الماء بجناحه وتلاه (كي) نقي اللباس مشتعل شيب الراس كانه في عرانين سيبه لا وبله كبير اناس ان اسف في طيرانه فغمام وان خفق بجناحه فقلع له بيد النسيم زمام ذو عيبة كالجراب ومنقار كالحراب ولون يضيء في الدجى كالنجم ويخدع في الضحى كالسراب ظاهر الهرم كانما يخبر عن عاد ويحدث عن ارم

ان عام في زرق الغدير حسبته * مبيض غيم في اديم سماء
او طار في افق السماء ظننته * في الجو شيخا عائما في ماء
متناقض الاوصاف فيه خفة الجهال تحت رزانة العلماء

فثنى الثاني اليه عنان بندقه وتوخاه فيما بين اصل راسه وعنقه فخر كمارد انقض عليه نجم من افقه فتلقاه الكبير بالتكبير واختطفه قبل مصافحته الماء من وجه الغدير وقاربته (اوزة) حلتها دكناء وحليتها حسناء لها في الفضاء مجال وعلى طيرانها خفة ذوات السرح وخفر ربات الحجال كانما عبت في ذهب او خاضت في لهب تختال في مشيتها كالكاعب وتتأنى في خطوها كاللاعب وتصعر خدها كالظبي الغرير وتتدافع في سيرها مشي القطاط الى الغدير

اذا أقبلت تمشي نخطرة كاعب * رداح وان صاحت فصولة خادم
وان اعلقت قالت لها الريح ليت لي * خفا ذي الخوافي او قوى ذي القوادم
فانعم بها في البعد زاد مسافر * واحسن بها في القرب تحفة قادم

فلوى الثالث جيده اليها وعطف بوجه قوسه عليها فلجت في ترفعها ممعنة ثم نزلت على

حكمه مذعنة فاعجلها عن استكمال الهبوط واستولى عليها بعد استمرار القنوط وجارتها (لقلقه) تحكي لون وشيها وتصف حسن مشيها وتربي عليها بغرتها وتنافسها في المحاسن كصفرتها كانها مدامة قطبت بمائها أو غمامة شقت عن بعض نجوم سمائها

بغـرة بيضـاء ميمونة * تشرق في الليل كبدر التمام
وان تبدت في الضحى خلتها * في الحلة الدكناء برق الغمام

فنهض الرابع لاستقبالهـا ورماها عن فلك سـعده بنجم وبالها فجدت في العلو مغدة وتطاردت أمام بنده ولولا اطراد الصـيد لم تك نده وانقض عليها بين يديه شهاب حتفها وادركها الاجل لخفة طيرانها من خلفها فوقعت من الافق في كفه ونفرت بقايا صفها عن صفه وأتت في أثرها (أنيسة) آنسه كانها العذراء العانسـة والادماء الكانعة عليها خفر الابكار وخفة ذوات الاوكار وحلاوة المعاني التى تجلي على الافكار ولهـا انس الربيب وادلال الحبيب وتلفت الزائر المريب من خوف الرقيب ذات عنق كالابريق او الغصن الوريق قد جمع صفرة البهار الى حمرة الشقيق وصدر بهي الملبوس شهي الى النفوس كأنما رقم فيه النهار بالليل او نقش فيـه العاج بالآبنوس وجناح يحجبها من العطب يحكي لونه المندل الرطب لولا أنه حطب

مدبجة الصـدر تفويفه * اضاف الى الليل ضوء النهار
لهـا عنق خاله من رآه * شـقائق قد وشحت بالبهار

فوثب الخامس منها الى الغنيمة ونظم في سلك رميه تلك الدرة الثمينة وحصـل بتحصيلها بين الرماة على الرتبة الجسيمة واتى على صرتها (حدج) يسبق همته جناحه ويغلب خفق قوادمه صياحه مدبج المطا كانما خلع حلة منكبيه عن القطا ينظر من لهب ويخطر على رجلين من ذهب

يزور الرياض ويجفو الحياض * ويشبه في اللون كدر القطا
ويهوى الزروع ولا ينثني * ولا يرد المـاء الا خطا

فبدره السادس قبل ارتفاعه وأعان قوسه بامتداد باعه نخر على الألاءة كبسطام ابن قيس وانقض عليه راميه فحصـله بحذق وحمله بكيس وتعذر على السابع

مرامه ونبابه عن بلوغ الارب مقامه فصعد هو ورب له الى جبل وثبت في موقفه من لم يكن له بمرافقتهما قبل فعن له (نسر) ذوقوادم شداد ومناسر حداد كأنه من نسور لقمان بن عاد تحسبه في السماء ثالث أخويه وتظنه في الفضاء قبته المنسوبة اليه قد خلق كالفقراء راسه وجعل مما قصر من الدلوق الدكن لباسه واشتمل من الرياش العلي ازارا واختار العزلة فلا تجد له الا في قنن الجبال الشواهق مزارا قد شابت نواصي الليالي وهو لم يشب ومضت الدهور وهو من الحوادث في معقل أشب

مليك طيور الارض شرقا ومغربا * وفي الافق الاعلى له اخوان
له حال فتاك وحلية ناسك * واسراع مقدام وفترة وان

قد دنا من مطاره وتوخى ببندقة عنقه فوقع في منقاره فكانما هد منه صخرا أو هدم منه بناء مشمخرا ونظر الى رفيقه مبشرا له بما امتاز به عن فريقه واذا به قد أظلته عقاب كاسر كانما اضلت صيدا أفلت من المناسر ان حطت فسحاب انكشف وان طارت فكان قلوب الطير رطبا ويابسا لدي وكرها العناب والحشف بعيدة مابين المناكب اذا اقلعت لجت في علو كأنما تحاول ثارا عند بعض الكواكب

ترى الطير والوحش في كفها * ومنقارها ذا عظام مزاله
فلو امكن الشمس من خوفها * اذا طلعت ما تسمت غزاله

فوثب اليها الثامن وثبة ليث قد وثق من حركاته بنجاحها ورماها باول بندقة فما أخطأ قادمة جناحها فاهوت كعود صرع أو طود صدع قد ذهب باسها وتذهب بدمها لباسها وكذلك القدر يخادع الجو عن عقابه ويستنزل الاعصم من عقابه فحملها بجناحها المهيض ورفعها بعد الترفع في اوج جوها من الحضيض ونزلا الى الرفقة جذلين بربح الصفقة فوجد التاسع قد مر به (كركي) طويل السفار سريع النفار شديد العراق كثير الاغتراب يشتو بمصر ويصيف بالعراق لقوادمه في الجو هفيف ولاديمه لون سماء طرأعليها غيم خفيف تحن الى صوته الجوارح وتعجب من قوته الرياح البوارح له أثر حمرة في رأسه كرمض جمر تحت رماد وبقية جرح تحت ضماد او فص عقيق شقت عنه بقايا ثماد ذو منقار كسنان

وعنق كعنان كانما ينوس على عودين من آبنوس

اذا بدا في افق مقلعا * والجوّ كالمـاء تفاويفه

حسبته فى لجة مركبا * رجلاه فى الافق مجاديفه

فصبر له حتى حاذاه مجليا وعطف عليه مصليا فخر مضرجا بدمه وسقط مشرفا على عدمه طالما أفلت لكر الكواسر من أظفار المنون وأصابه القدر بحبة من حمأ مسنون فكثر التكبير من أجله وحمله راميه من وجه الأرض برجله وحاذاه (غرنوق) حكاه في زيه وقدره وامتاز عنه بسواد رأسه وصدره له ريشتان ممدودتان من رأسه الى خلفه معقودتان من أذنيه مكان شنقه

له من الكركيّ أوصافه * سوى سواد الصدر والرأس

ان شال رجلا وانبرى قائما * ألفيتــه هيئــة برجاس

فاصغى العاشر له منصتا ورماه ملتفتا فخر كأنه صريع الالحان أو نزيف بيت الحان فاهوى الى وجله بيده وأيده وانقض عليه انقضاض الكاسر على صيده وتبعه في المطار (صوغ) كأنه من النضار مصوغ تحسبه عاشقا قد مد صفحته أو بارقا قد بث لقحته

طويلة رجلاه مسودّة * كأنمـا منقاره خنجر

مثل عجوز رأسها أشمط * جاءت وفي قمها معجر

فاستقبله الحادي عشر ووثب ورماه حين حاذاه من كثب فسـقط كفارس تقنطر عن جواده أو وامق أصيبت حبـة فؤاده فحمله بساقه وعدل به الى رفاقه واقترن به (مرزم) له في السماء سمي معروف ذو منقار كصدغ معطوف كان رياشه فلق اتصل به شفق او ماء صاف عاق باطرافه علق

له جسم من الثلج * على رجلين من نار

اذا أقلع ليــلا قلت برق في الدجى سار

فانحاه الثاني عشر ميما ورماه مصمما فأصابه في زوره وحصله من فوره وحصل له من السرور ما خرج به عن طوره والتحق به (سبيطر) كانه مدية ميطر يخط كالسيل ويكر على الكواسر كالخيــل ويجمع من لونه بين ضدين يقبـل

منهما بالنهار ويدبر بالليل يتلوى في منقاره الايم تلوي التنين في الغيم

تراه في الجو ممتدا وفي فمه * من الافاعي شجاع أرقم ذكر

كانه قوس رام عنقــه يدها * ورأسه رأسها والحيــة الوتر

فصوّب الثالث عشر اليه بندقه قطع لحيه وعنقه فوقع كالصرح الممرد أو الصراط الممدد واتبعه (عناز) أصبح في اللون ضده وفي الشكل نده كانه ليل ضم الصبح الى صدره او انطوى على هالة بدره

تراه في الجو عند الصبح حين بدا * مسود أجنحة مبيض حيزوم

كاسود حبشيّ عام في نهر * وضم في صدره طفلا من الروم

فنهض تمام القوم الى المتمة وأسفر عن نجح الجماعة تلك الليلة المدلهمة وغدا ذلك الطير الواجب واجبا وكمل العدد به قبل أن تطلع الشمس عينا او تبرز حاجبا فيالها ليلة حصرنا بها الصوادح في الفضاء المتسع واقيت فيها الطير ما صارت به من قبل على كل شمل مجتمع وأصبحت أشلاؤها على وجــه الارض كفرائد خانها النظام او سرب كان رقابهم من اللين لم تخلق لمن عظام واصبحنا مثنين على مقامنا منثنين بالظفر الى مستقرنا ومقامنا داعين للمولى جهدنا مدّعين له قبلنا أو ردّنا حاملين ما صرعنا الى بين يديه عاملين على التشرف بخدمته والانتماء اليه

فانت الذي لم يلف من لا يوده * ويدعو له في السر أو يدعي له

فان كان رمي أنت توضح طرقه * وان كان جيش انت تحمي رعيله

والله تعالى يجعل الآمال منوطة به وقد فعل ويجعله كهفا للاولياء وقد جعل * انما اثبت هذه الرسالة بكمالها لكثرة ما اشتملت عليه من الاوصاف ولتعلق بعضها ببعض (فاما التقاليد والتواقيع والمناشير وما يتعلق بذلك) فالاحسن فيها بسط الكلام وتعتبر كثرته وقلته بحسب الرتب ويجب أن يراعى فيها أمور منها براعة الاستهلال بذكر الرتبة أو الحال وقــدر النعمة أو لقب صاحب التقليد أو اسمه بحيث لا يكون المطلع أجنبيا من هذه الاحوال ولا بعيدا منها ولا مباينا لها ثم يستصحب ما يناسب الغرض ويوافق المقصد من اول الخطبة الى آخرها ويحسن ان يكون الكلام منقسما في التقليد على أربعة أقسام متقاربة المقادير فالربع الاول

الخطبة والثاني ذكر موقع الانعام في حق المقلد وذكر الرتبة وتفخيم أمرها * والثالث في أوصاف المقلد وذكر ما يناسب تلك الرتبة ويناسب حاله من عدل وسياسة ومهابة وبعد صيت وسمعة وشجاعة ان كان نائبا ووصف العدل والرأى وحسن التدبير والمعرفة بوجوه الاموال وعمارة البلاد وصلاح الاحوال وما يناسب ذلك ان كان وزيرا وكذلك في كل رتبة بحسبها * والرابع في الوصايا وهذه هي القاعدة في مثل ذلك ومنها ان تراعي المناسبة وما يقتضيه الحال فلا يعطى أحدا فوق حقه ولا يصفه باكثر مما يراد من مثله ويراعي ايضا مقدار النعمة والرتبة فيكون وصف المنة بها على مقدار ذلك ومنها ان لا يصف المتولي بما يكون فيه تعريض بالمعزول وتنقيص له فان ذلك مما يوغر الصدور ويورث الضغائن في القلوب ويدل على ضعف الآراء في اختيار الاول وله ان يصف الثاني بما يحصل به المقصود من غير تعريض بالاول ومنها أن يتخير الكلام والمعاني فانه مما يشيع ويذيع ولا يعذر المقصر في ذلك بعجلة ولا ضيق وقت فان مجال الكلام عليه متسع والبلاغة تظهر في القليل والكثير والامر الجاري في ذلك على العادة معروف وفى أيدي الناس مما كتبت فيه شيء كثير لكن تقع اشياء خارجة عن العادة فيحتاج الكاتب الى التصرف فيها على ما يقتضيه الحال (فمن ذلك تقليد كتبته لمتملك سيس باقراره على ما قاطع النهر من بلاده وهو) الحمد لله الذي خص ايامنا الزاهرة باصطناع ملوك الملل وفضل دولتنا القاهرة باجابة من سأل بعض ما احرزته لها البيض والاسل وجعل من خصائص ملكنا اطلاق الممالك واعطاء الدول والمن بالنفوس التي جعلها النصر لنا من جملة الخول واغرى عواطفنا بتحقيق رجاء من مد الى عوارفنا كف الامل وافاض بمواهب نعمائنا على من اناب الى الطاعة حلل الأمن بعد الوجل وانتزع بآلائنا لمن تمسك بولائنا ارواح رعاياه من قبضة الاجل وجعل برد العفو عنه وعنهم بالطاعة نتيجة ما اذاقهم العصيان من حرارة الغضب اذ ربما صحت الاجسام بالعلل نحمده على نعمه التي جعلت عفونا ممن رجاه قريبا وكرمنا لمن دعاه باخلاص الطاعة مجيبا وبرنا لمن اقبل اليه منيبا بوجه الامل مثيبا

وبأسنا مصيبا لمن لم يجعل الله له في التمسك بمراحمنا نصيبا ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم دم من تمسك بزمامها وتحسم مواد من عاندها بانتقام حسامها وتفصم عرى الاعناق ممن اطمعه الغرور في انفصال احكامها وانفصامها وتقصم من قصد اطفاء ما اظهره الله من نورها وانقطاع ما قضاه من دوامها وتجعل كلمة حملتها هي العليا فلا تزال اعناق جاحديها فى قبضة اوليائها وتحت أقدامها ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بالهدى ودين الحق الى كل أمه المنعوت فى الكتب المنزلة بالرأفة والرحمه المخصوص مع عموم المعجزات بخمس منهن الرعب الذي كان يتقدمه الى من قصده ويسبقه مسيرة شهر الى من أمه المنصوص في الصحف المحكمة على جهاد أمتـه الذى لا حياة لمن لم يتمسك منهم بذمته صلى الله عليه وعلى آله وصحبـه الذين فتحوا بدعوته الممالك واوضحوا بشرعته الى الله المسالك وجلوا بنور سنته عن وجه الزمن كل حال حالك وأوردوا من كفر بربهم ورسله موارد المهالك ووثقوا بما وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم حين زوى له مشارق الارض ومغاربها من ان ملكهم سيبلغ الى ما زوى الله له من ذلك صلاة لا تزال لها الارض مسجدا ولا يبرح ذكرها مغيرا في الآفاق ومنجدا ما استفتحت ألسنة الاسنة النصر باقامتها وأبادت اعداءها باستدامتها وسلم تسليما كثيرا (وبعـد) فانه لما آتانا الله ملك البسيطة وجعل دعوتنا باعثة بممالك الاقطار محيطة ومكن لنا في الارض وانهضنا من الجهاد في سبيله بالسنة والفرض وجعل كل يوم تعرض فيه جيوشنا من أمثلة يوم العرض واطلتنا بوادر الفتوح واطلت على الاعداء سيوفنا التى هى على من كفر بالله وكفر بالنعمة دعوة نوح وايدنا بالملائكة والروح على من جعل الواحد سبحانه ثلاثة فانتصر بالاب والابن والروح والقت الينا ملوك الاقطار السلم وبذلت كرائم بلادها وتلادها رغبة في الالتجاء من عفونا الى ظل اعلى من علم وتوسل من كان منهم يظهر الغلظة بالذلة والخضوع وتوصـل من كان منهم يبدي القوة بالاخلاص الذي رأوه لهم اقوى الجنن واوقى الدروع عاهـدنا الله تعالى ان لا نرد منهم آملا ولا نصد عن مشارع كرمنا آهلا ولا نخيب من احساننا راجيا

ولا نخلي عن ظل برنا لاجيا علما ان ذلك شكر للقدرة التي جعلها الله لنا على ذلك الآمل ووثوقا بانه حيث كان في قبضتنا متى ما نشاء نجمع عليه الأنامل اللهم الا ان يكون ذلك اللاجي اغل مسرا وعلى عداوة الاسلام مصرا فيكون هو الجاني على نفسه والجاني على موضع رمسه والمفرط في مصلحة يومه وغده ويتذكر عداوة امسه ولما كان من تقدم بالمملكة الفلانية قد زين له الشيطان اعماله وعقد بحبال الغرور آماله وحسن له التمسك بالتتار الذين هم بمهابتنا محصورون في ديارهم مأسورون في حبائل ادبارهم عاجزون عن حفظ ما لديهم قاصرون عن ضبط ما استلبته سرايانا المنصورة من يديهم ليس منهم الا من له عند سيوفنا ثار ولها في عنقه آثار ومن يعلم أنه لابد له عندنا من خطتي خسف اما القتل أو الاسار وحين تمادى المذكور في غيه وحمله الغرور على ركوب جواد بغيه أمرنا جيوشنا فجاست خلال تلك الممالك وداست حوافر خيلها ما هنالك وساوت في عموم القتل والاسر بين العبد والحر والمملوك والمالك وألحقت رواسي جبالهم بالصعيد وجعلت حماتهم كزروع فلاتهم منها قائم وحصيد فاسلمهم الشيطان ومر وتركهم وفر وماكرهم وماكر وأعلمهم أن موعدهم الساعة والساعة أدهى وأمر وأخلفهم ما ضمن لهم من العون وقال لهم اني بريء منكم اني أرى مالا ترون وكان الملك فلان ممن يريد طرق النجاة فلم ير اليها بسوى الطاعة سبيلا ويأمل أسباب النجاح فلم يجد عليها غير صدق الانتماء دليلا فابصر بالخدمة موضع رشده وأدرك بسعيه نافر سعده وأراه الاقبال كيف تثبت قدمه في الملك الذي زلت عنه قدم من سلف وأظهر له الاشفاق على رعاياه مصارع من أورده سوء تدبير أخيه موارد التلف وعرفه التمسك باحساننا كيف احتوت يده على مالم يبق العصيان في يد اخيه منه الا الاسى والاسف وحسنت له الثقة بكرمنا كيف يجمل الطلب واعلمته الطاعة كيف تستنزل عوارفنا عن بعض ما غلبت عليه سيوفنا وانما الدنيا لمن غلب وانتمى الينا فصار من خدم ايامنا وصنائع نعمائنا وقطع علائقه من غيرنا فلجأ منا الى ركن شديد وظل مديد ونصر عتيد وحرم يؤوي آماله اليه وكرم تقر نضارته ناظريه واحسان يمتعه بما اقره

عطاؤنا في يديه وامتنان يضع عنه اصره والاغلال التى كانت عليه اقتضى احساننا ان يقضي له عن بعض ماحلت جيوشنا ذراه وحلت سطوات عساكرنا عراه واضعفت عزمات سراياانا قواه ونشرت طلائع جنودنا ماكان ستره صفحنا عنهم من عورات بلادهم وطواه وان نخوله بعض ما وردت خيولنا مناهله ووطئت جيادنا غاربه وكاهله وسلكت كماتنا فملكت داره وآهله وان يبقى مملكة هذا البيت الذي مضى سلفه في الطاعة عليه ويستمر ملك الارض الذي اهمل السعي في مصالحه بيديه ليتيمن رعاياه به ويعلموا انهم امنوا على ارواحهم واموالهم بسببه ويتحققوا ان اثقالهم بحسن توصله الى طاعتنا قد خفت وان بوادر الامن بلطف توسله الى مراضينا قد اطافت بهم وحفت وان سيوفنا التى كانت مجردة على مقاتلهم بجميل استعطافه قد كفتهم بأسها وكفت وان سطواتنا الحاكمة على ارواحهم قد عفت عنهم بملاطفته وعفت فرسم ان يقلد كيت وكيت من المملكة الفلانية ويستقر بيده استقرارا لاينازع في استحقاقه ولا يعرض فيما سبق من اعطائه واطلاقه ولا يطالب عنه بقطيعة ولا يطلب منه بسببه غير طوية مخلصة ونفس مطيعة ولا يخشى عليه يد جائرة ولا سرية في طلب الغرة سائرة ولا يطرق كناسه اسد جيوش مفترسة ولاسباع نهاب مختلسة بل تستمر بلاده المذكورة في ذمام رعايتنا وحصانة عنايتنا وكنف احساننا ووديعة برنا وامتناننا لاتطمح اليها عين معاند ولا يمتد اليها الاساعد مساعد وعضد معاضد فليقابل هذه النعمة بشكر الله الذي هداه الى الطاعة وصان باخلاص الطوية ولاية نفسه ونفائس بلاده من الاضاعة وليقرن ذلك باسفاء موارد المودة واضفاء ملابس الطاعة التي لاتزداد بحسن الوفاء الاجده واستمرار المناصحة في السر والعلن واجتناب المخادعة ما ظهر منها وما بطن واداء الامانة فيما استقر معه الحلف عليه ومباينة ما يخشى ان نتوجه بسببه وجه عتب اليه واستدامة هذه النعمة بحفظ اسبابها واستقامة أحوال هذه المنة برفض موجبات الكدر واجتنابها واخلاص النية التي لاتعتبر ظواهر الاحوال الصالحة الا بها ❊ ومن تقليد كتبته لسلامس بمملكة الروم حين ورد كتابه في شوال وذلك قبل حضوره ❊ اوله الحمد لله الذي أيدنا بنصره وامدنا من جنود

الظفر بما لم يؤت ملك في عصره وجعل مهابتنا قائمة في جهاد عدوّ الدين ان قرب مقام كسره وان بعد مقام حصره ونشر دعوة ملكنا في الاقطار كلها اذا اقتصرت دعوة غيرنا من ملوك الامصار على مصره وانجد من نادانا بلسان الاخلاص من جنود الله وجنودنا بالجيش الذي لم تزل ارواح العدا باسرها في اسره وعضد من تمسك بطاعة الله وطاعتنا من اجابة عساكرنا بما هو اقرب الى مقاتل عدوه من بيضه المرهفة وسمره واعاد بنا من خفوق الدين كل ضالة ملك ظن العدوّ ان امره غالب عليها والله غالب على امره فجنودنا الى نصرة من دعاها بالايمان اقرب من رجع نفسه اليه واسرع من رد الصدى جوابه عليه واسبق الى عدو الدين من مواقع عيانه والقدر على التصرف في ارواح اهل الشرك من تصرف يد الكميّ في عنانه واذبّ عن حمى الدين من الجفون عن نواظرها واضرى في اغتيال نفوس المعتدين من اسود عنت الفرائس لكواسرها قد عودها النصر الالهي ان لا تسل ظباها فتغمد حتى تستباح ممالك وضمن لها الوعد المحمدي انها الطائفة الذين لا يزالون ظاهرين الى يوم القيامة حتى يأتي امر الله وهم على ذلك نحمده على نعمه التى لم نزل نصون بها حمى الدين ونصول ويورد باسها من انتصر بنا مورد عز بحرمة لمع الاسنة فوقه فليس لشيطان من العدى اليه وصول (ومنه) وبعد فان اولى ما اصغت عزائمنا الشريفة الى نداء اخلاصه واجابت مكارمنا العميمة دعاء انتمائه بالولاء واختصاصه وقابلت مراسمنا استنصاره في الدين بالنفير لاعانته على ما ظفرنا باقتلاعه من يد الكفر واقتناصه وتكفلت له مهابتنا بالامن على ملك مذ وسمه باسمنا الشريف يئس العدى من استخلاصه واجيبت كتبه في الاستنجاد بسرعان الكتائب ولمعان القواضب وتتابع امداد جيوشنا التى تنوء بحملها كواهل المشارق وغوارب المغارب وتدفق امواج عساكرنا التي ينشد طلائعها ملوك العدى اين الفرار ولا مفرّ لهارب وتألق بروق النصر من خفق الويتنا الشاهدة بان قبيلنا اذا ما التقى الجمعان اول غالب (ومنه) وفوضت اليه مراسمنا الحكم في الرعايا بالعدل والاحسان وقلدته اوامرنا من عقود النظم في تلك الممالك ما تود حباء الملوك

لو حلت بدره معاقد التيجان وعلقت به من الاوامر ما بنا تنفذ مواقعه وكذا الامور المعتبرة لا تنفذ الا بسلطان من القى الله الايمان في قلبه وهداه الى دين الاسلام فأصبح فيه على بينة من ربه واراد به خيرا فنقله من حزب الشيطان الى حزبه وانقذه بطاعته من موارد الهلاك بعد ان كان قد اذن بحرب من الله ورسوله ولقد خسر الدنيا والآخرة من آذن الله بحربه وايقظه من طاعتنا التي اوجبها على الامم لما أبصر به رشده ورأى قصده وعلم به ان الذي كان فيه كسراب بقيعة لم يجده شيئا وان الذي انتقل اليه وجد الله عنده وانهضه من موالاتنا بما حتم به من النهوض على كل من كان مسلما واخرجه بنور الهدى من عداد اعدائه الذين تركهم خوفنا كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما واراه من الرشد ما علم به ان الله تعالى اورثنا ملك الاسلام فبطاعتنا يتم الانتماء اليه واعطانا مقاليد البسيطة فمن اغتصب منها شيئا انتزعه الله بجنوده المسومة من يديه فلجأ من ابوابنا العالية الى الظل الذي يلجأ اليه كل ذي منبر وسرير ورجا من كرمنا الاعتصام بجيوشنا التي ما رمينا بها عدوا الا ظن ان الرمال تسيل والجبال تسير وتحيز منا الى قبة الاسلام وانتصر بسيوفنا التي هو يعلم كيف تسلبها على العدى الاحلام ومت الينا بذمة الاسلام وهي عندنا ابر الذمم وطلب تقليده الحكم منا من عرف بادارته النظرات الصادقة انه كان يحسب الشحم فيمن شحمه ورم وعقد بنا بناء رجائه وهل لمسلم عن ملك الاسلام من معدل وانزل بنا ركائب آماله وهل بعد رامة لمرتاد من منزل فتلقت نعمتنا كرائم قصده بالترحيب واحلت وفادة انتمائه بالحرم الذي شأوه بعيد ونصره قريب وتسارعت الى نصرته جنودنا التي ايامها مشهورة في عدوها وآثارها مشكورة في رواحها وغدوها واعلامها منصورة في انتزاحها ودنوها وتتابعت يتلو بعضها بعضا تتابع الغمام المتراكم والموج المتلاطم تقدم عليه بالنصر القريب من الامد البعيد وتعلم بوادرها ان طلائعها عنده وساقتها بالصعيد ولما كان فلان هو الذي اراد الله به من الخير ما اراد ووطد له بعنايته اركان الرشاد وشاد وجعل له بعد الجهل به علما وتداركه برحمته فما امسى للاسلام عدوا حتى اصبح هو

ومن معه له سلما قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وبكرمه العميم فليفسحوا صدورهم ويشرحوا وبارشاده الجلي وهدايته فليدعوا قومهم الى ذلك وينصحوا وحين وضحت له هذه الطرق أرشدته من خدمتنا الشريفة الى الطاعة ودلته على موالاة ملك الاسلام التي من لم يتمسك بها فقد فارق الجماعة فان الله تعالى قرن طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بطاعة أولي الامر وحث على ملازمة الجماعة في وقت يكون المتمسك فيه بدينه كالقابض على الجمر وهذا فعل من اراد الله به خيرا وسعى من يحسن في دين الله سيرة وسيرا ولذلك اقتضت آراؤنا الشريفة امضاء عزمه على الجهاد بالانجاد وانفاذ سهمه في اهل العناد بالاسعاف والاسعاد وأرسلنا الجيوش الاسلامية كما تقدم شرحه يطوون الضحاضح ويستقوبون المدى النازح ويأخذون كل كمي فلو استطاع السماك لم يتسم بالرامح ويحتسبون الشقة في طلب عدو الاسلام علما انهم لا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم به عمل صالح فرسم بالامر الشريف لا زال يهب الدول ويقلد أجياد العظماء ما تود لو تحلت ببعض فرائده تيجان الملوك الاول ان يفوض اليه نيابة الممالك الفلانية تفويضا يصون به قلاعها ويصول بمهابته على من حاول انتزاعها من يده واقتلاعها ويجريها على ما ألفت ممالكنا من أمن لا يروع سربه ولا يكدر شربه ولا يوجد فيه باغ يخاف السبيل بسببه ولا من يجرد سيف بغي وان جرده قتل به وليحفظ من الاطراف ما استودعه الله وهذا التقليد الشريف حفظه وليعمل في قتال مجاوريه من العدى بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظه (ومنه) وليعلم ان جيوشنا في المسير اليه متى قصد عدوا سابقت خيولنا خيالها وجارت جيادها ظلالها وأبت سنابكها أن تجعل غير جماجم الاعداء نعالها وها هي قد تقدمت وأقدمت ونهضت لانجاده فلو سامها أن تخوض البحار في سبيل الله لخاضت أو تصدم الجبال لصدمت (ومنه) والشرع الشريف مهمه المقدم وأمره السابق على كل ما تقدم فليعل مناره ويستشف في اموره انواره وينفذ أحكامه ويعاضد حكامه ومن عدل عن

حكمه معاندا أو ترك شيئا من أحكامه جاحدا فقد برئت الذمة من دمه حتى يفئ الى امر الله ويرجع عن عناده وينيب الى الله فان الله يهدي اليه من اناب وهو الذى يقبل التوبة عن عباده (ومن ذلك من تقليد في الفتوة) نحمده على ما منحنا من نعم شتى ووهبنا من علم وحلم غدونا بهما أشرف من أفتى في الكرم وفتى وآتانا ملك خلال الشرف الذي لا ينبغي لغير ما اختصنا به من الكمال ولا يتأتي وخصصنا به من رفع الطاعة الى سماء النعم يتبوأون من جنان الكرم حيث شاؤوا وغيرهم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى ونشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة من انتمى في فخار ابوة التقى الى حسب على وانتهى فى بنوة المروءة الى سبب قوي ونسب زكى وارتدى حلل الوقار بواسطة الفتوة عن خير وصي عن اشرف نبي ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي نور شريعته جلي وجاه شفاعته ملي وبسيفه وبه حاز النصر والشرف من انتمى اليه فلا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي (وبعد) فان أولى من لبى احساننا نداء وده وربى امتناننا نتائج ولائه الموروثة عن ابيه وجده ورقاه كرمنا الى رتبة عليا يقف جواد الامل عن بلوغها عند حده وتلقت كرامتنا وقد قصده بالترحيب وأنزلت جار رحابه من مصر نصرها بالحرم الامن والربيع الخصيب وأدنت لامله ما نأى من الاغراض حتى بلغه بفضله سهم اجتهاده المصيب وأعدت له من حلل الجلالة ما هو أبهى من رداء السماء التي يزداد على الابد جدة برده القشيب وخصه لابتناء المجد باجل بنوة جعلت له في ارث خلال الشرف اوفى حظ واجزل نصيب من سمت منابر المجد بذكره واتسمت اسرة الحمد بشكر اوصافه ووصف شكره واختالت مواكب الثناء بحسن خلاله واجتازت كواكب السنا اقبال طوالعه وطوالع اقباله وتمسك من طاعتنا بامتن اسباب الهدى واعتصم بعروة موالاتنا فاوطاه الوثوق بها رقاب العدى واتصف بمحاسن الشيم في مودتنا فاضحى فتى السن كهل الحلم يهتز للندى وانتمى الينا فاصبح لدينا ملكا مقربا وأوجب من حقوق الطاعة علينا ما أمسى به عندنا مع جلالة الابناء ابنا وغدونا له مع شرف الآباء في نسب الفخر العريق أبا ونشأ في مهاد

الملك فسما به العلم والعلم والسيف والقلم والبأس والكرم واعتزى الى ابوة حنوّنا بنبوة رجائه فتشبه بعدل أيامنا ومن أشبه أباه فما ظلم وتحلى بصدق الولاء وهو أول مايطلب في سر هذا النسب ويعتبر وتخلى لنكاية عدو الاسلام بلطف مكايده اذ السيوف تحز الرقاب وتعجز عما تنال الابر ولما كان فلان الذي نظم بموالاتنا عقود مجده وزاد في طاعتنا على ما ورث من مكارم أبيه وجده وساد الملوك في اقبال شبابه وصان ملك أبيه عن عوارض أوصابه باتباع ما أوصى به وانفت صوارمه ان تكون لغير جهاد أعداء الله معده وعزائمه أن تتخذ عدو الله وعدوه أولياء يلقى اليهم بالموده وسهامه أن تسدد الا الى مقاتل العدى واسنته أن يبل لها من غير مناهل صدور الكفر صدى مع اجتماع هلال الشرف بشرف خلاله وافتراق أسباب السرار عن هالة كماله وسؤاله ما ليس لغيره أن يمد اليه يدا والتماسه من كرمنا العميم أجل ما نحل والد ولدا وانه وقف على قدم الرجاء الثابت ومت بقدم غروس الولاء التى أصلها في روض المودة ثابت وقال أسأل الله وأسأل سلطان الارض القائم من جهاد أعداء الله بالسنة والفرض فاتح الامصار الذى لم تزل سيوفه تهاجر عن غمودها في سبيل الله الى أن صار له من الملائكة الكرام أنصار الذي شرف الله شرف الفتوة بانتمائها اليه وأعلى قدر بنوة المروءة باتصالها به عن الخلفاء الراشدين عن أب فأب عن اميرالمؤمنين عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه وأورثه من خلقه الكرم والباس فتحليا منه باجل مواف وأكمل مواقق ومنحه بحفظ العهد الذى من خصائصه ما عهد به اليه النبي الامي من انه لايحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق اعز الله سلطانه واوطأ جياده معاقل الكفر واوطانه ان يتقبل قصدي بقبول حسن ويقبل بوجه كرمه على املي الذي لم يقعد به عن فروض الطاعات وسنها وسن وينظمني في سلك عقود الفتوة ملتزما باسبابها متسما بطاعته التي هى اكمل انسابها متصفا بموالاته التي لايثبت لها حكم الا بها آتيا بشروط خدمته التي من لم يأت بها على ما يجب فما أتى البيوت من ابوابها فاستخرنا الله تعالى في عقد لواء هذا الفخار لمجده نخار ونظمناه لعقد هذا المقام الكريم واسطة لمثله كان رتبتها الادخار

ولذلك رسم بالامر الشريف لا زال جوده يعلى الجدود ان يصل نسبه بهذا النسب الكريم ويعقد حسبه في الفتوة باواخي هذا الحسب الصميم ويعرف نسبه باصالة هذه الابوة التي هى الا عن مثله عقيم ويفاض عليه شعار هذا الخلق المتصل عن اكرم وصي بمن قال الله في حقه وانك لعلى خلق عظيم فليحل هذه الهضبة التي اخذت من افق العز بالمعاقد ويحل هذه الرتبة التى دون بلوغها من انواع الفراقد الف راقد ويجر رداء الفخر على اهداب الكواكب ويزاحم بمواكب مجده النجوم على ورود نهر المجرة بالمناكب وليصل شرف هذه النسبة من جهته بمن رآه اهلا لذلك وليفت في الفتوة بما علم من مذهبها الذي انتمى فيه منا الى مالك وليطل على ملوك الاقطار بهذه الرتبة التى تفانى الرجال على حبها ويصل على صروف الاقدار بهذه الغاية التى جعلته وهى حزب الله من حزبها وليصن سر هذا الفضل العميم بايداعه الى اهله وانتزاعه ممن لم يره اهلا لحمله وفيما اوردته من هذه الانواع كفاية في ذلك وما ناسبه (فاما الكتب الاخوانية) والكتب التى تعمل رياضة للخاطر فيما يقل وقوعه لاحتمال ان يقع او فيما تمتحن به قوة القريحة ويعتبر به تصرف الفطنة ويسبر به غور الذهن ويعلم به استعداد الفكر فان الكاتب في ذلك الامر مطلق العنان مخلى بينه وبين قوته فيه أو ضعفه لكن على كل حال يراعى كل مقام بحسبه فمما عملته رياضة للخاطر لصعوبة مسلكه صورة كتاب الى انسان يتضمن مخاطبته في تزويج امه (وهو هذه المكاتبة) الى فلان جعله الله يؤثر دينه على الهوى وينوى بأفعاله الوقوف مع احكام الله وانما لكل امرىء ما نوى ويعلم ان الخير والخيرة فيما يسره الله من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وان الشر والمكروه فيما طوى نعرض له بأمر لا حرج عليه في الاجابة اليه ولا خلل يلحقه به في المروءة وهل اخل بالمروءة من فعل ما حض الشرع المطهر عليه وأطهر الناس مروءة من ابلغ النفس في مصالح حرمه عذرها ووفى من حقوق اخصهن بره كل ما علم ان فيه برها واذا كانت المرأة عورة فان كمال صونها فيما جعل الله فيه سترها وصلاح حالها فيما اصلح به في الحياة امرها واذا كان النساء شقائق الرجال في باطن امر البشرية

وظاهره وكان الاولى تعجيل اسباب العصمة فلا فرق بين اول وقت الاحتياج الى ذلك و آخره وما جدع الحلال انف الغيرة الا ليزول شمم الحمية وتنزل على حكم الله فيما شرع لعباده النفوس الابية ويعلم ان الفضل في الانقياد لامر الله لا في اتباع الهوى بعضل الوليه واذا كان بر الوالدة اتم وحقها اعم والنظر في صلاح حالها اهم تعينت الاجابة الى ما يصلح به حالها ويسكن اليه بالها ويتوفر به مآلها ويمر به فناؤها ويحصل به عن تقلد المنن استغناؤها وتحمل به كلفة الخدمة عنها ويدفع به ضرورات لا بدّ لذوات الحجاب والحجال منها ويضفو به ستر الاحصان والحصانة عليها ويظهر به سر ما اوجبه الله لها من تتبع مواقع الاحسان اليها وقد تقدم من سادات السلف من تولى ذلك لوالدته بنفسه واعتده من اسباب برّ يومه الذى قابل به ما اسلفته اليه في امسه علما منهم ان استكمال البر مما يعلى قدر المرء ويغلى وقد اجاب زيد بن زين العابدين هشاما لما سأله لما زوّجت امك بعد أبيك فقال لتبشر بآخر مثلي لا سيما والراغب الى المولى في ذلك ممن يرغب في قربه ويغبط على ما لديه من نعم ربه ويعظم لاجتماع دنياه ودينه ويكرم ليمن نقيبته وجود يمينه ويعلم ان العقيلة تحل منه في امنع حرم وتستظل من ذراه بأضفى ستور الكرم مع ارتفاع حسبه واشتهار نسبه وعلو قدره في منصبه وحاله وسببه وانه من يحسن ان يحل من المولى محل والده وان يتحمل من ذريته بمن يكون في الملمات بنانا ليده وعضدا لساعده فان المرء كثير بأخيه واذا أطلق عليه بحكم المجاز لفظ العمومة فان عم الرجل صنو ابيه وانا اتوقع من المولى الجواب بما يجمع شمل التقى ويعلم به انه يخير من البر افضل ما ينتقي ويتحقق بفعله ان مثله لا يهمل واجبا ولا مرما قال الاحنف وقد وصف بالاناة لكن اتعجل ان لا ارد كفؤا خاطبا (ومن ذلك) ما انشأته الى من هزم هو وجيشه يتضمن اقامة عذره ووصف اجتهاده ويحث على معاودة عدوه والطلب بثاره رياضة للخاطر وهو هذه المكاتبة الى فلان لا زال مأمون الغرة مأمول الكرة مجتنيا حلو الظفر من اكمام تلك المرة المرة راجيا من عواقب الصبر ان تسفر له مساء تلك المساءة عن صبح المسرة واثقا من عوائد نصر

الله باعادته ومن معه في القوة والاستظهار كما بدأهم اول مرة اصدرها
وقد اتصل به نبأ ذلك المقام الذي اوضحت فيه السيوف عذرها وابدت به
الكماة صبرها واظهرت فيه الحماة من الوثبات والثبات ما يجب عليها وبذلت
فيه الابطال من الجلاد جهدها ولكن لم يكن الظفر اليها فكان عليهم الاقدام
على غمرات الحرب الزبون والاصطلاء بجمرات المنون ولم يكن عليهم اتمام
ما قدر انه لا يكون فكاثرت رقاب الاعداء في ذلك الموقف السيوف وكابرت
اعدادهم الحتوف وتدفقت بحارهم على جداول من معه ولولا حكم القدر
لانتصفت تلك الاحاد من تلك الالوف فضاق بازدحام الصفوف على رجاله
المجال وزاد العدد على الجلد فلم يفد الاقدام على الاوجال مع قدوم الآجال
واملى للكافرين بما قدر لهم من الانظار وحصل لهم من الاستظهار وعوضوا
بما لم يعرفوه من الاقدام عما الفوه من الفرار ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض وقد ورد انهم ينصرون كما تنصرون واذا كانت الحروب
سجالا فلا ينسب الى من كانت عليه وبالا اذا اجتهد ولم يساعده القدر انه قصر
مع انه قد اشتهر بما فعله في مجاله من الذب عن رجاله وما ابداه في قتاله
من الضرب الذي ما تروى فيه خصمه الا بدره بارتجاله وان الرماح التى
امتدت اليه اخرس سيفه السنة اسنتها والجياد التي اقدمت عليه جعل طعنة
اكفالها مكان اعنتها فاثبت في مستنقع الموت رجله ووقف وما في الموت شك
لواقف ليحمى خيله ورجله حتى تحيز اصحابه الى فئة مأمنهم واقام نفسه دونهم
دريئة لمن بدر من سرعان القوم او ظهر من مكمنهم وهذا هو الموقف الذي
قام له مقام النصر اذ فاته النصر والمقام الذي اصيب فيه من اصحابه آحاد يدركهم
ادنى العدد وفقد فيه من اعدائه مع ظهورهم الوف لا يدركهم الحصر وكذا
فليكن قلب الجيش كالقلب يقوي بقوته الجسد واذا حق اللقاء فلا يفر عن
كناسه الا الظبي ولا يحمي عرينه الا الاسد ومابقي الا ان تعفو الكلوم وتثوب
الحلوم وتندمل الجراح وتبرا من فلول المضارب صدور الصفاح وتنهض لاقتضاء
دين الدين من غرمائه المعتدين وتبادر الى استنجاز وعد الله فان الله يمحص

المؤمنين ويمحق الكافرين والليث اذا جرح كان اشد لثباته وامد لوثباته والموتور
لا يصطلى بناره والثائر لا يرهب الاقدام على المنون في طلب ثاره والدهر
ذو دول والزمان متلون ان دجت عليكم منه بالقهر ليلة واحدة فقد اشرقت
لكم منه بالنصر ليال اول فالمولى لا يلتفت الى ما فات ويقبل بفكره على تدبير
ما هو آت ويعد للحرب عدته ويعجل امد الاستظهار ومدته ولا يؤخر فرصة
الامكان ولا يعد ذكر ما مضى فانه دخل في حيز كان ولا يظن ما جرى عجزا فان
العاجز من ظن انه يصيب ولا يصاب ولا يتخذ غير ظهر حصانه حصنا فلا حرزا
منع من صهوة الجواد ولا سلم اسلم من الركاب وليعلم ان العاقبة للمتقين ويدرع
الصبر ليكون من النصر على ثقة ومن الظفر على يقين فان الله مع الصابرين ومن
كان الله معه كانت يده الطولى واذا لقي عدو الله وعدوه فليصبر لحملته فان الصبر
عند الصدمة الاولى والله تعالى يكلؤه بعينه ويمده بعونه ويجعل الظفر بعدوه
موقوفا على مطالبته له بدينه (ومن ذلك) ما انشأته في مثله لكنه يتضمن ذم المهزوم
وذم جيشه والتقريع لهم والتهكم بهم وينسبهم الى الوهن والذلة وهو هذه المكاتبة *
الى فلان اقاله الله عثرة زلته واقامه من حفوة ذلته وتجاوز عن كسرة فراره من جمع
عدوه على قلته بلغنا امر الواقعة التي لقي فيها العدو بجماع قليل عناؤه ضعيف بناؤه
كثيف في راي العين جمعه خفيف في المعنى وقعه ونفعه اسرع في مفارقة المجال
من الظل في الانتقال واشبه في مماثلة الوجود بالعدم من طيف الخيال يمشون اليه
بقلب واجب ويهتدون بمن يخرصه براي بينه وبين الصواب الف حاجب ويأتمون
منه بمقدم يرى الواحد من عدوه كالف ويتسرعون منه وراء مقدام يمشي الى
الزحف ولكن الى خلف جناح جيشه مهيض وطرف سنانه غضيض وساقة
عسكره طالعة وطلائعه كالنجوم ولكن في حال كونها راجعه تاسف السيوف
بيمينه على ضارب وتاسى الجنائب حوله اذ تعد لمحارب فتعد لهارب وانه حين
وقعت العين على العين وايقن عدوه لما رأى من عدده وعدده معاجلة الحين اعجل
نصول العدى عن وصولها وترك غنيمة الظفر لعداه بعد ان اشرف على حصولها
تناديه السنة اسنة الكرم ولا يلتفت الى ندائها وتشكو اليه سيوفه الظما وقد

رأت موارد الوريد فيعيدها الى الغمود بدمائها فمنح عدوه مقاتل رجاله واباحهم كرائم مال جنده وماله وخلى لهم خزائن سلاحه التى اعدها لقتالهم فأصبحت معدة لقتاله فنجا منجا الحرث بن هشام وآب بسلامة اعذب منها لو عقل شرب كاس الحمام واتسم بين اوليائه واعدائه بسمة الفرار وكان يقال النار ولا العار فجمع له فراره من الزحف بين النار والعار وعاد بجمع موفور من الجراح موقر من الاثم والاجتراح لا علم بما جرى عند أسيافهم ولا شاهد بمشاهدتهم الوغا غير مواقع الظبا في أكتافهم فبأي جنان يطمع في معاودة عدوه وهذا قلبه وهؤلاء حزبه وذلك القتال قتاله وتلك الحرب حربه وبعد فان كانت له حمية فستظهر آثارها أو أريحية فستشب نارها أوانفة فستحمله على غسل هذه الدنية وتبعثه على طلب غايتين اما شهادة مريحة او حياة هنية والله تعالى يوقظ عزمه من سنته ويجعل له الانتصاف من عدوه قبل اكمال سنته (ومن ذلك) ما كتبته على لسان المهزوم تجربة للخاطر أيضا يتضمن الاعتذار ويصف الاحتفال باخذ الثار وهو هذه المكاتبة* الى فلان أتبع الله ماساءه من امرنا مع العدو بما يسره وبلغه عنا من الانتصاف والانتصار مايظهر من صدور الصفاح وألسنة الرماح سره واراه من عواقب صنعه الجميل بنا ما يتحقق به ان كسوف الشمس لاينال طلعتها وان سرار القمر لايضره نوضح لعلمه انه ربما اتصل به خبر تلك الوقعة التى صدقنا فيها اللقا وصدمنا العدو صدمة من لا يحب البقا واريناه حربا لو أعانها التأييد فللت جموعه وأذقناه ضربا لو ان حكم النصر فيه الى النصل اوجده مصارعه واعدمه رجوعه وحين شرعت رياح النصر تهب وسحاب الدماء من مقاتلهم تصوب وتصب وكرعت الصفاح في موارد نحورهم وكشفت الرماح خبايا صدورهم ولم يبق الا أن تستكمل سيوفنا الرى من دمائهم وتقف صفوفنا على ربوات اشلائهم وتقبض بالكف من صفحت الصفاح عن دمه وتكف بالقبض يد من ألبسته الجراح حلة عدمه اظهروا الجزع في عزائمهم وحكموا الطمع في غنائمهم فحصل لجندنا أعجاب أعجل سيوفنا أن تتم هدم بنائهم وطمع منع فوارسنا أن تكف عن النهب الى أن

تصير من ورائهم فاغتنم العدو تلك الغفلة التي ساقها المهلكان العجب والطمع
وانتهز فرصة الكرة التى أعانه عليها المطمعان ابداء الهلع وتخلية ما جمع فانتثر
من جمعنا بعض ذلك العقد المنظم وانتقض من حزبنا ركن ذلك الصف الذي
قد اخذ فيه الزحام بالكظم وثبت الخادم في طائفة من ذوى القوة في يقينهم
وأرباب البصائر في دينهم فكسرنا جفون السيوف وحطمنا صدور الرماح في
صدور الصفوف وأرينا تلك الالوف كيف تعد الاحاد بالالوف وحلنا بين العدو
وبين أصحابنا بضرب يكف اطماعهم ويرد سراعهم ويعمى ويصم عن الآثار
والاخبار ابصارهم واسماعهم الى ان نفسنا للمهزوم عن خناقه وأيأسنا طالبه
من لحاقه ورددناه عنه خائبا بعد ان كادت يده تعلق بأطواقه وأحجم العدو مع
ما يرى من قلتنا عن الاقدام علينا ورأى منا جدا كاد لولا كثرة جمعه يستسلم به
الينا وعادوا ولنا في قلوبهم رعب يبيتهم وهم الغالبون ويدركهم وهم الطالبون
ويسلبهم رداء الامن وهم السالبون وقد لم الخادم شعث رجاله وضم فرقهم
بذخائر ماله وامدهم بنفقات اصلحت احوالهم واطلقت في طلب عدوهم اقوالهم
وسلاح جدد استطاعتهم وأعان شجاعتهم وخيول تكاد تسابقهم الى طلب عدوهم
وتحضهم على أخذ حظهم من اللقاء كانها تساهمهم في اجر رواحهم وغدوهم
وقد نضوا رداء الاعجاب عن أكتافهم واعتصموا بعون الله وتاييده لا بقوة
جلدهم ولا بحدة اسيافهم وسيعجلون العدو ان شاء الله تعالى عن اندمال جراحه
ويتعجلون اليه بجيوش تسوءه طلائعها في مسائه وتصبحه كتائبها في صباحه والله
تعالى لا يكلنا الى جلدنا ولا ينزع اعنة نصره من يدنا (ومن ذلك) ما بلغني ان
بعض نواب السلطنة بالشام جاءه ولد وهو مسافر في الصيد فاقترح ان يكتب على
لسان المولود الى والده فقلت في ذلك ولم أكتب * يقبل الارض ابتداء بالخدمة
من حين ظهر الى الوجود وشوقا الى امتطاء صهوات الجياد بين يدي سيده قبل
المهود وتمنيا ان يكون اول شيء يقع عليه نظره من الدنيا وجه مولانا الذي
تعلو بنظره الجدود ويتيمن برؤيته كواكب السعود وينهى انه تعجل الشوق
على صغره وكان كمال المسرة به أن يقع نظر مولانا الشريف عليه قبل البشرى

بجبره لتلقى عليه أشعة سعادة مولانا في ساعة ظهوره ويكسى قبل أن تلقى عليه الملابس من اشراق محياه الكريم حلل نوره ويكون اول ما يلج مسامعه صوت مولانا بحمد ربه على الزيادة في خدمه وتكثير من يضرب بين يديه في الحرب بسيفه ويقف في السلم امامه على قدمه فان من يكون نجل مولانا تنطق بالنجابة مخائله وتدل على الشجاعة سماته قبل أن تدله عليها شمائله والهلال سيصير في أفقه بدرا منيرا والشبل سيعود كابيه اسدا هصورا والله تعالى يهب العبد عمرا يبلغ به من طاعة مولانا ما يجب عليه ويرزقه عملا صالحا يتقرب به الى ربه واليه بمنه وكرمه * وقد أتيت في هذه الاوراق بأنواع من الكتابة مما يكثر استعماله ومما يقل ومما يحتمل أن يقع أو يمتحن الكاتب به وأما الاخوانيات فصاحبها بحسب اختياره جار على جادة اقتراحه وفي هذا مقنع وأنا أسأل الله تعالى التجاوز عن زلل اللسان وأرغب الى متامله في الاغضاء عن عثرة القلم وكبوة الخاطر ونبوة الذهن فلم يكن القصد الا التمثيل في تلك الانواع وذلك يحصل بالكلام المقبول دون المختار

حمدا لمنشيء منشورات الوجود من العدم * وناظم قوافيها كما جرى به القلم في القدم * وصلاة وسلاما على من اوتى جوامع الكلم * وعلى أصحابه الذين عمل كل منهم بما علم * (وبعد) فهذا كتاب يبتهج بطلعته الاديب * وتقر به عين مطالعة الاريب * اشتمل على فن البديع في غاية البيان * مع ما انضم اليه من الرسائل البليغة الحسان * التى تشهد لمؤلفها بالسبق في ابراز مخدرات المعاني البهيه * وتشييد المباني المتينة العليه * وقد تم طبعه على هذا الوجه الجميل بمطبعة هنديه * وكان تمام طبعه في ثلاثة عشر خلت من شهر شعبان سنة الف وثلثمائة وخمسة عشر هجريه * على صاحبها أفضل الصلاة وازكى التحيه *

﴿ فهرست حسن التوسل في صناعة الترسل ﴾

صحيفة

صحيفه

صحيفه